وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

أهل بكين

تأليف: تساو يو
ترجمة: فؤاد حسن

من المسرح ١١

فؤاد حسن

- ممثل ومخرج مسرحي
- من مواليد منبج ١٩٦٣م.
- خريج المعهد العالي للفنون المسرحية - قسم التمثيل ١٩٨٦م.
- عمل معيداً في المعهد المذكور لمدة أربع سنوات، أُوفد بعدها إلى جمهورية الصين الشعبية لمتابعة تحصيله العلمي في مسرح الشرق الأقصى ١٩٩٠-١٩٩٥م.
- عمل وما زال أستاذاً محاضراً في المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق لعدد من المواد أهمها (فن التمثيل - المسرح الشرقي - مبادئ فن الإخراج - مختبر مسرحي).

❖ من ترجماته المنشورة حتى الآن:

مسرحية «**المقهى**» للكاتب الصيني لاو شه.

دراسة «**الثقافة الجنسية الصينية عبر التاريخ**» ج١.

عدد من الأبحاث والدراسات والمسرحيات القصيرة.

أهل بكين

أهل بكين

تأليف : تساويو
ترجمة: فؤاد حسن

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٨

العنوان الأصلي للكتاب :

曹禺文集

مجموعة أعمال تساو يو

المجلد الثاني

أهل بكين / تأليف تساو يو؛ ترجمة فؤاد حسن .- دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨ .- ٣٣٦ ص؛ ٢٠ سم.

(من المسرح ؛ ١١)

١- ٨٩٥,١ ت س ا أ ٢- العنوان ٣- تساو يو
٤- حسن ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

من المسرح
«١١»



作者像

(一九三八年)

صورة للمؤلف

١٩٣٨

تساو يو
حياته وأعماله

تساو يو Cao Yu (١٩١٠-١٩٩٦) اسمه الأصلي وان جيا باو، ولقبه شي الصغير. ولد في مدينة تيان جينغ في ١٩١٠/٩/٢٤ م. ولد في أسرة أرستقراطية لأب يكتب الشعر والرواية والمقال. يرجع الفضل الأول في اهتمام تساو يو بالأدب إلى والده. وكان جده لأبيه معلماً فقيراً في أحد الأرياف. درس والده العلوم العسكرية في اليابان، وعند عودته إلى الصين عمل ضابطاً. كان أشبه بأمير حرب، أو قائد فرقة إلا أنه لم يخض معركة على حد تعبير تساو يو نفسه. كان يسعى وراء تحقيق ملذاته؛ وقد أعجب بلينين لأنه جعل من بلده بلداً قوياً. تزوج من فتاة ريفية أنجبت له ولداً وبنتاً. كان تساو يو الابن الوحيد لزوجته الثانية، والتي ماتت بعد ولادته بثلاثة أيام، ثم تزوج للمرة الثالثة من شقيقة زوجته التوأم. وقد أحب تساو يو خالته

زوجة أبيه حباً جماً. كان يطمح في سنوات شبابه الأولى أن يكون مخترعاً، وقد قام بتصميم عربة بخارية. علمَّه أبوه كتابة الشعر، فكتب وهو في العاشرة من عمره البيت التالي:

ينهمر الثلج بغزارة، وليس للفقير بيت يعود إليه.

تلقى تعليمه الابتدائي في البيت على أيدي مدرسين خاصين ولم يلتحق بالمدرسة الابتدائية.

عاش سنوات طفولته الأولى في مدينة تيان جينغ، وهي مدينة تجارية وملتقى المواصلات البرية والبحرية. وقد شاهد بأم عينه ما كانت تقوم به العناصر الإمبريالية وطبقات المجتمع العليا من فساد وبلطجة، ورأى بؤس حياة العمال والطبقات الدنيا من المجتمع ممن كانوا يعملون ليلاً ونهاراً وفي أسوأ الظروف في سبيل لقمة العيش، وسمع صياح عامة الناس وهم ينادون لبيع أولادهم في أزقة المدينة، الأمر الذي دفعه في سن مبكرة للوقوف مع الفقراء ضد الإمبريالية وأعوانها. بدا ذلك واضحاً في أعماله المسرحية التالية.

قرأ تساو يو قبل التحاقه بالمدرسة المتوسطة روائع الأدب الكلاسيكي الصيني مثل «حلم القصور الحمراء»، «الضفة»، «قصة المقصورة الغربية»[1]، كما تمكن بمساعدة خالته من

(١) روايات من الأدب الكلاسيكي الصيني.

الاطلاع على بعض الأدب الغربي مثل روايات موبوسان، ومسرحيات شكسبير.

التحق بمدرسة نان كاي الثانوية عام (١٩٢٢). حيث درس أهم الشخصيات السياسية والأدبية والفنية، ولعل من أهمهم رئيس وزراء الصين السابق تشو إن لاي. في تلك المدرسة أسس تساو يو مع مجموعة من الطلبة فرقة مسرحية وبدأ نشاطه المسرحي فاشترك في تمثيل «الكفاح» للكاتب الإنكليزي (John-Galsworthy) و«البخيل» لموليير، و«النساجون» «لهاوبتمان»، و«عدو الشعب» لإبسن، وقد ساهمت تلك الأعمال في لفت نظره وتعميق معرفته في مشاكل المجتمع الصيني.

كانت رغبة والده أن يدرس الطب، فتقدم تساو يو بطلب الانتساب إلى جامعة الطب في بكين مرتين، إلا أنه تخلف عن امتحانات القبول. بعد حصوله على الثانوية العامة التحق بقسم العلوم السياسية في جامعة نان كاي، وفي العام التالي انتقل إلى قسم الآداب الأجنبية في جامعة تشينغ هوا في بكين. وكان يقضي معظم وقته في قراءة الأدب العالمي، فقرأ التراجيديا اليونانية وأعجب بيوريبيدس وسوفوكليس؛ وقرأ شكسبير، يوجين أونيل وتشيخوف؛ كما قرأ الفكر الديني والفكر المادي؛

أعجب بأعمال برناردشو ، وفكرة المدينة الفاضلة عند أفلاطون ، وفكرة الإنسان الخارق عند نيتشه؛ لقد تأثر بلوشن ، غومورو[1] ، وابسن؛ لقد تأثر بكل هؤلاء إلا أنه لم يقع أسيراً لأي منهم .

كان كثيراً ما يذهب مع نفر من أصدقائه إلى قوانغ خه لحضور عروض أوبرا بكين ، وإلى جسر السماء للاستماع إلى فن الغناء والقص الشعبيين . لقد شكل الفكر والأدب الشرقي والغربي ، قديمه وحديثه زاد تساو يو الفكري والفني والذي تبلور وظهر جلياً في أعماله المسرحية اللاحقة .

في عام (١٩٣٣) كتب مسرحيته الأولى «العاصفة الرعدية «وهو لم يزل في سنته الجامعية الأخيرة . ولم تُنشر المسرحية إلا بعد سنة ، بعد أن قرأها الكاتب الصيني الكبير باجين[2] وأثنى عليها .

تصور المسرحية التناقض الفكري الحاد ، والاضطهاد والصراع الطبقيين من خلال أسرة تشو بو يوان الرأسمالي وأسرة لو التي يعمل ابنها في منجم فحم تابع للأسرة الأولى ويقود إضراب العمال

---

(١) لوشن : (١٨٨١-١٩٣٦) أديب صيني معاصر .

- غومورو : (١٨٩٢-١٩٧٨) كاتب ، شاعر ومسرحي صيني معاصر .

(٢) - با جين : (١٩٠٤-) روائي صيني معاصر .

ضد رب العمل ، بالإضافة إلى بعض العلاقات المحرمة والشاذة بين شخصيات المسرحية والتي تفضح وتعري تاريخ الأسرتين على حد سواء . امتازت المسرحية بحبكة غنية وقوية ، قصة مؤثرة ، صراع حاد وعنيف ، أسلوب بسيط ومهيب ، وجو مأساوي عميق ، بمضمون قومي وشكل فني غربي .

عمل تساو يو بعد تخرجه من الجامعة مدرساً للغة الإنكليزية في إحدى المدارس الثانوية في خه بي لفترة قصيرة ، عاد بعدها إلى جامعة تشينغ هوا لمتابعة تعليمه العالي ، ثم اضطر بسبب الضائقة المادية إلى العودة إلى تيان جينغ حيث عُين معلماً في معهد إعداد المعلمات هناك .

زار تساو يو مدينة شنغهاي لأول مرة عام (١٩٣٤) . وقد رأى ما يتعرض له الشعب الصيني هناك تحت وطأة وتسلط الكومينتانغ وعملاء المستعمر وأعوانه من استغلال واضطهاد؛ فقر وبطالة في المدن ، ومرض ومعاناة في الريف ، كثرة الهجرة من الريف إلى المدن مما زاد الطين بلة ، والنساء اللواتي اضطررن لبيع أجسادهن في سبيل لقمة العيش . و من معاناة الشعب الصيني هناك استمد موضوع مسرحيته الثانية «شروق الشمس » .

في الفترة التي عمل فيها تساو يو معلماً في نان جينغ ،

سكن قريباً من السجن النموذجي الأول. وقد ذكَّره منظر السجناء، وما يقومون به من أعمال سخرة، بقصص جدته عن حياة الفلاحين في الريف الصيني المغموسة بالدم والدموع فكتب مسرحيته الثالثة «البرية» التي طرح فيها موضوع الثأر في الريف الصيني، بأسلوب رومانسي رمزي، مزج فيه بين التاريخ والواقع، والحقيقة والوهم، متأثراً بأسلوب الأوبرات المحلية التي تعتمد على المبالغة في التصوير.

انتقل تساو يو إلى نان جينغ عام (١٩٣٦) وعمل هناك مدرساً للمسرح في مدرسة أنشأها الكومينتانغ، ثم أستاذاً في جامعة فودان. وعندما اندلعت حرب المقاومة ضد اليابان (١٩٣٧- ١٩٤٥) وبدأت المدن الصينية تتساقط تباعاً بيد المستعمر الياباني، كان تساو يو ينتقل من مدينة إلى أخرى، وفي كل مدينة يصل إليها يؤسس فرقة للمسرح ويقوم بإخراج مسرحية، من بين تلك المسرحيات الميدانية «الأم المجنونة»، «اليقظة»، كما قام بإعداد مسرحية «ثمان وعشرون كلمة سوداء» عن مسرحية «تعبئة عامة» للكاتب سونغ تشي ده وبالتعاون معه؛ وقام بتمثيل أحد أدوارها، وهو يحض فيها على مقاومة المستعمر الياباني وعملائه وأعوانه من الكومينتانغ المتآمرين معه.

في ربيع (١٩٣٩) وصل وفرقته إلى مقاطعة سيتشوان ، وهناك كتب مسرحية «التحول » خلال شهر واحد ، بعد أن جمع مادتها على مدار سنتين ، وفيها يمجد حب الوطن والتضحية في سبيله . استطاع تساو يو بمهارته وفطنته أن يمجد الحزب الشيوعي ، ويذم الكومينتانغ ، بأسلوب التلميح لا التصريح بحيث كان واضحاً للعامة ، وخفياً على الكومينتانغ ، لدرجة ظن معها الكومينتانغ أن المسرحية تمجيد لهم . تدور أحداث المسرحية داخل مشفى ، حيث تقوم الطبيبة دينغ بإنقاذ جندي جريح ، فتقدم جدة الجريح لأمه وشاح حفيدها إلى الطبيبة تعبيراً عن امتنانها ، وفي نهاية المسرحية تهدي الطبيبة الوشاح إلى جندي شُفي من إصابته وهو في طريق عودته إلى الخطوط الأمامية مرة ثانية .

في عام (١٩٤٠) نشر تساو يو مسرحيته ذات الفصل الواحد «أنا أفكر الآن» ، قام باقتباسها عن مسرحية «سترة المخمل الحمراء «للكاتبة المكسيكية (Josephina-Niggli).

نقل تساو يو المسرحية من بيئتها المكسيكية ، إلى حي جسر السماء في بكين ، حيث يعتبر هذا الحي مركزاً لكل أنواع الفنون الشعبية . هجا فيها الزنى ، ودعا إلى الوقاية من التفريط في العلاقات غير الشرعية .

وفي العام نفسه كتب تساو يو رائعته «أهل بكين» التي تدور حول أسرة إقطاعية ذات حسب ونسب منهارة. ومع أن رب الأسرة مازال يحلم بأن تستعيد الأسرة أمجادها، يُلزم ابنه بالبحث عن عمل، ويُلزم حفيده بقراءة الكتب حتى منتصف الليل، إلاّ أن ذلك لم يحل دون انهيار الأسرة في نهاية المطاف، فالذي مات مات، والذي رحل رحل، حتى التابوت الذي أعده رب الأسرة لنفسه وأنفق عليه أموالاً طائلة لم يستطع المحافظة عليه، وراح للأسرة المجاورة لقاء دين لها. إنها دراما ترصد التفاصيل اليومية في حياة أسرة، أسرة فئران، في مجتمع فئران، يقتاتون على كل شيء ويتلفون كل شيء، ولا يعملون أي شيء. شخصياتها من لحم ودم، ذلك أن تساو يو لا يكتب إلا عن شخصيات يعرفها، ولهذا جاءت شخصياته واضحة، نابضة بالحياة، متباينة في سلوكها، وشعورها وطريقة تفكيرها.

تكاد تخلو المسرحية من أي إيديولوجيا، بعد أن خبا وهج الثورة عما كان عليه في النصوص السابقة، وازداد الكاتب حكمة ونضجاً، وازداد وعيه عمقاً، وفكره غنى. فالشمس التي بشر بها لم تشرق كما كان يحلم.

عندما كتب تساو يو مسرحيته هذه، كانت البلاد تمر بحرب

ضروس مع المستعمر الياباني وزبانيته؛ وقد عاب البعض عليه أن يكتب أثناء الحرب مسرحية، و لا علاقة بالحرب. لكن تساو يو أدرك بحسه الفني وفكره الثاقب وبعد نظره أن الانتصار على الجبهة الخارجية مرهون بالانتصار على الجبهة الداخلية، ورأى أن المجتمع القديم، بعاداته المتخلفة وفكره الرجعي، يشكل حجر عثرة يعوق التقدم نحو مجتمع مستقل، حر، جديد، ويحول دون تحقيق النصر المطلوب. إن معرفة المجتمع معرفة عميقة وواعية، وفضح مظاهر التخلف والفساد فيه التي تستتر وراء «الحسب والنسب» و : «الادعاء الثقافي» تجعل الانتصار في المعركة الخارجية ممكناً وحتمياً. لذا أراد تساو يو للمجتمع القديم بكل مساوئه أن يُدفن في تابوت زنغ هاو.

في العام (١٩٤٢) نشر تساو يو مسرحية «الأسرة «التي أعدها عن رواية بنفس الاسم للكاتب الصيني باجين. لم يتقيد تساو يو بالرواية تماماً، بل استخدم تقنية المونولوج الداخلي للتعبير عن فكر وشعور شخصياته، وهي تقنية لم تكن مستخدمة في المسرح الصيني الحديث.

كتب تساو يو في هذه المرحلة أيضاً مسرحية «الجسر»، وترجم «روميو وجوليت»، واقتبس «الطلاء «عن مسرحية يوجين لابيش «الرماد في العيون».

سافر تساو يو مع الكاتب الصيني لاو شه عام (١٩٤٦) إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتدريس، حيث تعرف هناك على الروائيين الأمريكيين إرنست همنغواي وجون شتاينبك، كما التقى المسرحي الألماني بريشت مرتين. وقد سأله بريشت بينما كان في زيارته: " لِمَ لم تذهب إلى الصين. فأجاب بريشت: «إنني أحبذ ذلك، إلا أن الوقت غير مناسب». بعد أحد عشر شهراً عاد تساو يو إلى الصين بينما بقي لاو شه. وعمل بعد عودته عام (١٩٤٧) كاتب سيناريو ومخرجاً سينمائياً في مدينة شنغهاي.

في الفترة الممتدة ما بين عودته وقيام الثورة الثقافية (١٩٦٦) كتب تساو يو مسرحية «السماء الصافية» (١٩٥٤)، وهي أول نص يكتبه بعد استقلال الصين؛ ثم المسرحية التاريخية «أمير الانتقام» (١٩٦١)، وكانت قد ساءت العلاقات بين الصين والاتحاد السوفياتي آنذاك، وقد جاء فيها أن الصين بلد قوي وينبغي أن يعتمد على نفسه دون الحاجة إلى الآخر، والآخر هنا طبعاً الاتحاد السوفياتي؛ ثم سيناريو فيلم «يوم مشرق» الذي قام بإخراجه أيضاً (١٩٤٨/١٩٤٩).

تعرض تساو يو أثناء الثورة الثقافية (١٩٦٦-١٩٧٦)،

شأن جميع المثقفين الشرفاء في الصين ، إلى الاضطهاد والعزل والإبعاد ، كما تعرض البعض منهم إلى السجن . طال الشلل في هذه المرحلة جميع نواحي الحياة الفكرية والفنية والأدبية ، توقف خلالها الكثير من الكتاب عن الكتابة ومنهم تساو يو .
وبعد انقضاء الثورة الثقافية وعودة النشاط إلى الأوساط الفنية والأدبية ، كتب تساو يو مسرحيته التاريخية الثانية «وانغ تشاو جون» (١٩٧٨) ، وكما فعل في مسرحيته التاريخية السابقة ، لجأ أيضاً إلى تبسيط وعصرنة اللغة الصينية القديمة بحيث يمكن للجيل الجديد فهما واستيعابها ، مع تفسير بعض المفردات القديمة دون الإساءة إلى الجانب التاريخي ، كما استخدم بعض الأغاني القومية المعروفة في سياق الحبكة للتعبير عن مشاعر الحب بين العاشق والمعشوق من ناحية ، وللتأكيد على الصداقة وروابط الدم بين القوميات المختلفة . وقد أعدها تساو يو للسينما عام (١٩٨١) .

شغل تساو يو ، بعد تحرير الصين عام (١٩٤٩) ، الكثير من المناصب إذ عمل نائباً لمدير معهد الفنون المسرحية المركزي ، ومديراً لمسرح الفنون الشعبية في بكين ، وعضو سكرتارية اتحاد الكتاب الصينيين ، ونائب رئيس جمعية الكتاب المسرحيين

الصينيين. وقد انتُخب لعدة دورات مندوباً في مجلس النواب الصيني. كما انتُخب في عام (١٩٧٨) عضواً في اللجنة الدائمة للمجلس الوطني الخامس لنواب الشعب. اقتصر عمله في السنوات الأخيرة من حياته على المساهمة في سياسة البلاد العامة وبعض الأنشطة الاجتماعية.

تساو يو فنان شامل وكاتب واسع المعرفة، غني الثقافة، متعدد الاهتمامات. زار أمريكا وأوربا، وتعرف على أدبهما وفنونهما. تُرجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم؛ وعُرضت مسرحياته على الكثير من مسارح العالم من أمريكا إلى اليابان. لغته غنية وموحية، أسلوبه سهل ممتنع، الصراع في مسرحياته معقد ومتشابك، شخصياته نابضة بالحياة، عوالمها غنية، مرسومة بدقة وإتقان.

ولكن لماذا «أهل بكين؟» يحمل عنوان المسرحية أكثر من معنى؛ المعنى الأول هو «أهل بكين» تحديداً لأن أحداث المسرحية تدور في مدينة بكين؛ والمعنى الثاني هو «رجل بكين» لأن إحدى شخصيات المسرحية تحمل هذا الاسم؛ أما المعنى الآخر فهو «إنسان بكين» في إشارة واضحة إلى «إنسان بكين» الذي اكتُشفت آثاره في «تل عظم التنين» قرب بلدة تشو كو ديان في ضواحي مدينة بكين وذلك في ١٩٢٩/١/٢.

ومن ناحية أخرى فإن الترجمة الحرفية لعنوان المسرحية هي «البكيني» ؛ أي الذي يقطن بكين وينتسب إليها ، كأن نقول الدمشقي ، أو الحلبي ، أو التونسي ... وهكذا . وقد اعتمدت «أهل بكين» لشموليته ولاعتماده في معظم الترجمات .

فؤاد حسن الحسن

دمشق ٢٠/١٠/٢٠٠٣

أهـل بكـين*

مسـرحية في ثـلاثـة فصـول

* مجموعة أعمال تساويو – الجزء الثاني– منشورات دار المسرحية الصينية– الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

«الصديقُ الحميمُ قريبٌ وإن نأت به الديارُ»

وانـغ بـو[1]

(١) وانـغ بـو: WANG BO (٦٥٠ – ٦٧٦) شاعر من أسرة تانغ

الشخصيات

- زنغ هاو: عجوز من أسرة أرستقراطية استوطنت في بكين، ٦٣ سنة

- زنغ ون تشينغ: ابنه الكبير، ٣٦ سنة

- زنغ صه يي: زوجة ابنه الكبير، ٣٨/٣٩ سنة.

- زنغ ون تساي: ابنته، ٣٣ سنة.

- جيانغ تاي: صهره، زوج ون تساي، تلقى تعليمه خارج البلاد، ٣٧/٣٨ سنة

- زنغ تينغ: حفيده، ابن ون تشينغ و صه يي، ١٧ سنة.

- زنغ روي تشن: زوجة حفيده تينغ، ١٨ سنة.

- صو فانغ: ابنة أخت زوجته، ٣٠ سنة تقريباً.

- المربية تشن: مربية زنغ ون تشينغ، ٦٠ سنة تقريباً.

- تشو الصغير: حفيد المربية تشن، ١٥ سنة.

- تشانغ شون: خادم أسرة زنغ.

- يوان رن قان: باحث في علم الأجناس، ٣٨ سنة.

- يوان يوا: ابنة يوان الوحيدة، ١٦ سنة.

- رجل بكين: سائق فريق يوان رن قان للبحث العلمي.

- شرطي:

- تاجر توابيت: أول، ثان، ثالث، رابع.

المكـان

الفصـل الأول: عيد منتصف الخريف. قاعة صغيرة في منزل زنغ.

الفصـل الثاني: الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها. المكان نفسه.

الفصـل الثالث: بعد مرور شهر، الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. المكان نفسه.

الفصل الأول

عيد منتصف الخريف ، وقت الظهيرة ، قاعة صغيرة ملونة في منزل زنغ القديم ، كل شيء هادئ ، لا أحد في القاعة ، دقات ضعيفة بطيئة وكئيبة لساعة قديمة فوق طاولة تتكئ إلى الجدار الذي على اليمين . تحلق أسراب الحمام في الخارج ، وتحمل نسمات الخريف أصوات الحمام إلينا بين الحين والآخر ، فتطرب الآذان . تحمل موسيقى السماء هذه حتى المرضى داخل المنزل لأن يرفعوا رؤوسهم من خلال نوافذ القاعة الخلفية ناظرين إلى السماء . بعض السحب تطفو على وجه السماء اللازوردي .

هذه القاعة عبارة عن صالة كبيرة تحيط بها غرف جانبية وأربعة أبواب . الباب الذي على اليمين يؤدي إلى غرفة الابن الكبير ، علق عليه ستارة خضراء شفافة . الباب الذي على اليسار يؤدي إلى غرفة الابنة وزوجها ، وهو باب صغير ووسخ يوحي بقلة الاهتمام ، لا يعلق عليه أي شئ .

الجدار الخلفي للصالة عبارة عن قواطع خشبية، خزانة جدارية ومكتب صغير. تنفرج القواطع الخشبية لتشكل بابين جانبيين يشغلان ثلثي الجدار. عتبة حجرية تفصل بين القاعة وصالة الضيوف. تبدو السماء صافية تسر الناظرين عندما تفتح القواطع الخشبية. الباب الرئيسي في الجهة المقابلة وهو ذو طراز كان شائعاً في تلك الأيام. فتحت أبواب القاعة وشبابيكها باتجاه البهو الذي تظلله أشجار البلح والبليع والحور.

تنعكس أشعة الشمس عبر نوافذ القاعة فينتشر الضوء في كل مكان ويبدو كما لو أنه يطفو على بركة ماء، تعكس تيجان الأعمدة والعوارض القائمة وزخارف السقف الأشعة فتبدو القاعة شاحيةً قليلاً. يغلق سيد البيت الدرفات المؤدية إلى صالة الضيوف، بينما يتسرب ضوء ضعيف من غرفة المكتب عبر شبّاك دائري مغطى بشبكة غربال، مما يجعل هذا الجزء من القاعة ظليلاً ومنعشاً. لا يفضل سيد البيت العجوز مغادرة غرفة نومه في الأيام العادية، وهو قليلاً ما يخرج للترويح عن نفسه. لغرفة المكتب هذه أهميتها. كتب سيد البيت فوق بابها بخط صيني قديم وبشكل لافت للنظر عبارة «غرفة التربية». هي في الحقيقة مكتب صغير أشبه بخزانة جدارية تشغل ثلث الجدار الخلفي.

يمكن رؤية أغصان شجر الخرنوب من نافذة غرفة المكتب، وإلى اليسار باب(غير مرئي) يؤدي إلى الفناء وإلى غرفة نوم السيد العجوز. داخل المكتب وعلى طول الجدار تصطف الكتب والمؤلفات ذات التجليد النافر، وأمام النافذة ملف نانمو الذي يحبه سيد البيت، مقعد من خشب الأبنوس، محبرة، تحف قديمة وجميلة. هنا ينشد السادة الشعر أو يرسمون، يقرؤون الكتاب المقدس أحياناً، أو يخوضون في أحاديث مملة حول التنجيم إلى أن يتسلل النعاس إلى عيونهم.

كانت هذه القاعة الصغيرة مكاناً للأحاديث السرية في الأيام الخوالي. ففي عصر الأسرة الذهبي كانت تغص بالضيوف، حيث سَنَّ الجد الأكبر مؤسس الأسرة جملة من القوانين: الأصدقاء الحميمون يطلب منهم الجلوس وانتظار السيد، أو دعوتهم إلى «غرفة التربية» لتبادل الأحاديث السرية، أو إلى الغرف الداخلية لتبادل الأحاديث الطويلة. أما الشباب أصحاب القضايا فعليهم الانتظار في قاعة الضيوف الكبيرة. كذا مرت سنوات العز والدلال، عندما كان الشيوخ شباباً، أرستقراطيين أنيقين، بمعنويات عالية، يجلسون يتجاذبون أطراف الحديث كل يوم، يربون الطيور ويسمعون الأغاني.

لقد مرت عشرات السنين، وهذه الغرف ما زالت مكاناً يتبادل أولاد وأحفاد أسرة زنغ فيه أطراف الحديث. كل ما خلَّفه السلف اجتمع في هذا المكان، لكن لم يكن بمقدور الخلف الطالح أن يعيد للبيت احترامه ومكانته، كما لم يَستطع إحياء ذكرى العصور الماضية لهذا المكان الذي ضحك وتحدث واستراح فيه الكثير من الأشراف، لا بل عجلوا في انهياره. حتى أن أوامر وخلافات زوجة الابن الأكبر مع زوجها تكاد لا تفارق هذا المكان. هذه القاعة أشبه بالموزع، وقد شُيدت باهتمام شديد. ما زلنا نرى في تيجان الأعمدة بعضاً من آثار الماضي المدهشة. ولأن الأسرة قد أُفِل نجمها، فقد اضطر سيد البيت إلى تأجير صالة الضيوف والغرفة الغربية لباحث في علم الأجناس، ومنع على المستأجر استخدام الفسحة التي أمام الغرفة. هذا المكان هو الحصن الأخير للسيد زنغ. حديقة البيت مقفرة ومهجورة منذ زمن بعيد، وعوارض أعمدة البيت بهتت ألوانها. جدار الآجر الكلسي تآكلت معظم أجزائه، كما لو أن المكان كله يحتضر، إلا أن سيد البيت العجوز لا يزال يصارع ويقاوم الانهيار على مضض.

إن نظرة سريعة على هذا المكان لا توحي بأنه بشع . دقات الساعة الثقيلة كما الحلق اليشمي عظيمة للغاية ، والنافذة – وهي نمط تقليدي يتواجد في معظم بيوت بكين القديمة – وراء الساعة ذات أشكال زجاجية مثمنة مصقولة وبراقة ومغطاة بستارة مشمشية اللون ، تُسدل عادة عندما تكون زنغ صه يي في حالة مزاجية سيئة . وضع أمام الساعة وبشكل عشوائي تميمة ملفوفة بقماش مذهّب . هذه التميمة هي أحد الأشياء التي ورثها الأحفاد عن أجدادهم . زوج من مزهريات مصنوعة من أحجار كريمة مرسوم عليها منظر لأزهار الغفت ، كانت قد أحضرتهما زنغ صه يي عند زواجها قبل عشرين سنة ، موضوعتان على جانبي التميمة . طاولة مربعة الشكل على اليمين ، مغطاة بسجادة أرجوانية وعليها بعض الأشياء القديمة ، تستخدم للطعام أحياناً . يوضع على الطاولة صحن كبير يحتوي على زعرور صيني أحمر ، عنب ، كستناء ، جوز ، حبوب طبية جبلية ، تمر أسود ، أجاص ، يوسفي ، وهي ذات ألوان يسيل لها اللعاب . حول الطاولة كرسيان أو ثلاثة بمساند و كرسي بدون مسند وهي ممسوحة بشكل جيد . طاولة نصف دائرية من خشب الصندل الأرجواني إلى اليسار بجانب باب غرفة ون تساي ، عليها لفائف

عطوس حريرية خضراء وبعض الكتب القديمة ، وفي وسطها حوض تعوم فيه سمكة ذهبيـة اللون ، وعلى الجدار فوق الطاولة علّقت لوحة كباد أصبعاني . عـدد من الكراسي وطربيزة أمـام الطاولة رتبها صهر العائلة بطريقة غربية . على الجدار المقابل لوحة للخطاط «دونغ تشي تشانغ»[1] . على مقربة من «غرفة التربية» علّق عود سباعي الأوتار ، تتدلى منه شراريب حريرية برتقالية اللون . في المساحة بين غرفة التربيـة والصـالة علّقت لوحة بامبو سوداء . ينتصب مصباح قماشي مربع الأضلاع مرسوم عليه طيور وأزهار ذو قاعدة من خشب الأبنوس على هيئة تنين إلى يمين اللوحة ، ينبعث منه ضوء أزرق خافت . إلى يسار اللوحة خابية خزفية تحتوي على لفافات ورقية ، وعلى جانبيها مكعبان خشبيان ، فوق أحدهما حقيـبة جلـدية .

البيت هادئ ورتيب ، يسمع صوت الحمام بين الحين والآخر . السقا يدفع دراجته بصعوبة وتمهل شديد في الزقاق الطويل ، حيث يسمع صرير عجلاتها على الطريق الإسفلتي الضيق . صوت العجلات المكفهر ذاك يبتـعد مرة ويقترب مرة ، وبين الفينـة والأخرى يمتزج صياح السقا برنين جرسه(هو عبارة

---

(١) DONG QI CHANG (١٥٥٥ - ١٦٣٦)

عن ملقط داخله مسمار يصدر صوتاً أشبه بصوت الجرس)، إنه أشبه بطنين نحلة عاملة. بوق شاحذ الأمواس والسكاكين هو الآخر يكسر تلك الرتابة.

تفوح رائحة لطيفة من كهرمان الزبادي داخل البيت، وعندما تهب نسمة تحمل معها عبر النوافذ رائحة أزهار الغار.

منتصف النهار. تدخل زنغ صه يي من الباب الرئيسي يتبعها باحترام وقلق تشانغ شون خادم الأسرة وهو في الثلاثين من عمره.

تعطي زنغ صه يي انطباعاً تدريجياً بأنها من عائلة مثقفة. تدعي الثقافة والأدب، ذكية وذات تجربة، تفتعل الابتسامة وتضمر الشر، مخادعة، أنانية، ثرثارة، لا تنتقد نفسها. تظن أنها كريمة ومتسامحة، إلا أن الجميع يعرف تآمرها الذئبي. كثيراً ما تصرخ قائلة «بلغ السيل الزبى»، وهي تعتقد أن لا أهمية للناس، وأنها لن تخسر معركتها مع أحد. تسيء الظن دائماً وتصر على أنها ذات إحساس مرهف، يظهر خبثها أكثر ما يظهر في أواخر جملها، وهي بارعة في حياكة المؤامرات والدسائس. متكلفة بكلامها، بتواضعها، ببرها وشفقتها... وكل ما تتصف به المرأة ذات الخلق، تظن أنها ذات سمعة فاضلة

بين أفراد الأسرة، إلا أن الجميع يكرهها، ماكرة كثعلب، غالباً ما يظهر ذيله. تكره السيد العجوز لدرجة الموت، تتهم زوجة ابنها بالطمع، وتدعي لنفسها الكرم. إنها تهوى الطعن في الخفاء، تسيء معاملة زوجة ابنها، بينما تتظاهر بالشفقة عليها أمام الآخرين. يصفها بعضهم بالقسوة، ويصفها البعض بأنها غير طبيعية. أما قسوتها فلأنها تُظهر عكس ما تخفي، ولا يعرف أحد ما يخفيه رأسها من مؤامرات؛ وأما أنها غير طبيعية فذلك لأنها متطيرة، جبانة، متخوفة من الفقر والموت، فهي مثلاً إن رأت بجانب الجدار نبتة ذاوية يجتاحها غضب شديد، يحملها على تقطيع النبتة، فإن رآها أحدهم تظاهرت بالشفقة والاهتمام بها، تعتقد بأنها ذكية، قوية عنيفة، طموحة؛ مما تأسف عليه هو زواجها من أسرة مثقفة منهارة، لذا فهي تحقد على نفسها كيف تحولت إلى امرأة طاويّة. متوسطة الطول، في عينيها حَوَلٌ بسيط، جبهتها عريضة وأنفها عالٍ، شفتاها غليظتان، أسنانها بارزة، حاجباها سوداوان دقيقان كذؤابة سيف مصبوغان بدقة وصرامة. حذرة في أفعالها وأقوالها، تختلس النظر إلى من تتحدث إليه. لم تتم الأربعين من عمرها، بدينة، تبدو على وجهها آثار الاستسقاء، ترتدي فستان تشيباو[1] أصفر فاتحاً ذا

---

(١) فستان صيني تقليدي مشقوق من الجانبين

أزهار، حذاء ساتان مطرزاً بالذهبي، تعلق في وسطها سلسلة مفاتيح براقة، بيدها دفتر توفير، مغضنة الحاجبين.

تشانغ شون : (مبتسماً) ماذا ترى سيدتي؟

صه يي: (مثرثرة) اطلب ممن ينتظرون أمام الباب أن يرحلوا.

تشانغ شون: ولكنهم يقولون إن الدين يجب أن يُدفع الآن...

صه يي: الآن ليس عندي نقود.

تشانغ شون: يقولون، (بحرج) يقولون...

صه يي: (تقطب حاجبيها) ماذا يقولون؟

تشانغ شون: يقولون إنهم دهنوا التابوت بناءً على أوامر السيد العجوز، لقد دهنوه بدهان فوجيان[1] الذي اختاره السيد وقد أدخلوه إلى مكانه المخصص (مبتسماً) وقيل لهم أن يأخذوا الأجر الذي يطلبونه من سيدة البيت.

صه يي: (تبتسم بدهاء) ليطلبوا أجرهم من السيد الكبير، قل لهم أن هذا التابوت ليس لتنام فيه سيدة البيت. وإن هم لا يريدون الانتظار فليأخذوا التابوت ويرحلوا، ثم إن وجوده في البيت يثير تشاؤمي.

---

(١) مقاطعة صينية

تشانغ شون: (بتهذيب) أنا أرى أن نعطيهم قليلاً من المال يا سيدتي، فقد أتموا دهن التابوت بمناسبة عيد الخريف العظيم.

صه يي: (فجأة) كم تتقاضى من هؤلاء لتساعدهم في هذيانهم.

تشانغ شون: (مبتسماً، يحاول الدفاع عن نفسه) لا يا سيدتي، أنت ترين . .

(تدخل المربية من الباب الرئيسي للقاعة غاضبة، امرأة في الستين من عمرها عملت لسنوات طويلة في بيت زنغ، كمرضعة للسيد ون تشينغ. جاءت إلى البيت في عصر ازدهاره منذ أربعين سنة، وكانت الخادمة الكفء لسيدة البيت الراحلة. قادمة من الريف، قلبها على لسانها، تربطها بأولاد وبنات زنغ رابطة دم. عاد بها أولادها إلى الريف لتعيش هناك في بيت ريفي صغير لكنها تعود بين الحين والآخر إلى منزل سيدها محملة بالخضار والفواكه. اصطحبت في هذه المرة حفيدها الذي كان يعودها، خطواتها ثابتة، شعرها أشيب، موردة الوجه، صوتها قوي، وكل ذلك يدل على أن بنيتها لا زالت متينة. سمعها خفيف، تعلو وجهها ابتسامة توحي بالسعادة.

لقد سارت حياتها على أكمل وجه. حنونة، ثرثارة، مطّلعة على جميع مشاكل أسرة زنغ، تقول ما ينبغي أن تقوله، لا تتدخل فيما لا يعنيها. ترتدي سترة زرقاء فاتحة، صدرية جوخ زرقاء، سروالاً أسود وخفّاً أسود).

تشانغ شون: (مندهشاً) آه، المرضعة تشن هنا.

المربية: (متوترة، تبحث عن مكان لتضع حملها فيه) إنه لأمر عجيب يا سيدتي ما أكثر الدائنون في عيد الخريف، الجميع يريد أن يسترد دينه! (تلتفت متذمرة) اذهب يا تشانغ واطلب من هؤلاء أن يرحلوا من هنا فأنا لم أر السيدة. (ما تزال متوترة).

صه يي: (بابتسامة مصطنعة) متى وصلت يا سيدة تشن؟

تشانغ شون: (بلهجة اعتذار) ماذا تقصدين يا سيدتي؟

المربية: (تشير بيدها) اطلب منهم أن يغوروا من هنا (تلتفت إلى سيدة البيت وملامح الغضب لا تزال بادية على وجهها) لم أر مثل هذا، لقد أثاروا غضبي. هل يحق لهؤلاء أن يسدوا المدخل طلباً لدينهم (تلتفت إلى تشانغ غاضبة) قل لهؤلاء إن هذا هو بيت السيد زنغ، لقد قبضت أنا المرأة العجوز آلاف القطع الفضية من سيد هذا البيت (بغضب) كيف يجرؤ هؤلاء على منعي من الدخول.

صـه يي: (تهز رأسها مبتسمة وتتوجه إلى تشانغ) حقاً، من يجرؤ على فعل ذلك، من منا لا يعرف المرضعة تشن؟

المربيـة: (بابتسامة عريضة) لا داعي للمجاملة يا سيدة الدار، ليس المهم أن يعرفوا من أنا، ولكن ألا يعرفون بيت من هذا، فأمر يدعو إلى الغضب حقاً، عندما قدمت إلى هذا البيت، كان لا يدخله إلا النبلاء (إلى تشانغ) إن سيدك من الأثرياء، وما يرد البيت في سنة، يكفي لشراء الأراضي، ويغطي نفقات الكنة والأولاد والأحفاد. (مبتسمة) فأخرج تلك الوساوس من رأسك.

تشانغ شون: (مبتسماً) وهو كذلك يا سيدة تشن.

صـه يي: تفضلي يا سيدة تشن.

المربيـة: إيه، من سيتعرف على الكرات الملونة هذه؟ عندما جئت كانت السيدة زنغ آنسة صغيرة (مقارنة) وكان سيدي أكبر منها بقليل حينذاك...

صـه يي: (تطلب من المرضعة الجلوس وتجلس قُبالتها) اجلسي، لا عليك يا سيدة تشن هوني عنك.

المربيـة: إيه، في عيد الخريف...

صـه يي: سيدة تشن، ماذا فعل هؤلاء لك؟

المربيــة: (لم تسمع) آه؟

تشانغ شون: إنها صماء ، لم تسمعك . دعك منها يا سيدتي .

المربيــة: ماذا تقولين؟

تشانغ شون: (بصوت عالٍ) السيدة تسألك ماذا فعل هؤلاء لك؟

المربيــة: (تخرج من جيبها ورقة) انظري ، لقد اعترضوا طريقي ودسوا هذه الورقة بيدي ، ولم يكن لي بد من أخذها .

صـه يي: (تتناول الورقة) آه ، هذه!

المربيــة: (تضرب كفاً بكف) اقرأي ، ماذا هناك؟ .

صـه يي: (تتصفح الورقة) آه ، ترميم الصـور أيضاً بأجر . تشانغ ، أخبر الخدم أن السيد ليس هنا .

المربيــة: آه ، ما به السيد تشينغ!

صـه يي: (تخرج نقوداً) أعطه العشرين يواناً هذه ، يمكنك أن تحسم منها ما تشاء! في انتظار عودة السيد الكبير لنرى كم مرة تم ترميم هذه اللوحات ليصار إلى حسابها بشكل دقيق .

تشانغ شون: وأجر الخياطة ، ومخزن الثمار ، ودهان التابوت ...

صـه يي: (وقد نفذ صبرها) انظر إلي ، واجهني ، هل يجب أن أعيد ما قلته .

تشانغ شون: (يشير إلى الباب الذي على اليسار ، بصوت منخفض) يا سيدتي السيد زوج المحروسة غاضب منذ الصباح ، وهو يقول إن الممر سوف ينهار ، ويسأل هل سترممونه أم لا؟

صـه يي: (متجهمة) قل له إننا نريد ترميمه ولكننا لا نستطيع القيام بذلك الآن . قل له إنه لا يزال صالحاً للسكن ، ثم إن السيد الكبير ينوي بيع البيت .

تشانغ شون: (لم يفهم) سيدتي ، إن الغرفة تدلف هي الأخرى ، ليلة البارحة ...

صـه يي: (بحنق) أنا آسفة ، ليس معي نقود ، سأتحدث إلى السيد الكبير بعد قليل ، وسوف نبني له بيتاً على الطراز الغربي ليعيش فيه .

[يتراجع تشانغ محرجاً ، صوت خارج المسرح ينادي: سيد تشانغ سيد تشانغ!]

تشانغ شون: حاضر ...(يخرج)

صـه يي: (تلتفت بوجه بشوش) سيدة تشن ، هل أنت متعبة ، أليس الجو حاراً؟

المربيــة: (تبدو عليها ملامح الخيبة) حقاً يا سيدة الدار أن صغيري السيد تشينغ ليس في البيت ...

صـه يي: لا تغضبي ، إن سيدك الصغير هناك(تشير للغرفة التي إلى اليمين) لم يستيقظ بعد ، سوف يخرج ليهنئ مرضعته بالعيد .

المربيــة: (ضاحكة) لا تمزحي يا سيدتي ، فأنا مرضعة ، والخادم خادم والسيد سيد إنه يقارب الأربعين ، عنده ابن و كنة وتريدين منه أن يخرج ويهنئ ...

صـه يي: (وقد استهوتها العملية) إذاً دعيني أهنئك أولاً !

المربيــة: (تمنعها) حسناً ، حسناً ، إنني أموت من شدة الخجل ، أنت سيدة كبيرة وحماة ، لا ، لا ...(تجذب كلٌ منهما الأخرى ، السيدة زنغ في الحقيقة لا تعني ما تقول لذا ...)

صـه يي: (تلم ابتسامتها) آه ، كما تشائين .

المربيــة: (بسرور) إنه لأمر مدهش ، لقد قطعت مسافة طويلة من أجل ...

صـه يي: (تقاطعها) أن تري السيد تشينغ .

المربيــة: (مندهشة ، تداري ضحكتها) أنت ممثلة ذكية ، لقد جئت لكي أراكم أيضاً أنت ، صو فانغ ، السيد الكبير ، السيدة ابنته ، السيد حفيده وزوجته ، إن لم أر هذه الأسرة الكبيرة فسوف أعود فوراً .

صه يي: ولماذا؟

المربية: يجب أن أعود مساءً إلى بيتي، لقد وعدت كنتي ...

صه يي: وهل يُعقل هذا، تأتين من الريف إلى المدينة وتعودين بهذه السرعة دون أن تقيمي بيننا لبعض الوقت؟

المربية: (بزهو) آه، قضيت أربعين سنة في هذا البيت؛ تزوج ابني ولم أغادر هذا البيت. انظري أيهما بيتي. سيدتي، اصطحبت حفيدي ليحمل لك بعض الأشياء من الريف.

صه يي: حقاً، ماذا يمكنني أن أفعل أمام لطفك هذا؟

المربية: (بصدق) إيه، إنها أشياء بسيطة. (تتجه إلى صالة الضيوف، تبتسم معتذرة) أين أخبئ وجهي منك، إنها أشياء بسيطة جمعتها منذ الصباح الباكر ...(تنادي) ولدي، صغيري، أين ذهب هذا الولد المخبول بطرفة عين. يا ولد، يا ولد، (تخرج إلى البهو منادية).

[يترامى صوت أسراب الحمام في السماء هادئاً مريحاً. صوت بائع مثلجات جوال يأتي من مكان بعيد، قرقعة أقداحه تطرب الآذان، وتصدر رنيناً رخيماً «دن دون، دن دون، دن دن دون، دون دون دن دن دون» هو أشبه بلكنة أهل بكين، وهي ترجمة لمشاعر بائع سعيد ينادي «بارد وحلو

ويروي العطشان، ومن لا يصدق ليأتِ ويتذوق». في نهاية جملته الموسيقية تلك يرفع صوته بشكل غنائي مزمجراً كالرعد «وصل بائع العصير، آه، يا للرائحة العطرة» ثم يلي ذلك وصلة موسيقية ثانية «دن دون دون، دن دون دون، دون دون دن دن دون»]

(تقترب صه يي من الحقيبة الجلدية وتبدأ بطي الملابس)

صه يي: (تلتفت إلى اليمين) ون تشينغ، هل استيقظت؟

(لا أحد يجيب)

صه يي: ون تشينغ، لقد جاءت مربيتك.

[صوت ون تشينغ من الداخل، صوتٌ أجوف ومتعب: لقد سمعت ذلك، لماذا لم تطلبي منها الدخول؟]

صه يي: أطلب منها الدخول؟ لتملأ غرفة نومنا برائحة الثوم الكريهة، إن كنت تقبل بذلك فأنا لا أقبل. هل ستذهب اليوم أم لا، لقد هيأت لك ملابسك.

[صوت من الداخل:(بهدوء) هل طار الحمام كله؟]

صه يي: (لا تكترث لسؤاله) لقد سألتك هل ستذهب أم لا؟

[**الصوت:** (بافتتان) لقد طار الحمام عالياً هذا اليوم، حتى لا أكاد اسمع صوته]

صه يي: (تقترب من باب غرفتها) حسناً، ما الذي يدور في ذهنك؟ قلت هل ...

[**الصوت:** (يمط الكلمات بحزن) سوف أذهب، سوف أذهب، سأذهب، إنني راحل بكل تأكيد].

صه يي: (تقترب أكثر من الباب وترفع الستارة، تفتح الباب وتلقي نظرة إلى الداخل تصرخ مندهشة لما رأت) أوه، لقد عدت مرة أخرى!

(تسمع وقع خطوات المربية، تغلق الباب وتعود صه يي إلى متابعة عملها. تدخل المربية بصحبة حفيدها تشو الصغير. تشو الصغير في الرابعة عشرة من عمره، يلبس ما يلبسه الأولاد في الريف من ثياب جديدة أيام الأعياد. جوارب، خفافة، جلباب صوف أزرق طويل مطرّز، أكمام قصيرة وقبة فضفاضة. بهتت ألوان الجلباب من كثرة الغسيل، ورقعة حمراء في قبته من جهة الخلف. الجلباب مغضن ... يبدو أنه يخفي شيئاً في عبه ... يبدو تشو الصغير قوي البنية ولطيف الملامح. تتدحرج عيناه ماسحاً المكان بنظرة سريعة وهو يلهث، إنه أشبه بغزال فرّ من الغابة. رأسه كروي أشبه بالقرع، وجهه أحمر مستدير، أنفه أفطس، فمه صغير ومرتفع، ملامحه طيبة وساذجة. يبدو

بين حاجبيه تعبير شيطاني. يحمل بإحدى يديه لعبتين لأرنب وخنزير؛ ويحمل في يده الأخرى قفص حمام، وتحت إبطه دجاجة، يلحق به تشانغ شون وهو يحمل سلة كبيرة فيها دجاج، بيض، ملفوف صيني، رز، وكرفس ... يقف الاثنان ببلاهة والعرق يتصبب منهما)

المربيـة: هيا، هيا، هيا(تثرثر) يا لك من ولد، انظر إلى نفسك كيف تتصبب عرقاً من دعاك لشرب عصير القراصيا؟ ثم إن تناول هذه الأشياء الباردة يضر بمعدتك. (تلتفت إلى تشانغ شون) قل شيئاً يا تشانغ. (تشير إلى حفيدها) من اشترى لك هذه الألعاب؟

تشو الصغير: (ينظر بطرف عينيه إلى تشانغ) إنه... السيد تشانغ

المربيـة: (تلتفت إلى تشانغ مبتسمةً ومعاتبةً) لا تضحك، لن أشكرك على فعلتك هذه.

صـه يي: حسناً، لا توبخيه.

المربيـة: يا ولد، لم تسلم على السيدة زنغ بعد. ضع الأشياء من يدك، هيا.

(يضع تشو الصغير قفص الحمام الفارغ على الأرض، ويضع الدجاجة في السلة التي يحملها تشانغ)

صـه يي: لا داعي لذلك ، جئتما من مكان بعيد ولا شك أنكما متعبان .

المربيـة: (ترى أن تشو لا يريد أن يتخلى عن ألعابه ، تأخذها منـه) ضعهما لن يأخذهما أحد(تحمّلهما لتشانغ ، تشانغ في غاية الحرج وهو يحمل كومة من الأشياء) .

صـه يي: لا تجثُ ، إنه لأمر مزعج .

المربيـة: (تضحك) انظري إلى هـذا الولد الريفي! لقد نسي كل التعليمات التي لقنتها له طوال الطريق . (تضغط على رأسه) احنِ رأسك لأسيادك يا ولد .

(يلتفت تشـو الصغير إلى جدته ، يبدو مذهولاً ، ينتظر حتى ترفـع جدته يدها عن رأسه ليجثو على الأرض مطأطئاً الرأس ، ثم ينهض مباشرة)

صـه يي: (كانت قد أخرجت صرّةً حمراء صغيرة) حفظك الله من كلّ سوء وأطال في عمرك! خذ هذا واشتر بعض الحلوى . (يقف تشو ببلاهة)

المربيـة: آه ، عظيم ، وفوق كل هذا تمنحينه نقوداً . (إلى تشو) خذْها ، لا تخجل ، هي أيضاً بمقام مربيتك . (يأخذ تشو الصرة) قل لها شكراً (يلتفت تشو إلى تشانغ ويستعيد لعبتيه منه

وهو يضحك ببلاهة) هذا الولد لا يقف كما يجب ولا يجلس كما يجب ، ولا يحيّي كما يجب ، اجلسي يا سيدتي ، آ ، الطقس حار!(تسحب كرسياً وتجلس) قلت لحفيدي أثناء الطريق ...

تشانغ شون: (وقد نفذ صبره) هل أظل حاملاً الأغراض هكذا!

المربيـة: (تلتفت ضاحكةً) ذكرْني ، لقد نسيت!(تأخذ السلة منه بينما توجه كلامها إلى السيدة) سيدتي ، لا يوجد في الريف ما يؤكل ، هـذه بعض الأشياء التي زرعتها بنفسي ، قليل من الكرّات ، والكرفس فليفله ، خيار فلفل ، لوبيا ، وقليل من ...

صـه يي: هذا كثير ، كثير جداً .

المربيـة: وهذا قليل من الرز ، وبيض ، ودجاجة .

صـه يي: لقد نقلت مؤونة بيتك كلها ، يا عيب الشوم ، بعد أن كابدت عناء حملها لن أطلب منك العودة بها ...(تلتفت إلى تشانغ) خذْ هذه الأغراض يا تشانغ .

المربيـة: (إلى تشانغ) لقد أحضرت لك فجلتين كبيرتين . (تبحث عنهما)

تشانغ شون: (ضاحكاً) لا تبحثي عنهما ، فقد صارتا في معدتي .

(يحمل تشانغ السلة ويخرج من باب صالة الضيوف)

تشو الصفير: (يهمس) جدتي.

المربيـة: ما بك؟

تشو الصفير: (بصوت منخفض) هل أخرجها أم لا؟

المربيـة: (محتارة) ماذا؟

(ينظر تشو إلى جدته ثم فجأةً يحاول إخراج الحمامة من عبه)

المربيـة: (تتذكر فجأةً) آه!(مضطربة) أين هي؟أين هي؟

تشو الصفير: (يبدو خجلاً بينما تستخرج من ثيابه حمامة رمادية صغيرة، لها غرّة ولريشها بريق، وبقعٌ بنفسجية اللون تغطي جسمها، تبدو جميلة وكأنها جرس نفيس) هنا!

المربيـة: (تمسك بالحمامة، وتكلمها بصوت مرتجف من شدة السعادة) صغيرتي، عزيزتي، أنت هنا! لا عجب أن شعرت بشيء ينقصني(إلى السيدة زنغ) انظري إلى هذا الولد! في الحقيقة أحضرت زوجاً من الحمام لصغيري السيد تشينغ. وضعتهما في القفص، وأثناء الطريق أخرجهما ليلعب بهما فطارت واحدة. ومن حسن حظ صغيري السيد تشينغ بقيت الأجمل، المسي ريشها يا سيدتي. (تحاول أن تضعها في يديّ السيدة زنغ) قلبها يخفق!

صـه يي: (تنفر بشكل غريزي من الحمامة، تتراجع إلى الوراء، تضحك بقوّة) حسناً، حسناً، حسناً. (تنادي باتجاه الباب الذي على اليسار) ون تشينغ، لقد أحضرت لك المربية حمامة!

المربيـة: (لم يسعها إلا أن تنادي) صغيري وسيدي تشينغ.

[صوت زنغ ون تشينغ من داخل الغرفة: «السيدة تشن»]

المربيـة: (تحمل الحمامة وتتوجه إلى غرفة السيد تشينغ) سوف أحملها لك كي تراها (تهم بالدخول)

صـه يي: (بسرعة) لا تدخلي.

المربيـة: (مأخوذة) ماذا؟

صـه يي: إنه، إنه لم ينهض بعد.

المربيـة: (مغتبطة) ولمَ الخوف إذاً، سوف أجلس إلى جانبه على السرير وأتحدث إليه. (تمشي)

صـه يي: توقفي. الغرفة وسخة.

المربيـة: (بحب) إيه، لا عليك. (تمشي)

صـه يي: (تنادي) ون تشينغ، هل بدلت ثيابك أم لا؟

[صوت ون تشينغ من الداخل: إني أبدلها الآن!]

المربيـة: (تضحك) إيه، كم كبرت ومازلت أخاف منك. (تدفع الباب)

[صوت ون تشينغ من الداخل: لا تدخلي، لا تدخلي.]

صه يي: (تمنعها من الدخول) انتظري لحظة، إنه لا يحب أن يراه أحد بينما هو يغير ملابسه ...

المربيـة: (بخيبة) حسناً، لا عليك، من الصعب أن يغير المرء طبعه. (بحنان) كان السيد تشينغ في السادسة عشرة عندما كنت أساعده في تبديل ملابسه يا سيدتي. (تعيد الحمامة إلى تشو الصغير) حسناً، أطلق سراحها إذاً!(توجه كلامها إلى الداخل) كيف حالك مؤخراً يا سيدي.

صه يي: (تسحب كرسياً) تفضلي اجلسي.

[**صوت ون تشينغ:** (بحرارة) بخير، وأنت يا سيدتي؟]

المربيـة: (بصوت عالٍ) أنا بخير!(يعود لوجهها بريقه) لقد رُزقت بحفيدة.

(يعيد تشو الصغير في هذه الأثناء الحمامة إلى القفص)

[**صوت ون تشينغ:** مبروك لك.]

المربيـة: (بصوت عالٍ) ولكنها ليست سمينة!(تجلس)

صـه يي: يقول مبروك لك .

المربيـة: إيه ، ما المبروك في هذا ، ليست إلا بنتاً!

[**صوت ون تشينغ:** كم يوماً ستقيمين هذه المرة .]

المربيـة: (تمد عنقها وترفع صوتها) آ ، لقد أتمت شهرها الأول .

صـه يي: إنه يسأل كم يوماً ستقيمين عندنا .

المربيـة: (تهز رأسها) لا ، سوف أعود فوراً .

[**صوت ون تشينغ:** (لم يسمع) آ؟]

المربيـة: (تقف ، بصوت عالٍ) سوف أعود فوراً يا سيدي .

[**صوت ون تشينغ:** ما الذي يشغلك؟]

المربيـة: آ؟

[**صوت ون تشينغ:** (بصوت عالٍ) ما الذي يشغلك؟]

المربيـة: (لم تسمع) ماذا؟

تشو الصغير: (لم يستطع مقاومة الضحك) جدتي ، أنت صمّاء فعلاً ، هو يسأل ما الذي يشغلك؟

المربيـة: (تصرخ وتعيد الكلام بحيرة) ما الذي يشغلني؟(متضايقة ، ثم تبتسم) إيه ، ولِمَ الكلام بصوت منخفض . حسناً ، سوف انتظره حتى يخرج سيدي ، سوف أذهب لرؤية الآنسة صو فانغ!

صـه يي: لا بأس، سوف أرسل من يستدعيك بعد قليل. (تأخذ من صحن موضوع فوق الطاولة سيخاً من الزعرور الصيني المغطس بالسكر) تشو خذْ هذا لك. (تعطيه له)

المربيـة: قل شكراً يا ولد!(يأخذ تشو الحلوى ويضعها في فمه) تأكل! وتأكل!(تسحب الحلوى من فمه فجأةً) توقف عن الأكل! انظرْ(عينا تشو معلقة بسيخ الحلوى) ضعْ هذه الألعاب من يدك وتعال معي!

(يضع تشو ألعابه، ويعز عليه ذلك، تمسك جدته بيده وتخرج به من باب غرفة التربية)

صـه يي: اللعنة!(تضع الألعاب جانباً، وتحمل قفص الحمام...)

[**صوت ون تشينغ من الداخل:** سيدة تشن!]

صـه يي: خرجت.

(يخرج زوجها زنغ ون تشينغ من الغرفة التي على اليمين. إنه وسيم وأنيق لا تجد ما يماثله بين الشعراء: نحيف، يرتدي ثوباً طويلاً، ألوانه بسيطة ومتناسقة، يبدو فاتر الهمة في حديثه وفي سلوكه. ومع ذلك فهذه طبيعته، يوحي بالطيبة من النظرة الأولى، ذكي، يحمل جبينه ملامح الفطنة. وجهه

شاحب، جبينه عريض، وجنتاه بارزتان، شفتاه شاحبتان، يبدو شديد الشفافية، عينان غائرتان فقدتا بريقهما، حزينتان كئيبتان. عندما يحدق تبرق عيناه، عروق صدغيه نافرة قليلاً، عاش وترعرع في وسط بكين المثقف، يقضي معظم وقته في لعب الشطرنج، ونظم الشعر، والرسم. الحياة في بكين مملة، ففي الربيع تُطلق الطائرات الورقية، وفي ليالي الصيف يذهب الناس للتنزه على ضفاف بحيرة «بي هاي»، وفي الخريف تكثر الرحلات إلى الجبل العطري للاستمتاع بمنظر الأوراق الحمراء، أما في أيام الشتاء الصافية فيرسم الناس تحت نوافذ بيوتهم. يلجأ لنظم الشعر في الأوقات الموحشة، وإلى اللامبالاة في الحالات النفسية الصعبة، حيث يجلس وحيداً يشرب الشاي، لقد قضى نصف حياته في كسل وخمول. بسبب دلال والديه له منذ الصغر، فقد تزوج بسن مبكرة، هزيل الجسم، خاوي اللغة، هادئ السلوك. زار أماكن كثيرة، ذكي جداً، كان يُوصف بالعبقري في طفولته. في سن السادسة والثلاثين انقلبت أمور حياته، وأصبحت خاوية لا روح فيها، يبدو في نهاية اليوم كمن فقد شيئاً. خفيف الظل، حديثه حسن، سلوكه صريح ولطيف، ولكنه يوحي بفتور الهمة في الفعل والتفكير والاهتمام

والكلام ، وفي حركاته ووقفاته ونظراته وفي كل شؤونه مما يستدعيه بذل جهود كبيرة. سأمه من الحياة وفقدانه لأي أمل حمله على التكاسل. تسرب الكسل إلى شعوره ، وشلّ قدرته على النظر إلى الحياة باعتبارها صدفة فارغة ، مع أنه شديد التهذيب ، إلا أن روحه تفيض بالبريق أحياناً ، وملامحه بالغرابة. إنه أحد أبناء الأسر المثقفة وهو نتيجة لثقافة بكين الفاسدة ما قبل الاستقلال. إنه مسلوب الإرادة. ألمٌ ما يثقل صدره. كانت حياته بعد الزواج موحشة ، مُهملة ، قليلاً ما يجد في حياته الخاوية تلك ملاذاً هادئاً ، لم يتوقع أن يبلغ قلبه رشده ، وتعود روحه إلى جسده كطائر يعود إلى عشه عند الفجر. اعتقد أن يجد في الحياة الزوجية الراحة والطمأنينة ، وخشي أن يعبر عن عواطفه ويُفتضح أمره. حياته الزوجية بمثابة قيد رهيب ، وقلق كامن ، مثل الماء في بئر قديم. بصمت استبدل وزوجته سعادتهما بشقاء ، وانعدمت على مر السنين والأيام أواصر الوفاق ، وصار التفكير في تحقيق السعادة أمراً مستحيلاً. لقد صبر على ألمه وأضاع بشكل غامض سنواته وأيامه ، إلى أن استكان للأمر الواقع في نهاية المطاف ، وانغمس في نوع من هواية تحطيم الذات. هو الآن في منتصف العمر ، حتى أمله في ملاذ هادئ قد تهاوى ،

علّق آماله على ابنه، إلا أنه هو الآخر تزوج وفق الأوامر، وحده من حصد الخيبة والألم، ورأى كيف وقع ابنه في الحفرة التي وقع هو فيها. ظروف الأسرة تزداد سوءًا، وأيام عزّها ولت دون رجعة. تعاظمت عليها المصائب والمحن شيئاً فشيئاً، مما جعل من روح اللامبالاة والكسل شيئاً مألوفاً، والتخوف من أي محاولة هروب من البيت ومغادرة المدينة إلى مكان أكثر اتساعاً والاختلاط بالناس والعالم، لقد فقد الطائر الشجاعة لتعلم الطيران ومغادرة عشه القديم. هو خائف متردد، اكتفى بالجلوس في البيت والتأمل. لقد كره هذا البيت، وإذا ما أراد الانفصال عنه، وجد أنه تنقصه القدرة والإرادة لتحقيق ذلك. عثّة الزمن قرضت روحه شيئاً فشيئاً، ففقد القدرة على التعبير عن ألمه، وجلس حبيس البيت. يدخل بينما هو لا يزال يزرّر أزرار سترته)

ون تشينغ: (ظل ابتسامة على وجهه) هل خرجت فعلاً؟ لِمَ لم تطلبي منها البقاء قليلاً؟

صه يي: (غير مكترثة له) هذه الحمامة هديتها لك. (تعطيه الحمامة وتخرج)

ون تشينغ: (يرفع قفص الحمامة) مسكينة، لقد حملتها المربية من مكان بعيد(يتأمل الحمامة بإعجاب) آه، لها قبّرة! منقار قصير!(بإعجاب) هذه لا تعيش بمفردها، فكيف ...(يرفع رأسه فيبدو وجهه شاحباً بعض الشيء)

صه يي: ون تشينغ، لِمَ أشعلت المصباح مرة أخرى؟

ون تشينغ: (يكفهر وجهه، يُنزل القفص ببطء)

صه يي: (تثرثر) لقد سألني والدك أمس عما آلت إليه حالك مؤخراً؟ فيما إذا أقلعت عن الدخان أم لا. قلت له أنك أقلعت عنه منذ زمن(بصوت حاد) غريب! غريب! أخذت الدواء، وأقلعت عن الدخان، غريب أن تثير المتاعب قبيل سفرك؟

ون تشينغ: (يتنهد، يجلس) آه، لا تتدخلي بشؤوني، دعيني أُشعل الضوء لكي أرى.

صه يي :(بازدراء) من يتدخل بشؤونك؟ إننا نعيش معاً، اهتم بكرامتي قليلاً، هل تريد حقاً أن تكون كما يقول صهرك، لا تخرج من البيت ولا تعمل شيئاً، فقط تشرب الشاي وتدخن، تلعب مع الحمام وترسم، أو تظل شارد الذهن طوال عمرك؟

ون تشينغ: (بهدوء) ما الذي تريدينه مني، ألستُ راحلاً؟

صه يي: تريد أن ترحل، ابقِ لي قليلاً من الكرامة، لا تتركني مرة ثانية في ظلام دامس

ون تشينغ: (بحزن) أليس هذا هو ما تريدينه مني؟ ماذا تطلبين أيضاً؟(يحدق إلى الأمام)

صه يي: (ببرودة) من فضلك لا تتظاهر بالمسكنة. أنا لست شيطاناً! لا تجعل الآخرين يعتقدون أنني ظالمة، وأنني اضطهدك طوال الوقت، فأنا لا أقوى على حمل هذه السمعة. (تذهب إلى أمام الصندوق)

ون تشينغ: (يحدق في الحمامة) اصمتي، عند مساء اليوم لن أكون هنا.

صه يي: (ترفع غطاء الصندوق، تلتفت إلى تشينغ) اسمع، أنا لم أجبرك على عمل شيء، لذا لا تحمل الآخرين على الاعتقاد أنني من يطلب منك الرحيل. ما الذي يضايقك ويجعلك تحمل الجميع على نعتي بالزوجة التي تضطر زوجها إلى الرحيل، أنت زوج فاضل، أما أنا فامرأة غير فاضلة. (تثرثر بينما تستخرج ملابس زوجها من داخل الصندوق) لقد أُهنت بما فيه

الكفاية في هذا البيت ، آه لقد عانيت الأمرّين عندما كنت كنة ، وبعد أن أصبحت حماة ، من الكبير ومن الصغير ، وبين هؤلاء وهؤلاء هذا السيد ...

ون تشينغ: (وقد سئم ، يرى من الأفضل تغيير الموضوع) آه ، لقد تم تعليق لوحة البامبو .

صه يي: (تنظر بطرف عينيها) نعم تم تعليقها ...

ون تشينغ: (يذهب ويقف أمام اللوحة) مبطّنة بشكل جيد .

صه يي: (بسخرية) أرى أنها مرسومة بشكل جيد! يا له من أسلوب أنيق في الرسم والخط ، حقاً إنها فتاة موهوبة ، موهوبة بالفطرة .

ون تشينغ: (بضيق) لا داعي لهذا الكلام لأنه سوف يسعد الآنسة صو .

صه يي: (بازدراء) إيه ، غريب ، تبدو خائفاً. أتساءل ما بكما أنتما الاثنان؟ ترسم الآنسة صو لوحةً فتُعجبُ بها كل هذا الإعجاب ، فتنظم لها الشعر ، وتكتب لها الخط ، ثم تُبطّن لها اللوحة بنفسك ، اسمع ، أنا لست غبية . إني أؤيد الزواج من امرأة شابة مائة بالمائة؛ رجل لا يسعى وراء المال والشراب ، إلامَ يسعى إذن! لكن يوجد هكذا نوع من الرجال ، (بسخرية) فتاة مثل الآنسة صو ...

ون تشينغ: (بقليل من الغضب) لا تتكلمي جزافاً هكذا على فرد من أفراد الأسرة. إنها فتاة لم تتزوج بعد!

صه يي: غريب(تبتسم بدهاء) ومن تكون بالنسبة لها لتهتم بها كل هذا الاهتمام.

ون تشينغ: (بِود) ليس لها أم ولا أب وهي تعيش بيننا، ألا ترأفين بحالها!

صه يي: (تزم شفتيها بدهاء) أنت تشفق عليها، ولكنها لا تشفق عليك(تتوجه إليه) أنت لا تريد أن تعترف أنها لا تتكلم في حقك كلمة واحدة، تبدو متسامحة، لكنها بلا مشاعر. (بثقة) أنا أرى أن فتاة كهذه، (مثرثرة) هي فتاة تمتلئ خبثاً، كلما قل الكلام، ازداد الدهاء. لماذا تقيم بينكم ولا تريد أن تتزوج؟ هي ليست عرجاء ولا عمياء، وتستطيع الرسم، فلماذا ترتضي العنس على غير العادة، تقتل نفسها في خدمة السيد العجوز؟(ابتسامة صفراء) لا أريد ظن السوء بها، وأترك ذلك لخيالك.

ون تشينغ: (ينظر إليها ببرود) لا خيال عندي .

صه يي: (منفجرة) لا خيال عندك، إذاً فأنت غبي!

ون تشينغ: (يقطب حاجبيه بحزن) إيه، لا أريد أن أكون ذكياً(يدخل إلى غرفة التربية مطأطئ الرأس، يقف أمام طاولة الرسم، يبدو أنه يبحث عن شيء ما)

صـه يي: (وقد شعرت بالرضا) أنا ذكيـة؟ حتى الذكي لا يقـوى على العيش في بيتكم هذا لعشرين سـنة. كان يجب أن أفعل ما تفعله العرائس، آكل في المطاعم، وأشـاهد المسرح، وأتعامل مع هذه الأسرة ككنة كي لا يقطب سيد البيت حاجبيه كلما رآني، كما لو كنت مُدانة لملك الجحيم. (تتباهى) إيه، امرأة ذات مال وجاه عصبية المزاج في الأربعين من عمرها وتخضع لطاعة حماها، تسهر على راحة كنّتها هي الأخرى، وبين هذه وذاك تهتم بزوجها. (تحمل زبدية دواء الجنسنغ) حسناً، حسناً، لقد برد الدواء، اشربه بسرعة.

ون تشينغ: (يقطب حاجبيه، لا يقوى على الإصـغاء، فجـأة، يستخرج من درج الطاولة لوحة مبطنة لمنظر جبال وأنهار، يحمرّ وجهه) انظري، من فعل هذا؟(تسقط من حافة اللـوحة حشرة ذات أسنان كبيرة، وقد أحدثت فتحة كبيرة في وسط اللوحة)

صـه يي: (تضع الزبدية) ماذا؟

ون تشينغ:

(ينفض اللوحة) انظري، انظري!

صـه يي: (بشماتة ولا مبالاة) هذا ليس من فعل ربيبتنا صو فانغ.

ون تشينغ: (يعود إلى الطاولة، يفتش في الدرج) هذا فأر! هذا فأر!(يقترب ولا يقوى على نفض اللوحة) لقد سبق وقلت، بيت قديم تملؤه الفئران، ويجب شراء سم لها، ولكنك رفضت.

صه يي: لقد سبق واشترى سيد البيت سماً. (ساخرة) فئران اليوم تختلف عن فئران أيام زمان، إنها أكثر ذكاءً. يوضع لها السم فلا تأكله، وتأكل الأشياء التي تسبب الألم لصاحبها.

ون تشينغ: (حزين) لقد أتلفت اللوحة.

صه يي: (بسخرية ودهاء) ثم ما الغريب في ذلك، اطلب من الآنسة صو أن ترسم لوحة أخرى؟

ون تشينغ: (لم يعد يحتمل، بصوت عال) أنت...(يحاول أن يفسر لها الأمر ثم يعدل عن ذلك لأنه لا جدوى من الحديث مع هذا النوع من الناس، يجلس مذهولاً، مُطأطئ الرأس) هذه اللوحة أنا الذي رسمتها.

صه يي: (مستغربة، لكنها تحافظ على لغتها الساخرة) غريب، أن تجتذب لوحةٌ فأراً يقرضها، إنه لأمر مقلق؟ لقد اجتذبت أملاك الأسرة على مدى السنين الماضية فئراناً كثيرة أتلفت كل شيء، فبدوتَ كإنسانٍ لا قضية لديه.

ون تشينغ: (يزفر زفرةً طويلة، يترك اللوحة على الأرض، يبتسم بمرارة) إيه، الطعام موجود فليأكل الجميع.

صـه يي: (غاضبة) الطعام موجود فليأكل الجميع؟ لقد ترك لك جدك أملاكاً كثيرة وأنت تتبجح هكذا. والدك مازال حياً، لذا فإن نصف هذه الأملاك لك، وعندما يموت سيد البيت ...

[فجأة يُسمع صوت سباب وشتائم من الغرفة التي إلى اليسار، صوت متغطرس يسب ويشتم دون رادع من حياء، ذاك النوع من السباب السوقي الذي اعتادت عليه الجواري في غابر الزمان. الصوت: انقلعي! انقلعي! انقلعي! يا أولاد الحرام، يا كلاب.]

صـه يي: (إلى ون) اسمع.

[**الصوت**: (يبدو أنه فتح نافذة على البهو الخلفي للبيت وراح يصرخ) تشانغ شون، تشانغ شون، لين ما! لين ما!]

ون تشينغ: (يمشي حتى باب الصالة، ينادي) تشانغ شون، تشانغ ...

صـه يي: (منفجرة، تحدق بزوجها وهي مستفزة) لِمَ تناديه؟(بسبب هدوء ون، تخفض صوتها) دعه يناديه بنفسه، طوال يومه يضرب الدجاج ويشتم الكلاب. (تصر بأسنانها) آه، هو يودعك على طريقته!

[**الصوت**: (يلهث) تشانغ شون، إنه عيد الخريف، هل متم جميعاً، مُتّم كلكم!]

صه يي: (بهدوء، تبتسم بدهاء) اسمع!

[**الصوت:** (يمد الأحرف) تشانغ ... شون!]

ون تشينغ: (يتقدم وقد نفذ صبره) تشانغ ...

صه يي: (تمنعه، بحزم) لا تنادي! لنرَ كم سيستبد صهرنا بغضبه!

(صوت تكسير زبدية، يليه بكاء امرأة). (صمت)

ون تشينغ: (بصوت منخفض) لم تشفَ أختي من مرضها، وهاهي تبكي!

صه يي: (تبتسم بازدراء) لا بأس، إنها تعرف أنه يستأسد عليها. الطلاب الدارسون في الخارج كثيرو الثرثرة أيضاً!

[**الصوت:** (يلي كلام صه يي مباشرة) أولاد حرام!(صوت تكسير بعض الفخاريات والخزفيات)

الصوت: (يصرخ) هل مات كل سكان هذا البيت؟]

صه يي: (غاضبة، تتقدم إلى الأمام) حقاً إنه لا يرى أحداً أمامه! ألم نشترِ أغراض بيتنا هذه بنقود أم لا؟

ون تشينغ: (يعترضها ناصحاً، بصوت منخفض) صه يي، لا تتشاجري معه.

(يدخل تشانغ شون من باب صالة الضيوف مندفعاً)

تشانغ شون: (مذعوراً) هل زوج السيدة يناديني؟

ون تشينغ: ادخل إليه بسرعة!

(يدخل تشانغ مسرعاً الغرفة التي إلى اليسار)

صه يي: (غاضبة) «الطعام موجود فليأكل الجميع»(إلى ون) قدم الطعام لهذا النوع من الذئاب، هل يشكرك على ذلك؟ أي إنسان مدهش؟ يكسب المال بالاحتيال، يجب أن يُطلب القبض عليه أينما وُجد، يختبئ في بيت حميه، ألا يهين هذا كبرياءه؟(تشير إلى الباب) يجب أن يكسر شيئاً للذكرى بمناسبة كل عيد. أنا لا أعرف ...

(زنغ تينغ – ابن ون تشينغ وصه يي – يدخل منفعلاً يتصبب عرقاً من باب صالة الضيوف. هو في السابعة عشرة من عمره، متزوج منذ أكثر من سنتين زوجته تكبره بسنة، عندما كانا طفلين، كانت أسرتا جديهما متجاورتين، عقد الجدان بالنيابة عن حفيديهما عقد الزواج، ومرت السنون والأيام وكبر الحفيدان أمام ناظري جديهما، وقبل أن يدخل تينغ المدرسة المتوسطة بسنتين، كان الحفيدان يلعبان معاً كرة السلة بسعادة،

يتضاربان بكرات الثلج ، يتعاركان حتى يشج أحدهما رأس الآخر في بعض الأحيـان ، وكانا يتتظران يوم سـعد لتسوية أمـور الزواج ، وذات يوم بين هرج ومرج ، اهتزت به الأرض من قرع الطبل والصنج والمفرقعات النارية ، واجه الفتيان ابن الخامسة عشرة وابنة السادسة عشرة الوديعان حدثاً جليلاً ، وقد دُفع بهما أمام لهيب التنين الحارق وهما يؤديان : السـجدة الأولى والثانية والثالثة ... عاش الاثنان بعدها سنتين وسبعة شهور في غرفة باردة . في الشهر الأول بعد زواجهما توفيت الجدة قبل أن يأتي ابن الحفيد ، وكان تينغ وزوجته مثل رفيقي درب ، يمر نصف شهر أحياناً لا يتبادلان جملة واحدة ، عاشا حياتهما على مضض ، حياة أشبه بحياة الحيوانات . كان عليه في كل يوم بعد عودته من المكتب أن يستظهر بعضاً من قصائد كتاب «مختـارات تشاو مينغ»[1] ، وأحياناً ينسج بعض القصائد . وعندما يعود إلى غرفة نومه بعد الثانية ليلاً ، يرى من خلال ضوء شاحب زوجته ما تزال جالسة ، ودون أن ينبس بكلمة يندس بهدوء في الفراش

(١)- ZHAO MING WEN XUAN : مختارات شعرية جمعها وألفها (LIANG XIAO TONG « ٥٠١ - ٥٣١») ولأنه ابن الإمبراطور ليانغ وو الأكبر أطلق عليه لقب ولي العهد الوهاج لذا سميت المختارات باسمه . وهي أقدم مختارات شعرية من عصري تشن وهان لازالت حتى الآن .

وينام ، لقد كبر قبل أوانه ، إن الحياة القاسية التي عاشها جعلته مهموماً طوال الوقت ، فتىً صغيراً ، شارد الذهن دائماً ، يتخيل بصمت الروايات التي سبق وقرأها مثل «المقصورة الغربية» و «القصور الحمراء» . تلك الروايات التي لم تكن إلا عبارة عن كذبة جميلة ، و الواقع شيء آخر . بعد دخوله المدرسة المتوسطة بسبعة شهور حدث اختلاف كبير في حياته ، حياة زملاء المدرسة التي تشبه حياة الأحصنة البرية ، جعلته يستعيد حياته المفعمة بالحيوية ، ووجد أفراد الأسرة في ذلك شيئاً من التهور الصبياني . هذا التهور الذي طرأ فجأة ، لم يرض رب الأسرة ، كما أثار دهشة واستنكار الأقرباء أيضاً ، ذلك لأنه ينبغي على أولاد زنغ أن يتصفوا بالرجولة منذ ولادتهم ، وأن يجوبوا البلاد طولاً وعرضاً ، لقد فتنته الحياة خارج البيت . بدأ يحب الرياح والشمس والحيوانات والناس وهم يتسلقون الأشجار لقطف العناب ، لا بل يذهب وحيداً إلى ضفة النهر ليطلق الطائرات الورقية . خاصة بعد أن جاءت ابنة عالم الأجناس ، فقد اجتذبته ليشاركها لعبها وشغبها . لقد تبعها في جميع خطواتها . إن فتى وراءه مثل هذه الفتاة ، هما أشبه بشعلة متوقدة ، كانت تلعب معه ، ولا تكف عن الثرثرة وطرح الأسئلة التي يصعب الإجابة

عليها. شعر تينغ أن عالماً جديداً قد انفتح أمامه وبدأ قلبه يخفق فجأة مثل فتى في حبه الأول. الحقيقة أنها التجربة الأولى بالنسبة إليه. بدأ ينسى التقيد بالأنظمة شيئاً فشيئاً، لدرجة أن ينسى نفسه أمام حيويتها ويشاركها القفز أحياناً، وأحياناً أخرى ترغمه على منازلتها القتال مما يسبب له بعض الإرباك، لقد نسي ببساطة أنه شاب في السابعة عشرة من عمره، كما كان جده وأمه يقولان له إنه الرجل المكلف بالأسرة. وُلد رقيقاً وسيماً مثل أبيه. وجه شاحب ونحيف، عينان سوداوان تبدوان صافيتين كبركتي ماء، يلبس جلباباً طويلاً باهت اللون، خُفاً من القماش، سروالاً أبيض. قطرات من العرق ما بين حاجبيه)

تينغ: (يلمح أمه فيقف) ماما!

ون تشينغ: هل عدت من المدرسة؟

تينغ: إي، بابا.

صه يي: (متذمرة) تينغ، تذكَّرْ، لا تعمل مثل زوج عمتك، حتى لو متَّ من الجوع فلا تأكل طعام حميك. انظر إلى السيد يوان، إنه يدفع إيجار الغرفة في نهاية كل شهر، وإن أكل يدفع ثمن ما يأكل، وهو مُحترم من الجميع. حقاً أنا لم أر مثل زوج عمتك، حجرة مرحاض صلبة وكريهة الرائحة!

[صوت فتاة من ناحية بهو البيت الأمامي: (بفرح) تينغ! تينغ!]

ون تشينغ: اسمع ، من يناديك؟

[**صوت الفتاة:** زنغ تينغ! زنغ تينغ!]

تينغ: (لم يجد بُدّاً من الإجابة أمام والديه) آ!

[**صوت الفتاة:** (ضاحكة) تينغ ، لقد انتهيت من خلع ملابسي هيا تعال!]

صه يي: (بلهجة قاسية) من هذه؟

تينغ: إنها ابنة السيد يوان .

صه يي: وماذا تريد منك؟

تينغ: (مُحرجاً) إنها ، إنها تريدني أن أرشها بالماء .

صه يي: (مندهشة) ماذا ، خلعت ملابسها كي ترشها بالماء ، هذه الفتاة الصبية!

تينغ: (مفسراً) هي ، هي دائماً هكذا .

صه يي: (توبخه بسخرية) وأنت تلعب معها؟

تينغ: (مبرراً) هي ، هي طلبت .

صه يي: (بصرامة) لا تذهب! في عيد الخريف وتتراشقان بالماء البارد ، مجنونان! أنا لا أحب هذه الطباع في عائلة السيد يوان ، لا يحترمان القوانين ، فتاة حمقاء لا حياء فيها .

[**صوت الفتاة:** (بصوت عالٍ) زنغ ... تينغ]

تينـغ: (بصوت منخفض) إيه!

صـه يي: (تمنعه) لا ترد عليها!

تينـغ: (يهم كي يخبرها) ولكن اسمحي لي أن (يخطو) ...

صـه يي: (تمنعه) لا تذهب! أنت ما زلت صغيراً! عمرك سبعة عشر سنة ومتزوج. كان جدك أصغر منك وكان يُعيل أسرة!(فجأة) هل عادت زوجتك إلى البيت أم لا؟

تينـغ: (يتألم لسماعه كلام أمه، بصوت منخفض) اتصلت بها هاتفياً.

صـه يي: وماذا قالت؟

تينـغ: (خائفاً) لست أنا من تكلم معها، لقد طلبت من عمتي صو أن تفعل ذلك.

صـه يي: (غاضبة) ولِمَ لم تكلمها أنت، طلبتُ منك أن تكلمها، فلماذا لم تفعل؟

[**صوت الفتاة:** (في الوقت نفسه) زنغ تينغ، أين اختبأت؟]

تينـغ: (مرتبكاً، لا يعرف على من يجيب) عمتي صو فانغ كانت قد طلبت منها شراء بعض أخشاب الصندل.

[**صوت الفتاة:** (غاضبة) إن لم تجبني هذه المرة سوف أغضب .]

صه يي: (تلاحظ أن قلب ابنها مازال يخفق . وقبل أن يخطو تينغ خطوة ، تبادره بغضب) لا تتحرك ، طلبت منها صو فانغ شراء الصندل ، ليكن . (بإصرار) لقد طلبتُ منك بالذات أن تكلم زوجتك ، لماذا لم تفعل؟ إني أسألك لماذا لا تسمع كلامي؟ آه؟

تينغ: (يسترق النظر إلى أمه ، ثم يخفض رأسه)

ون تشينغ: (يتنهد) إنهما لا يتكلمان مع بعضهما ، وأنت تطلبين منه ذلك ، فلِمَ تجبرينه؟ إن الإكراه شيء بغيض .

[**صوت الفتاة:** (تنادي بصوت عالٍ) زنغ ... تينغ !]

صه يي: (فجأة ترد عليها) عليك اللعنة!(إلى ون) «الإكراه شيء بغيض» أنت من يحرضه على فعل ذلك ، إني أسألك ، من تعود إلى بيت أهلها في مثل هذا اليوم ، قوانين أية أسرة هذه؟ ألا تعلم أن ظروف أسرتنا الآن ليست كما يجب ، الخدم قلة ، وأنا لن أدخل المطبخ لمساعدته في إعداد الطعام(بسخرية) إيه ، ليس لدينا نقود نصرفها لاستقدام خدم جدد!(إلى تينغ ، متنهدة) قل لها ، أينما تذهب يجب عليها أن تقول ، لقد تزوجت من أسرة مثقفة ، ونحن في أسرتنا لا نهتم إلا بهذه القوانين البالية!

(تدخل الآنسة يوان يوان من باب الصالة راكضة، إنها الابنة الوحيدة والمدللة لعالم نذر نفسه لدراسة «علم الأجناس»، تحمل في يدها سطل ماء بارد، تلبس بنطالاً صبيانياً قصيراً، تبدو ساقاها قويتين وممتلئتين كساقي بقرة صغيرة، تتأمل المكان بحيوية. تبدو عليها ملامح الشقاوة وهي تقيم الدنيا ولا تقعدها طوال اليوم، ولا تهدأ البتة. تلعب عادة مع الصبيان، لدرجة نسيت معها أنها أنثى. هي في السادسة عشرة من عمرها الآن، ولكنها تبدو أحياناً أصغر من عمرها، وأحياناً أخرى أكبر من عمرها. بناءً على نمو جسدها، لها امتلاء جسد فتاة في الثامنة عشر، وبناءً على روحها، فهي متقلبة مثل سحابة صيفية ماطرة. عندما تبكي لا تخلو عيناها من ابتسامة، وعندما تضحك تنهمر دموعها على خديها من شدة الفرح، إنها أشبه بلعبة غريبة الأطوار. لكنها طبيعية في كل أفعالها، واضحة وصريحة. مع أنها شقية إلا أنها بعيدة كل البعد عما هو مُتصنع. ماتت أمها وهي طفلة، وتكفل والدها بتربيتها. إن أسرتي عالم الأجناس وزنغ، بما توارثتاه عبر الأجيال، أسرتان مختلفتان. بينما يكون الأب يبحث بكل انتباه في جمجمة لإنسان بكين البدائي، وقد تحولت غرفته الصغيرة في مخيلته لغابة تعود إلى أربعمائة ألف سنة، تدخل ابنته تتأبط سهماً، عارية الرجلين،

حافية القدمين، نصف عارية، تغطي جسمها بجلد نمر، وقد تقمصت هيئة الإنسان القرد كما كان يصفه لها والدها. تثير ضجيجاً، مثل حيوان وحشي مخيف. ثم تقذف أباها أخيراً بحجرة تكاد تصيبه في رأسه، عندها يرفع الأب رأسه ويبتسم لها بسرور، إن مثل هذه «الآداب الاجتماعية» لا يمكن الحديث عنها بين الأسرتين. ذات يوم صيفي ماطر شاهدتها صه يي تقف في بهو البيت وقد تبللت من المطر، فأشفقت عليها وأسرعت لتخبر أباها فإذا بالأب عاري الصدر، يلف وسطه ببشكير، يخرج ضاحكاً ليلعب مع ابنته تحت المطر. منظر هذين الطائرين الغريبين لم يعد يثير استغرابها. تلبس قميصاً بكُم قصير، حذاءً مطاطياً، وسروالاً قصيراً. شعرها قصير ووجهها مبلل).

يوان يوان: (تشير إلى تينغ) مرحباً تينغ، أنت هنا، فعلت فعلتك وهربت(ترفع السطل وتلحق به ضاحكة، مما يربك تينغ أمام أمه فلا يعرف ماذا يفعل).

تينغ: (يصرخ) ماء! ماء!(يختبئ وراء أبيه).

صه يي: (مندهشة) لا ترشقي الماء البارد (تعترض يوان) آنسة يوان اسمحي لي بسؤال.

يوان يوان : (تلتفت مبتسمة) ماذا؟

صـه يي: (تسأل سؤالاً غير محدد) أين والدك؟

يوان يوان: (تضع السطل من يدها، بهدوء) إنه في الغرفة يرسم «إنسان بكين»(فجأة تمسك بتينغ مثل قطة أمسكت بفأر) هربت؟ أرني الآن إلى أين ستهرب؟

تينـغ: (يضحك بضيق) أنت، لقد أمسكت بي.

يوان يوان: (بفرح) امشِ لنصفِ حسابنا.

صـه يي: (ممتعضة) آنسة يوان!

يوان يوان: هيا!

ون تشينغ: (ضاحكاً) يوان يوان، هل تريدين أن أعطيك شيئاً؟

يوان يوان: (تتذكر، لا تريد أن تُفلت تينغ) آه، عماه، أنت مدين لي بطائرة ورقية، هيا أعطني ما وعدتني به.

ون تشينغ: (مبتسماً) في الخريف لا تطير الطائرات الورقية.

يوان يوان: (بعناد) ولكنك وعدتني، أريد أن أطلقها! أريد أن أطلقها!

ون تشينغ: (بابتسامة خفيفة) لقد أحضرت لك أم أربع وأربعين.

يوان يوان: (تقفز) أين هي؟(تمد يدها) هاتها!

ون تشينغ: (مضطراً) لقد أكلها الفأر .

يوان يوان: (بمكر) أنت تخدعني .

ون تشينغ: وما العمل ، كان الفأر جائعاً ، استهوته أم أربع وأربعين فأكلها .

يوان يوان: (برهة صمت) انظر إلى نفسك!(تبرق عيناها مثل فانوس صغير)

ون تشينغ: (يواسيها) لا تبكِ ، مازالت هناك واحدة أخرى .

يوان يوان: (بريق فرح من خلال دموعها) إي ، لا أصدقك .

ون تشينغ: تينغ ، اذهب إلى غرفة المكتب(يشير إلى غرفة التربية) وأحضر السمكة الذهبية الكبيرة التي هناك .

تينغ: (يقفز) سوف أحضرها .

صه يي: (تستوقفه) تينغ ، لِمَ تقفز هكذا؟

(يكتم تينغ فرحته ، فيذهب باتزان رجل كبير إلى غرفة التربية)

يوان يوان: (تلحق به) تينغ !(تشده من يده) أسرع ، هيا(تشده إلى داخل المكتب ، تلمح هناك بعض الطائرات الورقية الملونة وقد غطاها الغبار فلا تستطيع أن تكتم فرحتها فتصرخ فرحة) آه ، كم هي كبيرة! (تهم للإمساك بها)

تينغ: (يطفح وجهه بابتسامة عريضة، بصوت مرتعش) لا تأخذيها، أنا من سيأخذها!(يمسك بالطائرة).

يوان يوان: (متمسكة بها) اتركها، هي لي!

تينغ: تمهلي وإلا مزقتها.

يوان يوان: (تصرخ) هي لي! إنها لي! صنعها والدك لي.

(يمسك كل منهما بطرف الطائرة الذهبية).

صه يي: (في الوقت نفسه) تينغ!

تينغ: (لاهثاً) لا، لا!(يحدق بها، يمسك كل منهما بالطائرة بفرح. عشرة أصابع شاحبة وشفافة تمسك بعيدان الطائرة، يهز يدي يوان حتى تكاد تفلت منها الطائرة).

يوان يوان: (لا تتوقف عن الصياح) هي لي، هي لي!

تينغ: (يصرخ فجأة، ثم يتخلى عن الطائرة، وينظر إلى الدم الذي بدا يسيل من إصبعه).

يوان يوان: (مستغربة) ما بك؟

صه يي: (بلوم) انظري!(تمشي إلى أمام ابنها وتلومه) انظر لقد جُرِحت.

ون تشينغ: (ينظر إلى تينغ) جُرِحت؟

تينـغ: (يمسك إصبعه) إي .

يوان يـوان: (باهتمام) هل تتألم؟

تينـغ: (قلقاً) قليلاً .

صـه يي: (تمسك بتينغ) أسرع ، وضع دواءً عليه .

يوان يوان: (تمسك بيده) لا داعي!(تمص أصبعه) .

تينـغ: (مندهشاً) آه!(يشعر بالسعادة لأن يده لامست وجهها ، يدفع يد أمه بخجل) ما ، لا داعي للدواء ، ما ...

يوان يوان: (تمسح بلعابها إصبع تينغ) هل ما زالت تؤلمك؟

تينـغ: (بصوت منخفض) زال الألم .

يوان يوان: (تشير إلى الإصبع المجروح ، تبدو كأنما توجه الكلام إليه) إي ، إن تألمت مرة ثانية سوف أحضر فأساً وابترك .

ون تشينغ: (ضاحكاً) متوحشة!

يوان يوان: (تحمل فجأة السطل وتهم برش تينغ بالماء)

تينغ + صه:(معاً) آآآ!

يوان يوان: (تبتسم لتينغ) عفوت عنك ، لن أرشّك بسطل الماء هذا . (تمسك بيد تينغ) هيا بنا نطلق الطائرة الورقية . (يأخذ تينغ الطائرة) إلى اللقاء ماما زنغ .

(تقفز يوان للإمساك بتينغ ، .ينسكب سطل الماء على الأرض)

صـه يي: تينغ !

ون تشينغ: (بلطف) دعيه يذهب!

صـه يي: لا تتدخل أنت!(إلى الخارج) تينغ !

(يعود تينغ ، تتبعه يوان يوان الشقية)

تينـغ: (ينظر إلى أمه)

صـه يي: (تحمل زبدية الدواء) اشرب نقيع الجنسنغ هذا ، فوالدك لم يشربه .

يوان يوان: (بغبطة) نقيع الجنسنغ !

تينـغ: لا أريد أن أشربه!

صـه يي: (بقوة) اشربه!

تينـغ: (يأخذ الزبدية ويغب منها قليلاً ثم يبصق ما غبّه) حقاً ، إنه كريه .

صـه يي: كلام فارغ!(تتذوقه بنفسها ، فتجد أن مذاقه فاسداً ، تضعه) إيه!

(في هذه الأثناء تسحب يوان تينغ من يده ، ثم تدفعه بهدوء إلى الخارج . يخرج تينغ بينما تتأخر يوان عنه بخطوة ...)

صـه يي: (فجأة) آنسة يوان!

يوان يوان: (مندهشة) آ!(تلتفت)

صـه يي: تعالي!

يوان يوان: (تقترب) ماذا هناك؟

صـه يي: (بابتسامة عريضة) أسرتنا تدعوك وأبيك اليوم لمشاركتنا الاحتفال بالعيد، فهلا أخبرت والدك بذلك؟

يوان يوان: (بازدراء) تدعوننا لتناول الغداء؟

صـه يي: (متملقة على غير العادة) إي، دعوة خاصة لفتاة جميلة مثلك يا آنسة يوان.

يوان يوان: (بطيش) كلام فارغ! أنتم تدعون أبي كي يلتقي بالآنسة صو أنا أعرف هذا.

صـه يي: من قال ذلك؟

يوان يوان: (بثقة) السيد جيانغ قال لي ذلك.

صـه يي: (بلطف) ألا ترغبين بالحصول على أم جديدة؟

يوان يوان: لا أم لي، كما أنني لا أريد.

صـه يي: (تنصحها) شيء عظيم أن يكون لك أم، ألا ترغبين أن تكون الآنسة صو فانغ التي تحبينها أماً لك؟

يوان يوان: (بشقاوة) أنا؟

(صوت تينغ من بهو البيت الأمامي: يوان ، أسرعي ، الريح تهب)

يوان يوان: (فجأة تعطي صه يي ورقة ملفوفة) خذي!

صه يي: (باستغراب) ما هذا؟

يوان يوان: إيجار البيت بعثه لك أبي!(تخرج يوان راكضة)

صه يي: (بازدراء) حقاً ليس لهذه الفتاة أسرة تربيها!

ون تشينغ: (بقلق) ما اللعبة التي تعدين لها أنت وجيانغ ، ماذا تدبران للآنسة صو فانغ؟

صه يي: (تشيح بعينيها) ماذا ندبر؟ الفتاة يجب أن تتزوج ، لا ينبغي أن تظل ترعى السيد العجوز طوال عمرها بلا زواج .

ون تشينغ: هي لم تتكلم ، كيف عرفتما أنها تريد الزواج؟

صه يي: (تزم فمها) بالنظر ما شافوه ، بالعقل ما عرفوه! في حياتي السابقة لم أفعل خيراً ، وفي حياتي الراهنة أريد أن أقوم بعمل فاضل ولا أريد لها أن تُدفن حية .

ون تشينغ: الزواج شيء جيد ، ولكن أن تُعطى للسيد يوان الذي يدفن رأسه كل اليوم ويبحث في جمجمة إنسان ميت ...

صه يي: لتتزوج أياً كان فماذا تريد؟ لِمَ أنت مهتم بذلك؟

(بخبث) هل تريد ان تصحبها إلى بيت زوجها، تَعد لها طوال اليوم المحابر والورق، وترتب السرير، وترعاها في المساء؟

ون تشينغ: (ساخطاً) هل أنت إنسان، لمَ تغتابينها هكذا؟

صـه يي: (بخبث) هراء! أنا أسأل إن كنتَ أنت إنساناً حتى تنحاز لها بهذا الشكل!

ون تشينغ: إنها فتاة كبيرة، تعيش معنا، وقد خدمت أبي سنوات طويلة ...

صـه يي: (بشكل قاطع) أنا أكره الفتاة التي تموت من أجل أن تظل تعيش بيننا ترسم وتكتب طوال اليوم، تلازم السيد العجوز، وتتظاهر بالذكاء.

ون تشينغ: آه، سوف أرحل. لو وافق أبي، أنتم ...

صـه يي: يجب أن يوافق، ما دام لا يوجد نقود ويؤجر صالة الضيوف لغريب، فعليه أيضاً ألا يعيل قريباً عاطلاً عن العمل، ثم إن ...(تنظر إليه بطرف عينها، بسخرية) هي نفسها تريد الزواج، وأنت لا تريد لها ذلك ...

ون تشينغ: (يتمالك نفسه، بنزق) من قال إنني لا أريدها أن تتزوج؟ من قال إنني لا أريدها أن تتزوج؟ من قال إنني لا أريدها أن تتزوج؟

صـه يي: (تلمح صو فانغ وهي داخلة من باب غرفة التربية الصغير، كما لو أن قطة رأت فأراً، تضحك بمكر) لا تتشاجر معي يا سيدي، فالآنسة صو قادمة!

(إن اسم صو فانغ غير كافٍ لوصف هذه السيدة الهزيلة القادمة. إنها في الثلاثين من عمرها، وُلدت في أسرة عريقة جنوب نهر تشانغ جيانغ، كان أبوها شخصية ذائعة الصيت. بعد وفاة الأب تدهورت أحوال الأسرة؛ وبعد وفاة الأم، انتقلت إلى أسرة خالتها بناء على وصية الأم، لتعيش في أسرة زنغ في بكين، لم تعد بعدها إلى مسقط رأسها. أيام كانت السيدة زنغ على قيد الحياة، كانت صو ابنتها المدللة؛ بعد وفاة السيدة، تحولت صو إلى خدمة السيد زنغ. أينما يذهب السيد تذهب. كبرت وترعرعت أمام ناظريه، وكانت عزاءه الوحيد، إلا أن مستقبل صو كان غامضاً أشبه بسحابة في أفق بعيد، تمر سنوات عمرها ولا أحد يفكر بشكل جدي بمستقبلها.

الانطباع الأول الذي تعطيه للمشاهد هو «الهدوء والحزن». شحوب وجهها أشبه بمياه خريف صافية، يمكن رؤية أحجار ونباتات القاع فيه، وأما قلبها فهو كنز ثمين دفين. إن ما تضمره من غنى داخلي لا مجال له أن يطفو ليزيدها جمالاً. كثيراً ما

تتأمل السماء بهدوء ، فيعجز الشعر والرسم عن الوصف . إنها تشبه هالة غامضة من الضباب محبوسة طوال اليوم ، لا أحد يستطيع أن يتكهن درجة حزنها وألمها . هي صامتة في معظم الأوقات . إن سنوات العزلة التي عاشتها في بيت خالتها حوّلتها إلى إنسان صبور بشكل مدهش ، كانت تضع رأسها في الأرض وهي تسمع أبشع الكلمات . تتحدث ، أحياناً دون أن تدري ، بعاطفة خجلة عما له علاقة بأشعار ورسوم ون تشينغ . إنها تعرف هذا الرجل المتوسط العمر والمنغمس في الحياة طوال اليوم حق المعرفة . وهي تشفق عليه إشفاقها على نفسها . إنها لطيفة وكريمة وهي كثيراً ما تنسى سعادتها وصحتها لتواسي أمثالها من التعساء .

إلا أنها ليست ضعيفة ، وقوتها تظهر في صبرها وقدرتها على التحمل . لباسها بسيط ، فستان تشيباو أزرق غامق مرقّش بنقاط رمادية فاتحة عريض مناسب لقوامها . نحيفة قليلاً ، وجهها دائري ، عيناها واسعتان . نظرة خاطفة إليها توحي بأنها إنسان مؤثر ومثير للشفقة ، تجاوزت الثلاثين من عمرها ومازالت تحتفظ بجمال وجاذبية أيامها الخوالي ، كلامها عذب ومؤثر ، ابتسامتها لطيفة وهي تصغي إلى حديث الآخرين في أغلب الأحيان)

صه يي: (تتوجه إلى صو فانغ بابتسامة عريضة) انظري يا

أختي ، كم يقسو علي! على وشك الرحيل ويصب جام غضبه علي . (مرة أخرى تعيد أكذوبتها) لمن لا يعرف ، فإن ملامح الشراسة هذه ، لم أكن لأعرفها في بيت أهلي! أعرف أن الجميع يراني قاسية ، لكن قسوتي بسبب مزاجه(تشير إلى ون) ، ومزاج السيد العجوز ، ومزاج أخته وزوجها ، (تبدو بمظهر المظلوم) وحتى مزاج زوجة ابني!(بلطف) حقاً ، ليس في هذه الأسرة إلا أختي صو ، إنها طيبة ومتسامحة تهتم بي ، تراعي ...

صو فانغ: (تسمع هذا السيل من الحديث الذي يشبه المديح ، تبتسم بهدوء) .

ون تشينغ: (وقد نفذ صبره ، يبادر بالكلام) هل استيقظ أبي؟

(تتوقف صه يي عن الكلام . يعم الهدوء الغرفة)

صو فانغ: (مُطمْئنة) لقد استيقظ باكراً . (ترى اللوحة التالفة على الأرض فتنحني لتلتقطها) أليست هذه هي اللوحة التي رسمها ابن خالتي؟

صه يي: (تثرثر مرة ثانية) نعم ، إنه يتشاجر معي منذ الصباح ، لأن فأراً قرض اللوحة .

صو فانغ: (مبادرة) لا داعي للغضب ، سوف آخذها وأرممها لابن خالتي .

ون تشينغ: (يتسم بلطف) لا عليك ، إنها لا تستحق .

صه يي: (إلى ون بينما لاح على وجهها ظل ابتسامة) لا ، دع الأخت صو أن ترممها . (إلى صو فانغ) أنتما تغنيان الموال نفسه ، اترك لك تذكاراً قبل الرحيل .

صو فانغ: (بعد أن سمعت كلام صه يي ، احتارت بين أن تضع اللوحة أو أن تأخذها ، مترددة) إذاً ، أنا ...

ون تشينغ: (يتدخل لإنقاذها من الموقف) من المؤسف أن نشغلك في إصلاحها مرة أخرى .

صه يي: (تُدِّور عينيها) إنه لمؤسف حقاً . (تتنهد) كم أتمنى أن يكون لي يدا صو الماهرتان ، في الخياطة ، والرسم والكتابة . اسمعا هذه الطرفة (تضحك بشكل غير طبيعي) يخطر على بالي أحياناً أن آخذ سكين الخضار ، (تبتسم وتبرق عيناها بشكل رهيب) وأقطع يديك الماهرتين (بخبث) وأضعهما لي .

صو فانغ: (مذعورة) آه! (تسحب يديها بخوف) .

ون تشينغ: ما المضحك في ذلك؟

صه يي: (تضحك مزهوة) إنني إنسان مهمل ، أقول ولا أفعل . (تمسك يدي صو وتمسحهما بلطف) أختي صو فانغ ، لا تهتمي ، إن قلبي على لساني ، أحاول فلا أستطيع أن أبدو

بمظهر المتشدق بالكلام. كثيراً ما أقول لِون(بازدراء) لو كنت رجلاً، لما كنت على هذه الهيئة(بود) أليس كذلك يا أخت صو فانغ؟ تكلمي ...

(بينما صو فانغ قلقة، لا تعرف كيف تجيب، تدخل روي تشن ــ كنة صه بي ــ من باب الصالة حاملة حزمة من خشب الصندل والبخور. روي تشن في الثامنة عشرة، لكن التجاعيد التي في وجهها تجعل من الصعب على المرء التصديق بأنها دون العشرين من عمرها. إنها تعيش حياة كبت وقهر. تعيش نوعاً من الحياة القلبية المتحمسة. مع أنها من أصل مقاوم إلا أنه لا يبدو لمقاومتها أثر أمام الآخرين. نظراتها حزينة، ناقمة، غير راضية. طرفا فمها مشدودان قليلاً، ليست بالمرأة الحسناء، ترفض وضع الأصباغ على وجهها، ترفض ارتداء الملابس الزاهية، مع أن حماتها تطلب منها فعل ذلك، لكنها تتحمل شتائم حماتها على أن تستجيب لطلباتها. عندما تسبها حماتها دون سبب، تكتفي بالنظر دون مبالاة، ليس خوفاً، إنما تتجاهل ذلك عمداً. لقد اتخذت قراراً ألا تبكي أمام الذين تكرههم، لا تريد أن تبدي ضعفها، على الرغم من معاناتها. عندما تجلس وحيدة في غرفتها، تتأمل في أيامها وسنواتها البطيئة

القادمة، تفقد أي رغبة في الحياة، وتحاول الانتحار، ثم يدفعها غضبها للتفكير: يجب على فتاة مثلها أن تغادر البيت وتبحث عن حياتها الخاصة. لكنها مازالت في السادسة عشرة - ويبدو أن عشرات السنين تفصل بينها وبين تحقيق أحلامها - شكلت لها سنتا الدراسة في المدرسة المتوسطة الاستعداد الفكري للتحرر من القيود. في حياتها داخل هذا البيت، بدت كما لو أنها أُرغمت على الخروج من ليل براءتها القصير، لتتحول فجأة إلى امرأة قلقة بما فيه الكفاية. لقد امتلأت حياتها حزناً وشقاءً مما جعل أصدقاء الأمس يُدهشون كيف تحولت حال فتاة صغيرة مثلها بهذه السرعة. زوجها الصغير لا يكلمها. وهي تأبى أن تتملق حماتها كي تنال رضاها. لقد أُجبرت على الزواج من حفيد أسرة زنغ مسايرة للشكليات المقيتة. إنها تعرف أن حياتها على هذا النحو وفي مثل هذه الظروف لا يمكن لها أن تستمر. في أجواء الأسرة المكفهرة، لا صديق لها سوى صو فانغ. أحياناً تبكي أمام صو المتعاطفة معها، وتبوح لها بأحزانها وهمومها. ولكنها وصو من جيلين مختلفين. إنها لا ترى لأحلامها مستقبلاً في هذا المكان الضيق، بينما أفكار ومشاعر صو لا تتجاوز حدود أسرة زنغ. هي قارئة جيدة. ذلك لأن عالم

الكتـاب يجعلها تفـهم عالمها الراهن ، يمنحها ويساعدها في معرفة الصديق الصدوق . لقد روت هـذا الجانب من حياتها إلى صو ، أما أفراد أسرة زنغ الآخرين فإنهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك . وجهها هذه الأيام يبدو متعباً ، ذلك لأن جسمها يمر بنوع من التحول وقلبـها يجيش بصراع مخيف . هي لم تنم بشكل مريح ذلك لأن مستقبل حياة كائن صغير جعلها تشعر بالغبـاء فكيف تفسر عدم سعادتها في هذا البيت ، فهي لم تفهم لمَ تزوجت من شاب صغير ، ولمَ ستمنحه طفلاً . من أجل هـذا الذي يعجز عن حل مشكلة ، كثيراً ما تخرج وتجهد تفكيرها ليلاً أو نهاراً في سعيها إلى الحل المناسب . تدخل مترددة قليلاً . ترتدي الملابس الباهتة التي تعرف أن حماتها لا تحبها) .

روي تشن: ما ، بابا!

صـه يي: (بسخرية) لقد اتصلنا هاتفياً نطلب منك العودة إلى البيت . كنت أتحدث مع صو فانغ ، وفكرنا أن نبعث لك سيارة .

روي تشن: أنا ، كنت متعبة قليلاً .

صـه يي: (بمكر غريب تضحك بصوت عال) ما دام هذا البيت ليس بيتك فلن أستطيع العناية بك يا صغيرتي؟

صـو فـانغ: (بالنيابة عن روي) إنها متعبة قليلاً يا سيدتي .

صـه يي: وكيف حالك الآن؟

روي تشن: (بصوت منخفض) أحسن .

صـه يي: (تنظر بدهاء) تفضـلي ، أنت تخيفيني! اذهبي وقدمي التحـية لأسيادك .

روي تشن: حاضر . (تمشي باتجاه غرفة التربية)

صـه يي: (بابتسامة عريضة إلى صو فانغ) أنا متسامحة معها ، لا أستطيع أن ألعب دور الحمـاة ، انظري (تلتفت فجأة إلى روي) إي ، روي تشن ، كيف تغادرين دون أن تسلمي على عمك .

روي تشن: لقد سلمت عليه .

صـه يي: (مرتابة ، تلتفت متجهمة إلى ون) هل سمعت؟(لا تنتظر الإجابة من ون ، تلتفت إلى روي) أنا لم أسمع .

روي تشن: (تنظر إليها نظرة باردة ، تلتفت إلى ون) بابا!

ون تشينغ: (وقد نفذ صبره) مع السلامة ، مع السلامة!

صـه يي: (إلى روي) وصو فانغ؟

روي تشن: (بشكل آلي) خالتي صو .

صـه يي: (مرة أخرى إلى صـو فانغ وابتسامة دهـاء على عرض وجهها) انظري ، إن كنتنا الصغيرة هذه لا تفهم التقاليـد . (إلى

روي، بمظهر الحنون) أنت لم تشكري خالتك صو، إنها تحبك، وهي التي اتصلت بك منذ قليل.

روي تشن: شكراً خالتي صو.

صه يي: هل تعرفين أن تينغ عاد من المدرسة؟

روي تشن: أعرف.

صه يي: وهل رأيته يطلق الطائرة الورقية مع الآنسة يوان؟

روي تشن: (بصوت منخفض) رأيته.

صه يي: (تتحدث إلى صو وتشير إلى روي) انظري، هل هناك غبي بهذا الشكل؟ تعرف، رأته. (تلتفت فجأة إلى روي) لِمَ لم تعودي بسرعة وتحافظي عليه؟(تدعي الذكاء والحيطة) لا تتظاهري بالغباء إنه رجلك، زوجك، سندك طوال العمر.

ون تشينغ: (بوحشة) ليلعب الأولاد معاً، لقد أحدثتِ جلبة لا داعي لها!

صه يي: (متعمدة) من الذي أحدث جلبة، أنت متحيز لها وتتحدث بالنيابة عنها. (ترنو إلى صو فانغ)ذلك النوع من النساء، بمجرد نظرة تعرفين أنها قادرة على إغواء الرجال والإيقاع بهم. روي، هيا أعدي المائدة، واطلبي من تينغ أن يلبس ثيابه ويقدم الولاء لأجداده، ويقلل من التسكع مع تلك الفتاة المجنونة.

(تحمل روي تشن حزمة خشب الصندل وعيدان البخور)

صـه يي: انتظري ، من طلب منك شراء خشب الصندل؟

روي تشن: (لا تجيب)

صـو فانغ: (بصوت منخفض) يا زوجة أخي —

صـه يي: (تتظاهر بعدم السمع ، إلى روي) هل أصبحت غنية؟ من الذي طلب منك شراء هذه الكومة من الأشياء عديمة الفائدة؟ اللعنة على من يحشر نفسه فيما لا يعنيه .

صـو فانغ: (برباطة جأش) أنا ، يا زوجة أخي .

(صـمت)

(تخرج روي تشن من باب غرفة التربية)

صـه يي: (تكسر حالة الصمت) إيه ، حقاً ، أنت ترينني هكذا ، ولكن قلبي على لساني ، أتكلم ولا أضمر شيئاً . متهورة مثل تشانغ في[1] ، لكن قلبي لا يضمر سوءاً . (تتظاهر بالأسف) آه ، كان علي أن أعرف أن صو من أمرت بذلك —

صـو فانغ: (بهدوء) زوج خالتي طلب شراءها ليستخدمها عند قراءته للكتاب المقدس مساءً .

ون تشينغ: أبي طلب شراءها منذ أيام .

---

(١) ZHANG FEI أحد شخصيات أوبرا بكين .

صـه يي: (بعواطف متدفقة) إن لسيد البيت مزاجاً غريباً، يصعب خدمته، يأمرني باكراً بعدم شرائها، ثم يطلب شراءها بعد ذلك؟(بحرارة) آه، يا أختي صو فانغ، أنت لا تعرفين كم يحبك ون تشينغ. لولا وجودك بيننا، لا أعرف مقدار الحرج الذي ستسببه لي زوجة ابني أمام سيد البيت. (باهتمام كبير، بصوت منخفض) ألم يكن السيد على ما يرام ليلة البارحة؟

صـو فـانغ: (تهز رأسها بهدوء) إي.

صـه يي: (إلى ون، بزهو) أرأيت!(إلى صو) لقد سمعته يسعل في غرفته فقلت لـ ون: «مسكين، إن السيد يتنفس بصعوبة!» (بأسى) بعد أن سمعته لم أستطع النوم، هززت ون وقلت له: «اسمع، انتصف الليل، وصو ما تزال تسهر على خدمة والدك. حقاً».

ون تشينغ: مَ يشكو والدي هذه المرة؟

صـو فـانغ: (بوهن) وجع في قدميه، ويحتاج إلى من يدلكهما له. قال إنه يشعر بانقباض في صدره.

صـه يي: (بسرعة) ذاك بالتأكيد

ون تشينغ: (بصدق) وهو من يطلب منك تدليكهما حتى وقت متأخر من الليل؟

صـو فـانغ: (تبتسم بأسى) أُدلكهما له ، لينام قليلاً .

صـه يي: (مندهشة) آه ، لا عجب أن استيقظتُ باكراً ورأيتُ صو فانغ مازالت تدلك له قدميه .

ون تشينغ: (بتعاطف) وإذاً ، لم تنامي حتى الآن؟

صـه يي: (بصوت ملتوٍ) كيف يمكن ألا تنامي طوال الليل!(تتظاهر بالشفقة) آه ، لِمَ لم تناديني لأنوب عنك . هيا ، عودي إلى غرفتك ونامي قَليلاً . (تدفع صو) سوف تتدهور صحتك ، ولن تتحملي السهر . (مهتمة) آه ، ماذا أقول . هيا ، أختي الطيبة ، نامي قليلاً وإلا ستمرضين ، أنا قلقة عليك .

صـو فـانغ: (متأسفة) لا داعي ، لن أستطيع النوم .

صـه يي: ون تشينغ ، انظر حقاً لا يوجد من هو أكثر براً من صو فانغ . إنني أحب صو لطبعها هذا ، (تمتدح صو فانغ) لا تتكلم ، تهتم بالآخرين ، مخلصة ، لطيفة ، لا تنبس ببنت شفة . (تلتفت إلى ون) ون ، لو كنتُ رجلاً ، لتزوجت بفتاة مثل صو فانغ ، ولكنت سعيداً طوال عمري .

ون تشينغ: صو فانغ ، ألا تقدمين لأبي شراب الجنسنغ؟

صـو فـانغ: إي ، صحيح .

صه يي: قولي هذا من الأول، لقد أعددته منذ الصباح الباكر(تحمل زبدية الدواء)

ون تشينغ: ألم يقل تينغ منذ قليل أن هذا الدواء ---

صه يي: لا تصغِ لكلامه الفارغ. سوف أذهب لتسخينه!(تضحك) قيلَ «الكنة القبيحة تهتم بحميها أيضاً!» قبيحة وبشعة، ما باليد حيلة. (تمشي خطوتين ثم تلتفت) صحيح، زبدية الخضار تلك التي في المطبخ ألستِ أنتِ التي أعددْتها للسيد ون زاداً للطريق؟

صو فانغ: آه --- إي --- !

صه يي: (ساخرة) يا لسعادتك يا ون تشينغ، إن صو فانغ مهتمة بك! تسهر الليل بطوله قبيل رحيلك لكي تُعد لك طعام السفر وأنت لم تشكرها على ذلك بعد؟

(تخرج صه يي ضاحكة. هدوء، يُسمع صوت الحمام المحلق في السماء بشكل مريح)

ون تشينغ: (يشعر بتأنيب الضمير، تمتلئ عيناه بالدموع، بصوت منخفض) صو فانغ أنا، أنا ---

صو فانغ: (تخفض رأسها ولا تتكلم)

ون تشينغ: (ينظر إليها وقد خفضت رأسها، يتلعثم) لقد جاءت المربية، جاءت لرؤيتنا.

صو فانغ: (لم تعد تحتمل أحزانها) هي، هي في البهو.

(تعود صه يي فجأة من باب غرفة التربية وهي مشغولة بنفسها)

صه يي: (تمد يدها ضاحكة) ون، مربيتك تريدك في الخارج. اذهب إليها بسرعة، ألا يكفي ما تكلمته مع صو فانغ؟ هيا بسرعة!

تنظر صو فانغ إلى ون الذي يلحق بصه يي دون أن ينبس بكلمة. صوت الحمام مستوحشاً في السماء؛ وصوت عجلات عربة الماء على الطريق الحجرية رتيباً. رنين جرس عراف أعمى يأتي من مكان بعيد. صوت بائع جوال ينادي «عصير القراصيا ...».]

صو فانغ: (شاردة، تجلس وحيدة على كرسي قريب)

(نسمة خفيفة تهز اللوحات المعلقة على الجدار)

[**صوت يوان في الخارج:** (تطلق الطائرة الورقية وتهتف) طيري، طيري، علّي!

تدخل المربية ومعها تشو الصغير. عينا تشو معلقتان بالطائرة الورقية، وقد لوّحت الشمس وجهه.]

المربيـة: آنسة صـو!

تشو الصغير: (لا يتوقف عن الهتاف) جدتي، السمكة الذهبية تحلق في السماء، السمكة الذهبية تحلق في السماء!(يشير إلى الفضاء الخارجي ويهتف) آه، السمكة الذهبيـة تهوي مرة أخرى من السـماء. السمكة الذهبية ---

المربيـة: (ترى صو وحيدة تبكي، إلى حفيدها بصوت واطئ) لا تصرخ واخرج من هنا.

(يخرج تشو مسرعاً. تقترب المربية من صو)

المربيـة: (بحب) آنسة صو، ما بك؟

صـو فـانغ: (تخفض رأسها) أنا، أنا ---(تبلع ريقها)

(صـمـت)

المربيـة: (تتنهد، تربت على كتفها بلطف) لا تبكِ يا آنسة صو، لقد غبتُ سنوات وعدتُ وأنت ما تزالين تبكين؟

صـو فـانغ: (ترفع رأسها) حقاً إني أريـد أن أبكي بكاء مريراً، سيدتي، حياة كحياتي هذه لا معنى لها!(تتكئ على الطاولة باكية)

المربيـة: (تخفض رأسها وتمسح دموعها) لا تبكِ يا صغيرتي، لقد نصحتك أكثر من مرة، (بألم) تزوجي، الزواج ستر.

بالزواج تملئين حياتك. (بينما تمسح دموعها تحاول أن تبتسم) عدم المؤاخذة، كيف لامرأة في مثل سنك أن تقضي عمرها في بيت زوج خالتها. (تعود صو للبكاء مرة أخرى) لا بأس، تزوجي يا ابنتي، هذا البيت ليس بيتك! (تجهش صو بالبكاء، بهمس) لقد تحدثت منذ قليل مع السيد يوان، إنه ——

صـو فـانغ: (تتمالك نفسها) لا، لا داعي لمثل هذا الكلام.

المربيـة: (بحنان) حقاً، ألستما متفقان الطالع؟

صـو فـانغ: (تحاول أن تنهي الحديث بتوسل) سيدتي.

المربيـة: (تهز رأسها) إن ربة هذا البيت امرأة قاسية. إني أرى مقدار المعاناة التي تسببها لزوجها، عندما أفكر في هذا، يعتصر الألم قلبي. (بأسى) آه، لا أحد راض في هذه الحياة، انظري، أنت والسيد ون ثنائيان ——

(تدخل روي من باب غرفة التربية)

روي تشن: آنسة صو، السيد يطلبك.

صـو فـانغ: إي! (تنهض وتمسح دموعها، تتجه للخروج من غرفة التربية)

روي تشن: السيد في غرفته! (تلتفت صو للخروج من باب الصالة، تلمح روي الدموع في عيني صو، تلحق بها وبصوت منخفض) عمتي صو، أنت ——

[تتقدم صـو مطأطئة الرأس .

السيدة صه يي تنادي في بهو البيت —

صوت صه يي: روي تشن!]

روي تشن: (تقف) نعم!

[**صوت صه يي:** (بحدة) روي تشن ، إلى أين ذهبت مرة أخرى؟]

روي تشن: أنا هنا!(تلحق بصو)

صـو فـانغ: (تقف عند باب الصالة) هيا اذهبي!

روي تشن: لا . (تمشي صو ، تتبعها روي؛ تخرج صو أولاً . تدخل صه يي من باب غرفة التربية)

صـه يي: روي تشن ، أنت —(ترى المربية) آ، المربية تشن(تبتسم وتشير إلى البهو) تفضلي، السيد تشينغ يبحث عنك في بهو البيت .

المربيـة: (بفرحة لا تقاوم) السيد تشينغ . أين هو؟

صـه يي: في البهو .

(تخرج المربية من باب غرفة التربية فرحة. تقترب روي من باب الصالة)

روي تشن: ما .

صـه يي: (تنظر إليها بخبث) أنت صماء!(تتلفت في كل اتجاه) بحثت عنك في كل مكان .

روي تشن: أنا ، أنا ---

صـه يي: (تصرخ) انصرفي!(تهم روي بالخروج، تكز على أسنانها) تبدين كالشبح(تضرب الارض بقدمها) كيف لم تَموتي بعد!

(تخرج روي من باب غرفة التربية بهدوء)

صـه يي: (تتجه إلى باب الصالة منادية) تينـغ ، تينـغ !

(يدخل تينـغ من باب الصالة)

تينـغ: (يتصبب عرقاً) مـا .

صـه يي: (تعنفه) أمك تناديك ، هل عرفت؟

تينـغ: (يبتسم معتذراً) عرفت .

صـه يي: (هدأت ثائرتها قليلاً) هيا البس ثيابك بسرعة واذهب وقدم فروض الطاعة لأجدادك!(يهم تينغ بالمغادرة باتجاه غرفة التربية ، تستوقفه) يا ولدي ، لا تلعب بعد الآن مع الآنسة يوان ، إنها فتاة وقحة ، لا تحترم القوانين(بترغيب وترهيب) إن كنت مستاء من روي ، ما أن تنهي دراستك المتوسطة حتى أزوجك بأخرى ، اهتم بدراستك لتنال رضا أمك ، سوف ---

[بينما يصغي تينغ لكلام أمه على مضض يدخل تشانغ شون من غرفة صهر العائلة التي إلى اليسار، يستغل تينغ الفرصة فينسل خارجاً من باب غرفة التربية. يسمع من داخل الغرفة: (أثناء فتح الباب) وغد! وغد! وغد! (يُغلق الباب)]

صه يي: ماذا حدث يا تشانغ؟

تشانغ شون: (لاهثاً) سيدتي، يرغب تشانغ بالحصول على إجازة طويلة.

صه يي: ما بك؟

تشانغ شون: (يلوح بيديه) لا أقوى على خدمة صهركم المصون، إنه يسب ويشتم طوال اليوم ويثير الفوضى في كل مكان.

صه يي: (مغتاظة) إنه كلب مسعور، لمَ تنزل إلى مستواه؟

تشانغ شون: (يتنفس بصعوبة) لا، ابحثي عن غيري! أهرب من الدائنين كل يوم ولا أفتح فمي ——

[يُفتح الباب فجأة «أوغاد ——». يُسمع صوت امرأة: «لا تخرج لا تخرج!» صوت رجل: «اتركيني، أريد أن أراها!»]

صه يي: (تبدو أنها أحست بشيء ما، بصوت منخفض) تشانغ، تعال هنا، دعه يصرخ.

(يخرج الاثنان من باب غرفة التربية. يندفع في الوقت نفسه جيانغ تاي وزوجته ون تساي وهما شبه متماسكين. فجأة يترك جيانغ زوجته، بينما هي تحدق به بعينين جاحظتين. يمسك بيده رزمة أوراق نقدية ويلوح بها.

جيانغ تاي مختص بالكيمياء، تلقى علومه خارج البلاد، عاد إلى بكين ليعيش الحياة على هواه، كما يعيشها أبناء الذوات في بكين، هو في الثلاثين من عمره، يحمل ملامح الخيبة، يرى نفسه ذكياً، ولكن ليس له ذكاء أصدقائه إذا ما التقى بهم في وسط اجتماعي. إنه يشعر بالدونية بين رفاقه، لذا لا تسير الأمور لصالحه في أغلب الأحيان. هو ليس خبيثاً في جوهره، إلا أنه اكتسب ذلك بعد عودته إلى البلاد. هو لا يعرف لماذا تخلى عن اختصاصه، ولِمَ كان راغباً في عمل وظيفي. شغل وظائف عدة إلا أنها لم تنَل رضاه، حتى وقع تحت وطأة ديون كثيرة في آخر أعماله، وقيل إنه اختلس أموالاً عامة، مما تسبب في تشويه سمعته. عندما لا يكون لديه أموال كافية، يصبح متذمراً طوال اليوم، ويكثر من الشراب فيتشاجر مع زوجته. فقير، شرّاني، يتكئ على الطاولة ويشتم، ويكثر من تكسير الصحون والزبادي.

هذا لا يعني أنه خالٍ من الإيجابيات، فهو صريح، ويقول الحقيقة ومنصف في بعض الأحيان، يستأسد على زوجته فجأة، وعندما تناقشه زوجته في حالات الصفاء، يستخف بها قائلاً: «ما الذي تفهمينه أنت؟» ثم له ميزة أخرى، فهو يعرف جميع أماكن اللهو في بكين. إنه يهتم بالطعام، وهو أكول شره، يتذوق جميع أنواع الطعام، ويطبخ كل الوصفات السرية، وهو يتحدث عن كل ذلك بطريقة منمقة ووصف رائع، مثل عمل نثري من أعمال يوان تسه تساي[1]. يهوى التبجح، ويصف كيف كان مترفاً وحراً وشجاعاً، وكيف كان ينال مديح وثناء أصدقائه له، لدرجة يصعب تصديقه.

هو لا يكف عن الحديث عن وسائل الثروة. ولكن حديثه لا يتعدى إلا حبراً على ورق، ولم يوضع موضع التنفيذ إلا مرة واحدة، عندما أراد أن يقيم معملاً للصابون، حيث أعد فرناً في قبو منزل بيت آل زنغ، وغلى كمية كبيرة من مادة صفراء في قدر كبير، لكن المادة بقيت لينة مثل شحم بقري ولم تتحول إلى صابون، ذلك لأنه لم يفهم طريقة صناعة الصابون المكتوبة

(١) YUAN ZI CSI هو [: YUAN MEI] تسه تساي هو لقبه. شاعر وناثر مشهور عاش ما بين(١٧١٩–١٧٩٨).

في مراجعه الدراسية بشكل جيد ، فكان أن ترك الفرن والقدر في قبو المنزل ، ولم يستخدمهما أحد بعد ذلك .

بعد فشله ذاك ، لم يتكلم عن وسائل جمع الثروة لفترة طويلة . إلا أنه لم يقو على الاختباء طويلاً في البيت فقال لزوجته مرة: «لا بد أن أتمكن يوماً ما من اختراع نوع من الدواء مثل بلسم للآلام وحينذاك ــــ» وعليه عاودته أحلامه مرة أخرى في جمع الثروة ، إلا أنها بقيت في إطار الأحلام فقط . فهو ينقصه الفاعلية والحظ لتحقيق ذلك . راودته في الآونة الأخيرة وعلى حين غرَّة فكرة عمل ضخم ، العمل في التجارة ، فحاول إقناع زوجته أن تعطيه المال ليعمل في الاستيراد والتصدير في شنغهاي ، وحثها على بيع البيت لتوفير الرأسمال المطلوب ، إلا أن حماه لم يوافق كالعادة . ولكي يتحاشى غضب والد زوجته ، كان يلجأ للمداهنة والشكوى .

ليس طويل القامة ، عريض الجبين ، أرنبتا أنفه منتفختان ، شفتاه عريضتان ، وله شارب خفيف وجميل . تحمل عيناه تعبيراً مضطرباً اضطراب حديثه .

يرتدي زيًّاً غربياً ، ذا قماش جيد ومخيط بطريقة جيدة ، ويضع ربطة عنق . أشعث الشعر ، وهندامه غير مرتب .

زوجته ون تساي في الثلاثين من عمرها ، كانت قبل عشر سنوات على قدرٍ كبير من الجمال ، دلّلها زوجها لسنوات بعد الزواج . بعد أن ألزمها المرض الفراش ، تغيرت ملامحها . هزيلة ضعيفة ، أكثر أفراد العائلة شحوباً ، لدرجة لا تكاد معها أن تلمح فتنة السنوات الماضية . متخاذلة . حائرة . ما قرأته في مكتبة البيت من كتب قديمة ، جعلها امرأة مطيعة لزوجها ، مستسلمة لجميع أوامره ، راضية باضطهاد زوجها لها في الأيام الأخيرة . طال عليها المرض ، تدخل مرتجفة قليلاً ، شفتاها شاحبتان ، شعرها غير مرتب ، تلبس فستان تشيباو[1] رمادي اللون قديم ، وحذاء بال من الساتان)

ون تساي: (متوسلة) تخرج هكذا ، أي هيئة هذه؟

جيانغ تاي: (يفتح عينيه على اتساعهما) أعطيه النقود! أي هيئة هذه؟ نسكن ، ندفع إيجار السكن ، نأكل ، فندفع ثمن الطعام .

ون تساي: (بضعف) لا تصرخ هكذا ، لا تجعل الخدم يضحكون عليك .

جيانغ تاي: (مغتاظاً) وما المضحك في هذا؟ عندما ندفع كل أموالنا ، ننتقل من هنا . (يلوح بربطة النقود ويصرخ) قلت لك أعطه النقود ، لِمَ لم تفعلِ ذلك؟(يخطو إلى الأمام) سوف أذهب بنفسي وأعطِ النقود لأبيك!

---

(١) QI PAO فستان صيني تقليدي مشقوق من الجانبين .

ون تساي: (تمنعه بشدة، ترتجف مثل فراشة على وشك الموت) جيانغ تايْ احفظ لي ماء وجهي، فهذه أسرتي!

(تمد صه يي رأسها من باب غرفة التربية تسترق السمع)

جيانغ تاي :(يبصق) أسرتك، إن الحياة في خان أكثر كرامة من الحياة هنا. (يشير إلى الجزء الآخر من البيت) إن أخذتِ قرشاً بعد أن يموت السيد الكبير، فسوف أُطلقك.

ون تساي: (متوسلة) من أين سمعت هذا الكلام الفارغ؟ من قال لك أن زوجة أخي لا ترغب في إقامتنا هنا؟ ثم من قال أنك تفكر بنقود أبي؟

جيانغ تاي: (بغطرسة) غريب، أأطمع في قليل من النقود؟(بغضب) إن أفراد أسرتك كلهم أوغاد، أرذال، لم يروا النقود في حياتهم، خاصة زوجة أخيك تلك!

ون تساي: (بصوت منخفض جبان) لِمَ تصرخ؟ لا شك أنها في الغرفة المجاورة!

جيانغ تاي: (بقوة) أصرخ كي تسمعني، لأرى ماذا هي فاعلة؟ لأرى ماذا بإمكانها أن تفعل؟ سوف أقتلها، سوف أقتلها!

(تنسل صه يي هاربة بعد أن سمعت هذا الكلام المخيف)

ون تساي: (تتنهد) مهما قيل فهي من أقربائنا.

جيانغ تاي: أي أقرباء؟(متذمراً) الأقرباء خرا كلاب! عندما يكون معي نقود تتعرف علي، وعندما لا يكون معي نقود، لا تقيم لي أي شأن، انظري إلى وجوههم الكريهة تلك، (بحقد) أوغاد! عندما اقترضوا المال مني واشتروا به الأراضي، اسأليهم هل يذكرون ذلك أم لا؟ لقد فقدت وظيفتي بسببهم اسأليهم هل يعرفون ذلك أم لا؟ قدمت لأبيك ثلاثة آلاف ايوان أمس، هل ترين أن السيد الكبير ———

ون تساي: (متلفتة) لقد تكلمتُ مع أبي!

جيانغ تاي: (بغضب) لا تريدين الذهاب! أنت تجلبين العار لي! تعتقدين أن أباك الصائم المصلي يخاف الله، حمل تابوته إلى البيت، ودهنه بشكل ممتاز، ودفن صو فانغ في البيت، ومنعها من الزواج!

ون تساي: (بصوت ضعيف) لا تقلِ هذا الكلام الفارغ!

جيانغ تاي: (بشراسة) أسألك سؤالاً، هل يخاف الموت أم لا؟

ون تساي: (بابتسامة جافة) ومن لا يخاف الموت؟

جيانغ تاي: مادام يعرف أنه سيموت، لماذا كلما تقدم لصو عريس يضع كل العيوب فيه ويرفض زواجها منه؟

ون تساي: (متسامحة) إن ذلك لصالحها.

جيانغ تاي: (محملقاً) كلام فارغ —— أنانية! أنانية! إنها الأنانية! بكلمة واحدة، إنه تعامي عن الحقيقة! سوف أذهب فوراً! سوف أنقلع فوراً، اللعنة عليه!

(يدخل تينغ من باب غرفة التربية)

تينغ: عمتي، زوج عمتي، جدي يطلب منكما الحضور.

جيانغ تاي: لن أذهب .

ون تساي: تينغ، لا تسمع كلامه، سوف نذهب.

تينغ: قالت أمي سوف تنتظركما لإشعال الشموع.

جيانغ تاي: لن أذهب، أنا لم أقدم القرابين لأسرتي بعد.

ون تساي: (متوسلة) هيا، بَدِّلْ ثيابك، ——

(تدخل صو فانغ من باب غرفة التربية. تحمل بين يديها ثياب طفل صغير)

صو فانغ: (باحثة) روي تشن؟

ون تساي: ليست هنا.

صو فانغ: ما زلتما هنا، الجميع في قاعة الأسلاف ينتظرونكما!

ون تساي: (مستعطفة) اذهب هذه المرة من أجل خاطري!

جيانغ تاي: (يدوِّر عينيه) أخبريه أنه لا وقت عندي لخدمته.

(يخرج جيانغ من باب صالة الضيوف دون أن يلتفت)

ون تساي: (تلحق به) جيانغ تاي لا تذهب، إصغِ إلي.

(تخرج ون. يهم تينغ بالخروج من باب صالة الضيوف)

صو فانغ: تينغ، لا تذهب.

تينغ: عمتي صو.

صو فانغ: أنت --- (تحاول الكلام فلا تستطيع)

تينغ: ماذا؟

صو فانغ: (أخيراً) لِمَ لا تُعامل زوجتك بلطف؟

تينغ: (لا يرد)

صو فانغ: (مؤكدة) أنتما زوجان.

تينغ: (بألم) لا تلفظي هذه الجملة.

صو فانغ: لو كانت أختك مثلاً، هل تقبل طوال اليوم

تينغ: (بحزن) عمتي صو!

(يشعران أن أحداً قادم، يلتفتان فيشاهدان روي تشن تدخل من باب غرفة التربية حزينة مهمومة)

روي تشن: (ترفع رأسها، فترى تينغ) آه، أنت هنا.

صـو فـانغ: (فوراً) هيا تحدثا معاً. (تهم بالخروج من باب صالة الضيوف)

[يُسمع صوت يوان في البهو تنادي: تينغ، تعال بسرعة! يسمع الجميع نداء يوان بشكل واضح، يسرع تينغ بالخروج قبل صـو.]

صـو فـانغ: تينـغ ...

(يخرج تينـغ مسرعاً دون أن يلتفت. تلتفت صو إلى روي وقد طفح وجهها بالحزن، تقترب منها ببطء)

روي تشن: عمتي صـو!(ترتمي على صدر صـو وتجهش بالبكاء)

صـو فـانغ: (مواسية) لا تبكِ يا روي.

روي تشن: (لا تتمالك نفسها) أنا، لا، لا يمكن.

صـو فـانغ: (تشدها) أرى أن تذهبي إلى غرفتك وتستريحي.

روي تشن: (تهز رأسها) لا، ألم تطلب أمه مني إعداد الطعام؟

صـو فـانغ: (مستفسرة) لِمَ خرجت باكراً من البيت؟

روي تشن: لشأن خاص.

صـو فـانغ: (تمسح وجه روي بحنان) أرى أن تنامي بعض الوقت، إن عينيك حمراوان.

روي تشن: (بائسة) لا، سوف تظن أمه أنني متمارضة.

صـو فـانغ: (بعطف) أما زلتِ تتقيئين؟

روي تشن: أحسن قليلاً.

صـو فـانغ: روي، اسمحي لي أن أتكلم بالنيابة عنك.

روي تشن: (بإصرار) لا، لا.

صـو فـانغ: أخبري تينغ أولاً.

روي تشن: (مهمومة) ماذا يفهم تينغ؟ إنه ولد.

صـو فـانغ: (تعرض المساعدة) ولكن لِمَ لا تتكلمين؟

روي تشن: (تهز رأسها) عمتي صـو، أَنت لا تفهمين.

صـو فـانغ: (دون أن تفهم) لماذا؟(بوجه بشوش) إنه لأمر لا يخفى على أحد.

روي تشن: (تنظر إلى صو بمرارة) عمتي صو، لو كان بإمكاني أن أكون مثلك، لما تزوجت أبداً.

صـو فـانغ: (تنظر إليها بشفقة) لِمَ تتكلمين كلام الأولاد هذا؟

روي تشن: (بألم) عمتي صوَ، نحن أولاد، نهاية السنة أكون في الثامنة عشر ويكون تينغ في السابعة عشر. نحن الاثنان

مغفلان ونحتاج من يأخذ بيدنا . لا يعرف أحدنا الآخر ، ولا تربطنا أي مشاعر حتى أننا لا نتكلم مع بعضنا بعضاً . مرَّت سنتان . (بألم) أما الآن . . .

صـو فـانغ: (بسذاجة) إن عمك يحبك .

روي تشن: صحيح ، ولكني أسأل لماذا؟ لماذا من أجل أن يحمل ابن حفيده ، يُجبر حشرتين مسكينتين على إنجاب حشرة مسكينة أخرى؟

صـو فـانغ: (مواسية) إنه يقول إن الأولاد يجعلون الأسرة سعيدة ، الأولاد يجعلون رابطة الحب بين الزوجين أكثر قوة .

روي تشن: (تهز رأسها) لا يا عمتي ، أنا لا أؤمن بذلك ، لا يمكن لعلاقتنا أن تكون أحسن مما هي عليه . (مؤكدة) حتى لو أحبني تينغ فأنا لن أستطيع العيش في أسرة كهذه . (باشمئزاز) إنني أخاف النظر في وجه مثل هذا العجوز!(تشد يد صو) عمتي ، لو لم تكوني في هذا البيت ، لَمِتُّ قبل أواني .

صـو فـانغ: (متأثرة) لا تقولي هذا . ما زلتِ صغيرة ، سوف تكون الأسرة سعيدة إن أنت أنجبت لها طفلاً .

روي تشن: (بحزن) عمتي ، كيف ستكون سعيدة؟ لم تجد الأسرة حتى الآن وسيلة لتسديد ديونها ، والسيد الكبير يقول إنه يريد بيع البيت . . .

صـو فـانغ: (تخفض رأسها) إي .

روي تشن: إن مجيء فرد جديد سوف يزيد من الأعباء، وتينغ لم يُنهِ دراسته الثانوية بعد.

صو فانغ: (تبتسم بلطف) لا تفكري مثل الكبار. إن لم نتحمل مشاق الحياة من أجلِ الأطفال، فلمن نتحملها إذاً؟ انجبي المولود وسوف أهتم به بالنيابة عنك. سوف أساعدك، لا تخافي، لقد تركت لي أمي مبلغاً من المال، حين تُغلق أمامنا كل الطرق، يمكننا أن ننفقه على المولود.

روي تشن: (متأثرة) عمتي صو، إن لك قلباً...

صو فانغ: (تنهمر دموعها من شدة الفرح) لكن، روي، سوف أتكلم بالنيابة عنك بعد قليل، سوف أخبر الجميع، أخبر حماتك أولاً، عندما تفكر بحمل حفيدها، فلن تبقى على ما هي عليه.

روي تشن: (بسرعة) لا، لا، أنت لا تعرفين، أنا لا أريد أن أخبر حماتي بهذا. لا، لا، يجب ألا تخبري أياً كان بهذا الأمر. (متأثرة) عمتي صو، لولاكِ، لولاكِ... آه، عمتي صو، أنا مرتبكة، رأيت في المنام أمسَ أمي وقد عادت إلى الحياة، وأنا ما أزال طفلة صغيرة. (بألم) آه، يا عمتي صو، لو لم أتزوج، ولم أكبر أبداً (تجهش بالبكاء مرة أخرى)

صو فانغ: (مواسية) لا تبكِ، لا تدعِ دموعك تنساب مرة

أخرى. انظري ماذا أحضرت لك!(تفتح الصرَّة وتستخرج منها ملابس طفل مطرَّزة) روي، انظري هل هي مناسبة؟

روي تشن: (تتأمل ملابس الطفل الرائعة، تحاول أن تتكلم فلا تستطيع) آ؟

صو فانغ: هل أعجبتك؟

روي تشن: (ترتجف) كيف أعددت كل هذا؟(على الرغم من خجلها إلا أنها لم تستطع إخفاء فرحتها) مازال، مازال الوقت مبكراً.

صو فانغ: أعددتها من باب التسلية، لقد تدربت بها على الخياطة.

روي تشن: (تتأمل الثياب واحداً تلو الآخر، بفرح) رائعة، رائعة، حقاً إنها رائعة. (فجأة تضع الثياب من يدها) ولكن، ليس عندك نقود، فلماذا أنفقت كل هذه المبالغ، من أجل، من أجل ...

صو فانغ: (بشفقة) ذلك لأنني أحبك، لا تغضبي يا روي، نحن الإثنان لا أم لنا ولا أبَ إننا عالة على الآخرين.

روي تشن: (تخفض رأسها، تشد على يد صو) عمتي صو. (تنهمر دموعها فجأة)

صو فانغ: (بلطف) كوني أماً بسرعة، لماذا تظنين أنه لا

يريد طفلاً؟ بمجيء الطفل سوف يهتم بك شيئاً فشيئاً. (تمسح دموع روي بمنديلها) اعذريه قليلاً، هو الآخر مازال صغيراً!(تهز رأسها، بأسى) آه أنتما الاثنان ما تزالان صغيران، ماذا يفهم ابنا السابعة والثامنة عشر. (تشد على يد روي، بصدق) روي تشن، إياك والإقدام على ما قلته لي ليلة البارحة.

روي تشن: (بصوت منخفض) ما حاجتي إلى هذا الكائن الصغير؟(شاردة) إنه لا يحبني.

صو فانغ: (بصراحة) روي، كيف لا يحبك، ثم لا ذنب للطفل. كلما كبر، تغير مزاجه اتجاهك، كيف لا تكون الأسرة سعيدة بوجود طفل، سوف يطمئن باله أكثر. (تحدق بها) هل تفكرين حقاً بما قالته لك صديقتك في الرحيل إلى أي مكان؟(بأسى) آه، هل حقاً أسرتنا هناك؟

روي تشن: (بغيظ) لا أريد أسرة، لا أريد هذه الأسرة.

صو فانغ: (تشد على يد روي، تهز رأسها) لا، أنت صغيرة، لا تعرفين كيف تنقضي حياة من لا أسرة لها، (تبكي) حيث يذوي قلبها في عزلة رهيبة. (لا تتمالك نفسها) منذ صغري وأنا . . (فجأة لا تستطيع المقاومة، تتنحى جانباً، بألم) روي، هل سمعتني، لا يجب ألا تفعلي ذلك الأمر، يجب ألا تسقطي الجنين.

روي تشن: آه

صـو فـانغ: لقد ذهبت للقاء ذلك الطبيب الشرير؟

روي تشن: (لا تجيب)

[يُسمع صوت ون تشينغ وهو ينادي: روي تشن!]

صـو فـانغ: قولي لي الحقيقة.

روي تشن: (تنظر إليها) إي

[**صوت ون تشينغ:** روي تشن!]

صـو فـانغ: لا تذهبي بعد ذلك مرة أخرى.

روي تشن: (بألم) إي

صـو فـانغ: (مؤكدة) بالتأكيد؟

(في الوقت الذي تهز فيه روي رأسها بالموافقة، يدخل ون تشينغ من باب غرفة التربية)

ون تشينغ: (يرفع ناظريه فيرى صو فانغ) آ، أنت هنا!(إلى روي) روي تشن، أحضري لي ثوبي.

روي تشن: حاضرة عماه!

(تدخل روي إلى غرفة ون تشينغ. صمت، الاثنان لا يتكلمان)

ون تشينغ: (يرسل آهة طويلة) صو فانغ، سوف أرحل، وبعد ذلك ستظلين وحدك...

(تندفع فجأة من باب صالة الضيوف يوان يوان مفعمة بالفرح)

يوان يوان: (هاتفة) عماه ، عماه!

ون تشينغ: (يلتفت مبتسماً) ماذا؟

يوان يوان: قال تشو الصغير أن جدته أحضرت لك زوجاً من الحمام .

ون تشينغ: (يشير إلى الحمامة داخل القفص) إنها هناك .

يوان يوان: (ترفع القفص) آه ، لم تبق إلا واحدة؟

ون تشينغ: (بألم) الأخرى طارت في منتصف الطريق .

يوان يوان: (معجبة بالحمامة ، بسذاجة) هل لهذه الحمامة اسم؟

ون تشينغ: (يهز رأسه بلطف) نعم .

يوان يوان: (ببساطة) ما اسمها؟

ون تشينغ: (بهدوء) اسمها ، اسمها «وحيدة» .

يوان يوان: إنها رائعة!(تتوسل بدلال) عماه ، هل يمكن أن تعطنيها؟

ون تشينغ: حسناً .

يوان يوان: (مندهشة) شكراً لك! أنت عم رائع!(تحمل القفص وتخرج راكضة) تشو! تشو!

(تخرج يوان يوان من باب صالة الضيوف منادية . صمت ، يُسمع صوت الحمام محلقاً في السماء)

ون تشينغ: (يبذل ما بوسعه) شكراً لك على اللوحة التي أهديتنيها .

صو فانغ: (تخفض رأسها ولا تجيب)

ون تشينغ: (يُخرج ببطء رسالة ملونة من جيبه) لقد كتبت أمس بعض القصائد . (يقترب منها على استحياء) إنها ، إنها هنا .

صو فانغ: (تستلم الرسالة)

ون تشينغ: (بتهذيب) اقرئيها فيما بعد .

صو فانغ: (تنظر إليه) بعد قليل ، لن أستطيع أن أودعك .

(تدخل صه يي من باب غرفة التربية فجأة)

صه يي: (مندهشة) آه ، أنتما هنا . (إلى صو) السيد الكبير يريدك .

صو فانغ: (لا تزال الرسالة في يدها) حاضرة . (تمشي باتجاه باب غرفة التربية)

صه يي: (تلمح الرسالة في يد صو ، تبرق عيناها فجأة) أي ، هناك ورقة أخرى على الأرض!

صو فانغ: (تلتفت بطريقة لا إرادية) آ؟

ون تشينغ: (مرتبكاً) أين؟ (ينشغل بالبحث في المكان)

صه يي: (تضحك بحدة) آه ، إنها واحدة فقط! (تنظر إلى صو) وهي في يدك!

[صوت السيد العجوز ينادي:(بصوت مرتجف) صو فانغ!]

صو فانغ: نعم!

(تخرج صو فانغ من باب غرفة التربية)

صه يي: (متجهمة) ما الذي تدبرانه مرة أخرى من وراء ظهري.

ون تشينغ: (بخوف) ماذا ... لا شيء.

صه يي: ماذا أعطيتها منذ قليل؟

ون تشينغ: (مدافعاً عن نفسه) لا شيء.

صه يي: (بقوة) هراء، لن تستطيع أن تخدعني! قُلْ، ماذا كانت تمسك بيدها؟ قُلْ...

ون تشينغ: أنا ...

(تعود روي تشن من غرفة ون تشينغ حاملة ثيابه)

روي تشن: عمي، ثيابك!(تعطيها لون)

صه يي: (إلى روي بغضب) اذهبي من هنا، عمتك صو تنتظرك.

(تخرج روي تشن من باب غرفة التربية. يرتدي ون ثيابه بصمت)

صه يي: (مثرثرة) طوال حياتي وأنا كريمة متسامحة، وللأسف لم أحصد إلا المرارة. لن أقف عند ما تدبرانه من وراء

ظهري ، (تبدو بمظهر المغلوبة على أمرها) عرفت منذ وقت مبكر أن هذه العائلة لن تشكل أسرة. سوف يُباع البيت «وعندما تسقط الشجرة تهرب القرود» ، أن تعيش مع زوجة ابنك ، فهذا حسن ، أو أن تعيش مع فلذة كبدك صو فانغ ، فهذا حسن أيضاً ، أما أنا فسوف أذهب إلى الدير ، أتعبد هناك ، متنازلة عن الحريات الأربع[1]. (تخاف أنه لم يصدقها) لا تظن أنني أتكلم كلاماً فارغاً لقد سبق وذهبت إلى الدير ، واتفقت مع كبير الرهبان هناك.

ون تشينغ: (يعلم أن ما تقوله ما هو إلا تهديد ، لكنه لا يقوى على احتمال ذلك) هل يستحق ذلك العناء؟ هل يستحق العناء؟

صه يي: (شاكية) لقد قمت بالنيابة عنك في تربية أولاد وبنات أسرة زنغ ، لقد تعبت ، قمت بواجبي اتجاه جميع أفراد أسرة زنغ! بعد أن يمر عيد الخريف ، بعد عيد الخريف ، سوف أتنازل عن رعاية البيت لشقيقتك ، وأدخل الدير غداً. (تتجه إلى غرفتها)

(يدخل تشانغ شون من باب صالة الضيوف مستعجلاً)

---

(١) هي حرية الكلام ، حرية الرأي ، حرية الحوار وحرية الكتابة.

تشانغ شون: (بعجلة) سيدتي ، الذين يعملون بدهان التابوت ...

صه يي: دعهم يذهبون إلى السيد الكبير!

تشانغ شون: (بخبث) ولكنهم يصرون ويطلبون من سيدة ...

صه يي: (متبرمة) قل لهم إن السيدة ماتت ، انقطعت أنفاسها!

(تدخل إلى غرفتها)

ون تشينغ: (ينظر إلى باب غرفته)

(يزفر تشانغ زفرة طويلة ويخرج من باب صالة الضيوف)

ون تشينغ: صه يي!(يدفع الباب) افتحي الباب! افتحي الباب! ماذا تفعلين؟

صه يي: (بغضب) أشنق نفسي!

ون تشينغ: (يدق الباب) افتحي الباب! افتحي! بماذا تفكرين؟ تكلمي ، ماذا تفعلين ...(يلتفت ، بصوت واطئ) جاء أبي!

(يدخل من باب غرفة التربية كل من روي تشن ، صو فانغ ، والمربيـة وهن يحطن بالسيد زنغ هاو .

زنـغ هـاو ، يبدو لا يتجاوز الخامسة والستين من العمر ، ابيضّت سوالفه ، ضعيف البنية ، وجهه شاحب تغطيه التجاعيد .

عيناه قاتمتان إلا أنه لا روح فيهما، دامعتان طوال الوقت، فقط عندما يتحدث بحيوية يبدو عليه لطف ونعومة آل زنغ. بخيل، أناني، يخاف من الموت، يكثر من تناول الأدوية معتقداً أنها تطيل العمر، استمتع بإرث أجداده، عاش حياة هنيئة لعشر سنوات ونيف. عمل في عدة وظائف لتعويض خسائره، إلا أنه كان يستقيل منها بعد وقت قصير، ويعود إلى بكين ليعيش حياة رغد ومجون. لكن للشيخوخة همومها، إنه يشعر بالحرمان الآن، لقد أفقده أولاده وأحفاده الأمل، ولم يبق من ملكية البيت ما يستحق الذكر، وهو نفسه لم يعد قادراً على تدبر أموره المعيشية لذا فهو يشعر بعدم الرضى. إنه يهتم بالشكليات والتقاليد التي لا داعي لها، ويعتقد أن أولاد الحسب والنسب يجب ألا تنقصهم التربية الأسرية، ولذلك كثيراً ما يلجأ إلى المبالغة في التأكيد على هيبته كرب للأسرة، إلا أنه كان يخشى زوجة ابنه. إنه يعرف حق المعرفة أن زوجة ابنه تتملقه ظاهرياً، وتدبر له المكائد في السر. إنه يكره طيش وصلف زوج ابنته أيضاً، وهو يصغي إلى مشاجراته طوال السنة، وإلى أحاديثه الفارغة وسعيه الدائم وراء الربح. هو لم يعلن بشكل صريح إفلاسه كما لا يجرؤ على القول إنه لا يملك نقوداً. شؤون الأسرة

كلها بيد زوجة ابنه ، وهو يدعي أنه قادر على مواجهتها ، إلا أنه في حقيقة الأمر يمتلئ رعباً إن هو فكر فيها فقط ، أما بالنسبة لها فهي لا تجرؤ أيضاً على التعبير عن احتقارها له بشكل معلن . إلا أن القلق يساوره من معاملة أبنائه وأحفاده له إن هم عرفوا ذات يوم أنه لم يُبق من ثروته شيئاً .

طبعاً ، ربما يكون هذا نوع من الحساسية الزائدة ، لكنه يشعر أن الفقر يهدد مكانته كرب أسرة ذات حسب ونسب . إنه يشك أحياناً بمقدار فائدة وتأثير كتب الشعر والآداب على أولاده . يجد أن أنجع طريقة هي «اللامبالاة» ، إلا أن الـ «اللامبالاة» لزمن تستثير غضبه ، لذلك لا مناص أمامه أخيراً من الثرثرة والتذمر ، ولأنه لا يمكن له ضبط نفسه ، فهو يتظاهر بالبلاهة والطرش ، لدرجة لا تحتمل . إن متطلباته بسيطة ، فهو عدا عن دهن تابوته ، وتناول دوائه لا يطلب الخروج ، ويبذل ما بوسعه كي لا يتحول إلى كائن زائد لا فائدة منه . إنه يختبئ داخل غرفته ، يكتب ويقرأ الكتاب المقدس ، كما لو أنه غير موجود ، يدخر الجهد والمال . وعندما تنهال المشاكل فوق رأسه ، ينفجر في سورة من الغضب ، لكن معنويات الشيخوخة تخذله ، فتذوي همته ، ويشعر بالظلم فيشتم أبناءه وأحفاده على عدم البر

به ، ويأسف على أسرته المنحطة ، ويتذمر من صلف جيرانه وعدم تهذيبهم ، وأحياناً لا يتمكن من تربيـة وتثقيف هـذه الأسرة ذات الحسب والنسب المنهارة ، وتكاد تتلاشى البقية الباقية له من عزة وكرامة . أنانيته غير مُدركة . على سبيل المثال يعتبر نفسه المربي لصو فانغ الفتاة اليتيمة التي لا تشكو . الحقيقة أن صو فانغ تشفق عليه ، وتهتم به بصمت ، وتكتم عنه ما يقلقه ، كي تجنبه الكثير مما يعكر عليه صفو الحيـاة . وعندما يشعر أنها متأثرة ، يجتاحه فجأة قلق لا يمكن تلافيـه ، فيتظاهر بالارتباك ويدعي كل أنواع الضعف والمعاناة ، حتى يستدر عطفها تجاهه ، وتتحول عبـدة له إلى الأبد . هو لا يفكر بنفسه دائماً ، ويشفق على نفسه ، لأن هذا يجعله بالإضافة إلى مصائبه ، لا يرى معاناة الذين حوله .

يلبس ثوباً قديماً نحاسي اللون ، فضفاضاً . يرتدي فوقه سترة ناعمة خاطتها له صو فانغ – فهو يخاف من البرد دائماً – أزرارها العلوية مفتوحة ، يلبس في قدميه حذاءً من الطراز الغربي ، ذا شريط رمادي من الساتان ، ويحمل بيده مسبحة . صو فانغ وروي تشن تسندان السيد العجوز ، والمربية تحمل له زبدية الشاي)

زنـغ هـاو: (يغمض عينيه ويصغي ، يهز رأسه) مم ، مم .

ون تشينغ: (بارتباك) أبي.

زنغ هاو: (يغوص في تفكير عميق، يبدو أنه لم يسمع)

المربية: (تتكلم وتضحك، يقف الجميع للإصغاء إليها، توجه كلامها إلى ضو وهي متأثرة) هل مرت خمس عشرة سنة؟(إلى هاو) لقد دُهن هذا التابوت على مدى خمس عشرة سنة!(بدهشة وإعجاب) إيه، كم مرة دُهن إذاً؟

زنغ هاو: (بسرور) أكثر من مائة مرة. (يمشي الجميع باتجاه طاولة صغيرة وطويلة)

المربية: (بإعجاب) يا للعجب يبلغ سُمْك الدهان(تشير بيدها) اثنان أو ثلاثة تسون[1](تضع الزبدية على الطاولة)

(تخرج صه يي من غرفتها مبتسمة، وكأن شيئاً لم يكن)

صه يي: حضر سيدي. (تسنده) تعال هنا، تبدو على أحسن حال!(تسير به إلى الكنبة، تلتفت إلى روي) رتبي الكنبة يا ابنتي!(تساعده على الجلوس، تكلم ون) لم تحضر الوسادة بعد.

ون تشينغ: حاضر!(يذهب إلى غرفة التربية، تلحق به روي)

زنغ هاو: (يغمض عينيه، يسبح بالمسبحة) ليُدهن بتأنٍ! بعد أربع خمس سنوات أخرى يصبح مريحاً للنوم فيه.

(١) CUN: وحدة قياس صينية تساوي ٣٣٣٣، ٣ سم

(تعود روي من غرفة التربية تحمل وسادة)

صـه يي: (تشير لها بلطف) ضعيها وراء ظهره يا ابنتي. (يبدو أن عمل روي لم يعجبها، تنحني لتضع الوسادة بنفسها) حسناً، دعِ عنك. (إلى روي) اذهبي وأحضري حراماً، نغطي به السيد.

زنـغ هـاو: (يفتح عينيه) لا داعي لذلك. (يغمض عينيه ويعود لهدوئه)

صـه يي: (بتواضع) هل تشعر بتحسن الآن.

زنـغ هـاو: أحسن قليلاً.

ون تشينغ: (يتقدم) أبي.

زنـغ هـاو: (يهز رأسه هزة خفيفة) إي، (يستغرب عن عمد) آه، أنت لم ترحل بعد؟

صـه يي: (تنظر إلى ون، ثم إلى هاو) سوف يرحل ون تشينغ بعد قليل.

زنـغ هـاو: (إلى ون) هل صليت لروح أجدادك؟

ون تشينغ: لم أفعل.

زنـغ هـاو: (غير سعيد) اذهب، اذهب، اذهب بسرعة، قدم الصلاة أولاً ثم تكلم بعد ذلك. (يسعل)

ون تشينغ: حاضر يا أبي. (يمشي باتجاه غرفة التربية)

المربيـة: (تستغل الفرصة للتحدث إلى ون تشينغ) سيدي الصغير تشينغ ، سوف اذهب معك .

(يخرج ون والمربية من باب غرفة التربية)

زنـغ هـاو: صـو فانغ ، احضري لي المبصقة .

(تهم صـو بالذهاب باتجاه غرفة التربية ...)

صـه يي: (تضحك وتتكلم مباشرة) لا تتعب أختي صو! ففي غرفتي واحدة. روي تشن ، أحضريها لسيدك. (تتناول زبدية الشاي) اشرب قليلاً من الشاي يا سيدي!

(تدخل روي تشن إلى غرفة صـه يي)

زنـغ هـاو: (يشرب الشاي ، تعود صو تحمل مبصقة ، يبصق هاو فيها) يا للمرارة! (يغمض عينيه)

صـو فانغ: هل ما تزال تشعر بدوار؟

زنـغ هـاو: (ينظر إليها ، ثم يغمض عينيه ، كمن يكلم نفسه) دوار في الرأس ومرارة في الفم ، هذا بسبب قصور في الكبد! لذا فالبصاق يخنقني! (يمسح بيده على صدره)

صـه يي: (باهتمام) أرى أنه ينبغي أن نستدعي لسيدي طبيباً أجنبياً .

زنـغ هـاو: (يفتح عينيه غاضباً) من قال ذلك؟
صـه يي: او ان نرسل تشانغ شون لاستدعاء طبيب القصر!
زنـغ هـاو: (يغمض عينيه، يهز رأسه) لا ، طبيب القصر ما زال يستخدم أساليب قديمة تعود إلى عصر تانغ ، وأدوية عفا عليها الزمن ، إن عمري ، وبنية جسمي ...(لا يرغب أن يتم كلامه ، يتنهد ، يغمض عينيه ويسعل سعالاً خفيفاً)

(تعود روي من غرفة صه يي ، تحمل مبصقة تقدمها إلى هاو ، يأخذ هاو المبصقة بيده ويبصق فيها)

صـه يي: أسرة دو أرسلت رسولا يطالب بسداد الخمسين ألفاً.

زنـغ هـاو: إي

صـه يي: كذلك أجور دهان التابوت لهذه السنة ...

زنـغ هـاو: (مضطرباً) نقود ، نقود! حيوان جر ، حيوان جر ، جعلت من نفسي حيوان جر طوال عمري ، حتى في ساعة مرضي علي أن أهتم بذلك ، أن أكون حيوان جر.

(يكفهر وجه صه يي . صمت طويل)

صـو فانغ: (مواسية) كان دهان التابوت هذه السنة رائعاً.

زنـغ هـاو: (لا يريد أن يحرج صه أكثر من ذلك ، يهز

رأسه، تنفرج أساريره قليلاً) مم، لننتظر، لننتظر حتى ربيع السنة القادمة حيث يُعاد دهن التابوت مرتين بدهان سيتشوان[1] عندها نجد طريقة لسداد دين أسرة دو، سوف أصلح هذا الخطأ. (يتنهد بدون رغبة، ينظر إلى روي تشن) إن كان حظي جيداً، فسوف أحمل ابن حفيدي خلال السنة القادمة ...

صه يي: (تبتسم) حقاً، قدمت صلواتي لأجدادي منذ قليل وطلبت من روي أن تدعو الله أن يحفظها ويقيمها بالسلامة، لتمنح السيد ابن حفيده يحمله بين يديه.

زنغ هاو: (ترتسم السعادة على وجه السيد المصاب بالاستسقاء) روي تشن، هل دعوت ذلك في سرك؟

روي تشن: (تخفض رأسها)

صه يي: (تشدها، بحدة) السيد يسألك هل دعوت ذلك أم لا؟

روي تشن: (تلتفت متنحية)

صو فانغ: (مواسية) روي تشن!

روي تشن: (تعود) دعوت ذلك سيدي.

زنغ هاو: (تغمر الابتسامة وجهه) حسناً فعلت.

[**صوت ون تساي من الخارج:** جيانغ تاي، جيانغ تاي!]

---

(١) مقاطعة صينية.

صـه يي: (تتمتم) يالك من ولد، لماذا تبكي؟

(تدخل ون تساي وزوجها من باب صالة الضيوف وهي تشده إلى الداخل)

ون تساي:(متوسلة) جيانغ تاي! جيانغ تاي!(تشده إلى الداخل)

جيـانغ تاي: (غاضباً) حسناً، سوف أدخل، سوف أدخل! لا تجريني!

(ينظر الجميع إليهم، يتقدمان)

صـه يي: ما بكما؟

ون تساي: أبي!(تلتفت إلى جيانغ وتكلمه بصوت منخفض) حيِّه كما أنت، لا داعي لتبديل ملابسك.

صـه يي: (تضحك عمداً بينما تتكلم) زوج ابنتكم يهنئكم بالعيد.

زنـغ هـاو: (يطلب منهم مساعدته كي ينهض ويرد التحية) آه، لا داعي، لا داعي، يهنئني بأي عيد؟

(جيانغ تاي يرمق صه يي نظرة، وفي الوقت الذي ينهض فيه زنغ هاو ليرد التحية، ينحني جيانغ نصف انحناءة وهو غير راغب بذلك)

جيانغ تاي: (بينما يجلس هاو، ينظر حوله ثم فجأة) حسناً، عندي جملة وسأقولها، (يشير) إن جدار غرفتنا على وشك الانهيار، هل تفكرون بإصلاحه أم لا؟

ون تساي: (بصوت منخفض، غاضبة) ماذا فعلت؟

جيانغ تاي: (إلى ون تساي) أنت لا تتدخلي! (يلتفت إلى صه وهاو) هل تصلحونه أم لا؟ إن لم تفعلوا سوف أحمل لحافي وأنقلع من هنا.

زنغ هاو: (بحيرة) كيف؟

صه يي: (بلطف لا يخلو من قسوة) لم نقل ذلك يا صهرنا، أنا لا أجرؤ على القول إننا لن نصلحه، غير أني سمعت أن السيد يريد بيع البيت والعمل في التجارة لذلك ...

زنغ هاو: (ينهض غاضباً) أبيع البيت؟

صه يي: تبيعه لأسرة دو المجاورة.

زنغ هاو: (تخف سورة غضبه) من قال ذلك؟ من الذي قال ذلك؟

صه يي: (ترمق جيانغ بنظرة، تضحك ضحكة فاترة) من يعرف من قال ذلك؟

جيانغ تاي: (بتسرع) أنا قلته!(ينظر إلى هاو باحتقار) أنا أيضاً لا أعرف من لا يحسب لكلامه حساب و قال لي هذا .

زنغ هاو: (يبدو أنه موضع توبيخ لأفراد أسرته، وهو لا يحتمل ذلك) جيانغ تاي، ألم تكلمني طوال الوقت عن ذلك.

جيانغ تاي: حسناً، أنا ذاهب. (يمشي)

ون تساي: (بصوت منخفض، تكاد تبكي) جيانغ تاي، هلاَّ جلست.

صو فانغ: (متوسلة) صهري!

(أمام إلحاح الجميع، يجلس مكرهاً. صمت طويل. يدخل ون تشينغ بهدوء من باب غرفة التربية ويقف جانباً)

زنغ هاو: (يرمق ون تشينغ نظرة، مرتعشاً) حسناً، لقد سبق وقلت، لقد سبق وتكلمت، تكلمت إلى هؤلاء ممن لم ينبت شارباهما بعد ولدي وحفيدي. إن ظروف الأسرة الآن ليست جيدة، لا أحد لديه القدرة على كسب عيشه(ينظر إلى ون تشينغ ناقماً) إن الولد الكبير هو الأول لا نفع فيه! وأسرة دو حديثة النعمة تطالبنا بالدين يومياً، وهم يصرون على شراء بيتنا، هل يصعب علينا أن نأخذ عشرة عشرين ألفاً أخرى، ونتنازل لهم عن البيت؟(كلما تكلم كلما ازداد غضباً) صاحب

معمل الغزل حديث النعمة ذاك، يستغل نفوذه لإيذاء الآخرين، يعتقد أنه يستطيع شراء كل شيء بالنقود، حتى تابوتي الذي تم دهنه على مدى خمس عشرة سنة يريد شراءه(يرتعش غضباً) هذا الإنسان لم يقرأ كتاباً قط. أليس من الصعب علي أن أبيعه التابوت الذي أريد أن أنام فيه؟(ينظر إلي ابنته) ون تساي، تكلمي؟(ينظر إلى ابنه) ون تشينغ، يا كبير الأسرة تكلم؟(يخفض ون رأسه) أنتم يا أبناء وبنات ...

(تدخل المربية من باب غرفة التربية)

المربيـة: (فرحة) تشينغ!(عندما ترى صه يي تلوح لها، تتوقف عن الكلام، ثم تنسل خارجة بهدوء من باب صالة الضيوف)

زنـغ هـاو: هذا البيت هو ما ورَّثه أجدادُنا لنا، في سبيل كل قطعة خشب فيه بذل أجدادنا العرق والدم، ونحن أكلنا وأقمنا في هذا المكان، صغيرنا وكبيرنا اعتمد على ما تركه الأجداد لنا، في مأكلنا ومسكننا. (يربت بيده على مسند الكنبة) وأنتم لم تعرفوا كيف تهتمون بهذا، يحز في نفسي أن يُباع البيت لذلك النوع من حديثي النعمة، أن يُباع لذلك النوع ...

جيـانغ تاي: (يرفع يده) أنا صريح، لا أريد الدخول في هذه الحسابات، وأنا لم أفكر بتاتاً فيما إذا كنتم تريدون بيع البيت أم لا.

زنـغ هـاو: (بذهول ونقمة يواصل حديثه) يا لحديث النعمة هذا! حتى تابوتي يفكر في شرائه، هذا الصنف ...

(يُسمع صوت مفرقعات مفاجئ من البيت المجاور)

زنـغ هـاو: (خائفاً) ما هـذا؟(يكاد أن يهب واقفاً، يبدو أنـه لا يحتمل مثل هذا الانفعال) ما هذا؟ ما هذا؟ ما هذا؟

صـو فـانغ: (في خضم أصوات المفرقعات تضطر للصراخ) لا تخف، إنـها مفرقعات!

زنـغ هـاو: (يغطي أذنيه بيديه، بانزعاج) أغلقوا الأبواب، أغلقوا الأبواب .

(تسرع ون تساي وروي تشن لإغلاق الأبواب، يخف صـوت المفرقعات إلا أنه ما يزال مستمراً، بعد لحظات)

ون تساي: (من خلال صوت المفرقعات غاضبة) أسرة من هذه التي فجرت كل هذه المفرقعات؟

جيـانغ تاي: (بضحكة ساخرة) هه! إنها أسرة دو حديثة النعمة.

زنـغ هـاو: (يرفع رأسه) هل رأيتم حديث النعمة ذاك! حتى في عيد منتصف الخريف يثير صخباً مثل الأولاد ...

(تدخل المربية من باب صالة الضيوف)

المربيـة: (تصفق ضاحكة) صـو فانغ ، إنها أسرة ممتعة! البنت تدعـو أباها بالقرد العجوز ، والأب يدعو ابنتـه بالقردة الصغيرة ، وفي البيت يجثم كائن جلف يشبه الشمبانزي ، القرد العجـوز يرسم ، والقردة الصغيرة تتسلق رأسه لتسقط من هناك ، (تترنح إلى الأمام وإلى الخلف من شدة الضحك) البيت مقلوب رأساً على عقب ...

زنـغ هـاو: (بحيرة) مـن؟

المربيـة: إنه السيد يوان وابنته ، يبدو أن السيد يوان غريب الأطوار ، إنه يضحك بحماقة ...

صـه يي: سيدة تشن ، اذهبي إلى المطبخ وأعدي الطعام بسرعة ، فقد دعا السيد الكبير السيد يوان من أجل الآنسة صـو .

المربيـة: إي ، إي ، حاضر ، حاضر!

(تخرج المربية من باب صالة الضيوف فرحة)

صـه يي: (تدخل إلى صلب الموضوع) سَمِعَت كنتي أن السيد يوان ينوي الرحيل بعد أيام قليلة ، ولا أَعرف ماذا قرر السيد الكبير بشأن زواج أختي الصغيرة صو

زنـغ هـاو: (يهز رأسه ، باستخفاف) هذا الرجل ، أنا أرى ...

(يعرف جيانغ تاي ما يدور في ذهن العجوز فيصدر صوت «هه» من أنفه، يلتفت هاو ويرمقه بنظرة، ثم يتوجه إلى صو فانغ التي همت بالمغادرة) حسناً، صو فانغ، لا تذهبي. سوف نستغل وجودك بيننا، ونتحدث في هذا الأمر.

صو فانغ: سوف أُعد منقوع الدواء لزوج خالتي.

جيانغ تاي: (ساخراً لكن بنية طيبة) هه، آنستي صو، ألم تُعدي الدواء بعد؟(بسرعة وبشكل متتابع) اجلسي، اجلسي، اجلسي، اجلسي.

(تجلس صو مرغمة)

زنغ هاو: صو فانغ، ما رأيك؟

صو فانغ: (تخفض رأسها ولا تجيب)

زنغ هاو: صو، ما هو رأيك الشخصي؟ لا تفكري فيّ، يجب أن تفكري بنفسك، أنا زوج خالتك، وقد لا أدوم لك بضعة أيام، دعكِ مني، السيد يوان إنسان ...

صه يي: (بسرعة) صحيح، يا أختي صو، فكري جيداً، ولا تُخيبي ظن زوج خالتك فيك، وإلا أضعتِ على نفسك ...

زنغ هاو: (بسرعة أيضاً) صه يي، دعيها تفكر بنفسها.

هذا موضوع حياتها، إن وافقت أم لا فلنفسها(ضحكة مفتعلة) نحن وفي أحسن حال نطرح رأينا. صو فانغ، تكلمي، كيف تشعرين؟

جيانغ تاي: (وقد نفد صبره) هل هناك مشكلة؟ إن السيد يوان ما هو بغول إنه باحث في علم الأجناس، وهو إنسان جيد أولاً، مثقف ثانياً، دخله جيد ثالثاً، فمن الطبيعي ...

زنغ هاو: (يتظاهر بنوع من الهدوء) لا، لا، دعها تفكر بمفردها. (إلى صو بقلق) صو فانغ، أريدك أن تعرفي، أنت ابنة أخت زوجتي الوحيدة، وأنا أعاملك كما أعامل ابنتي، إن رفضت ابنتي الزواج، هل يمكن لي أن أتخلى عن رعايتها؟

صه يي: (متدخلة) هذا صحيح! أختي صو، الفتاة التي لا تتزوج هي أيضاً ...

ون تشينغ: (يبدو أنه نفد صبره، يهم بالانصراف ...)

صه يي: (تلمح ون) إي، لِمَ تذهب؟ لِمَ تذهب؟

(لا يلتفت، يخرج من باب غرفة التربية)

زنغ هاو: ما به ون تشينغ؟

صه يي: (بضحكة باردة) ربما هو الآخر يريد أن يُعد منقوع

الدواء لأبيه! (تلتفت إلى صو وتكلمها بحرارة) اطمئني يا أختاه، الأسرة تطرح هذا الموضوع لأنها مهتمة بأمرك. عيشي في أسرة زنغ طوال عمرك، فلن يزعجك أحد بكلمة. (بخبث) أليست الفتاة غير المتزوجة جديرة بالرعاية أيضاً؟ فكيف بالنسبة إلى صو يتيمة الأبوين، ليس في الأسرة هناك ما هو أغلى ...

زنغ هاو: (طبعاً هو يدرك ما ترمي إليه، وقبل أن تنهي كلامها) حسناً، حسناً، من فضلك لا داعي لكل هذا الكلام الفارغ. (يشحب وجه صه، يلتفت هاو إلى صو) هلاّ قررت ذلك بنفسك يا صو فانغ؟

صه يي: (تحث صو) تكلمي!

ون تساي: (وقد كانت طوال الوقت تصغي وتهز رأسها، فجأة تحثها على الكلام) هيا تكلمي، أنا أرى يا أخت صو ...

جيانغ تاي: (إلى زوجته) اسكتي يا امرأة!

(تصمت ون تساي، تنهض صو وتتجه للخروج من باب صالة الضيوف)

زنغ هاو: صو فانغ، قولي شيئاً يا آنسة. أنت أيضاً يجب أن تطرحي رأيك.

صو فانغ: (تهز رأسها) أنا، أنا لا رأي عندي. (تخرج)

زنـغ هـاو: إيه، كيف لا يكون عندها رأي في مثل هذا الموضوع؟

جيـانغ تاي: (وقد نفد صبره) هل تريدون أن أتكلم أم لا؟

زنـغ هـاو: مـاذا؟

جيـانغ تاي: إن سمحتم لي بالكلام، تكلمت. وإلا فسوف أمشي.

زنـغ هـاو: حسناً، تكلم، أنت طبعاً سوف تقول رأيك.

جيـانغ تاي: (بصراحة) أرجو ألا تتكلموا مع صو فانغ بما يزعجها، هل يصعب عليكم معرفة ما يجيش في قلبها؟ لماذا نظلم بجملة منك وجملة مني عانساً بائسة وحيدة؟ لماذا ...

صـه يي: نظلمها؟

ون تساي: جيانغ تاي.

جيـانغ تاي: (غاضباً) أقول إنكم تظلمونها، إنها تهتم بالكبير والصغير، بالحي والميت، بالسيد الكبير والسيدة الكبيرة، بالسيد الصغير والسيدة الصغيرة، إنها وحدها من تخدم الجميع. صارت في الثلاثين من عمرها، لماذا تمسكون بها، لمَ لا تطلقون سراحها، ماذا تبغون من وراء ذلك؟

زنـغ هـاو: أنت ...

ون تساي: جيانغ تاي!

جيـانغ تاي: هل تريدونها أن ترافقكم في توابيتكم، وتُحرق رماداً لأرواح الأجداد؟ لتتحرك ضمائركم قليلاً! ليتحرك ضمير أحدكم على الأقل! أنا ماشي، هذه رسالة، (يضعها فوق ركبة السيد هاو) ليقرأها الجميع!

ون تساي: جيانغ تاي!

(يخرج جيانغ متأففاً من باب صالة الضيوف)

زنـغ هـاو: (شارداً وحزيناً) ما هذا الكلام؟ أنا، أنا لم أسمع من قبل مثل هذا الكلام الجلف!(يفض الرسالة، يستخرج رزمة أوراق نقدية وقصاصة ورقية)

(بينما يقرأ هاو الرسالة، يدخل تشانغ شون وهو يحمل زبادي وعيدان الطعام تبادر روي بمساعدته وذلك بإعداد الطاولة، تُوضع الزبادي والعيدان وتُرتب الكراسي بهدوء)

زنـغ هـاو: (ينهي قراءة الرسالة بسرعة، تبدو ملامح الغضب على وجهه) ما معنى هذا؟(يرفع رزمة النقود بيده) هو يعطيني إيجار الغرفة!(إلى صه) صه يي، كيف حدث هذا؟

صـه يي: (بضحكة باردة) لا أعرف أي مرض عصبي عاوده مرة أخرى؟

ون تساي: (كانت قد وقفت وقرأت الرسالة، حائرة وحزينة) أبي، لا تهتم به، إنه مكتئب قليلاً، وهو في هذه السنوات ...

زنغ هاو: (غاضباً) جيانغ تاي، أنا لا ألومه، قلت إن الصهر بمقام الابن هو أيضاً غريب. (إلى ون تساي) أنت ابنتي، وتعرفين أن الثقافة هي بالمقام الأول بالنسبة لآل زنغ، ولم يسبق لهم الحديث عن النقود مطلقاً. حسناً، إن رغبتما بالعيش هنا فلكما ذلك، وإن لم ترغبا فافعلا ما يحلو لكما، ولا ينبغي أن تجمعا الإيجار، ومصاريف الطعام، وتقدمانها لأبيك ...

ون تساي: (غاضبة) أبي، لقد ارتكبت خطأً بإنجابك، ارتكبت خطأً ...

زنغ هاو: (يرتجف من شدة الغضب) في بيتي يترنح مثل هذا الصهر المتعجرف!

ون تساي: (تجهش بالبكاء وقد نفد صبرها) آه يا أمي، لِمَ لم تتركيني أموت، يا أمي!

صه يي: ون تساي!

(تدخل ون تساي إلى غرفتها باكية)

زنـغ هـاو: (يزفر زفرة طويلة) مجموعة حاقدين! لا أحد يسمع الكلام . أعدوا الطعام ، تشانغ شون ، ادع السيد يوان إلى الطعام .

(يخرج تشانغ من باب صالة الضيوف . يدخل ون تشينغ من باب غرفة التربية)

ون تشينغ: أبي!

زنـغ هـاو: ماذا هناك؟

ون تشينغ: بعد ساعة سوف أرحل .

زنـغ هـاو: هل توقفت عن التعاطي؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه) توقفت عنه .

زنـغ هـاو: أكيد؟

ون تشينغ: (يحمر وجهه من الخجل) أكيد .

زنـغ هـاو: والدخان؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه) توقفت عنه أيضاً .

زنـغ هـاو: (ينظر إلى أصابعه المسودة) كلام فارغ!(معاتباً) انظر ، كيف سوّد الدخان أصابع يديك وحولها إلى هذا الشكل؟(يهز رأسه ويتنهد) كيف تواجه الناس بمثل هذه الحالة!

ون تشينغ: (لا يرغب في النظر إلى أصابعه) سوف أنظفهما.

زنـغ هـاو: أين تينغ؟

صـه يي: (تسرع باتجاه باب صالة الضيوف وتنادي) تينغ! جدك يريدك

زنـغ هـاو: ماذا يفعل؟

ون تشينغ: يطلق طائرات ورقية بصحبة الآنسة ابنة السيد يوان.

زنـغ هـاو: يطلق الطائرات الورقية؟ يتوقف عن قراءة الكتب ويطلق طائرات ورقية؟

ون تشينغ: تينـغ!

(يدخل تينغ من باب الصالة راكضاً)

زنـغ هـاو: (بصرامة) لِمَ تركض؟ أين تعلمت هذه الصفات السوقية؟

تينـغ: (يتوقف) جدي، العم يوان يرسم الآن «إنسان بكين»، قال سوف يحضر حالاً.

زنـغ هـاو: إي، (إلى روي) حضري المشروب.

تينـغ: العم يوان قال، سوف يحضر معه ضيفاً.

زنـغ هـاو: لا بأس، قل له، الجود من الموجود، هيا استدعه.

تينـغ: حاضر!(يمشي بضع خطوات ثم يقف ويلتفت متردداً) جدي ، إن ضيفه هو «إنسان بكين» .

زنـغ هـاو: إنسان بكين ليس كما ينبغي . (إلى ون تشينغ لائماً) انظر إلى تربيتك لابنك حتى هذه اللحظة لا يملك شيئاً من المنطق .

تينـغ: (متردداً) العم يوان يسأل هل يبدل ملابسه؟

زنـغ هـاو: (غاضباً) تبديل أية ملابس ، هيا اطلب منه الحضور فوراً . سوف يرحل أبوك بعد ساعة .

(يخرج تينـغ من باب الصالة)

زنـغ هـاو: غريب ، أين ذهبت صـو فانغ؟

صـه يي: ربما ذهبت كي تعد الطعام للسيد يوان .

زنـغ هـاو: إي .

[يسمع صوت تينغ قادماً من ناحية الصالة .

صوت تينغ: «جدي في الداخل! جدي في الداخل!»

صوت يوان: «اهرب ، اهرب!»

يُفتح باب صـالة الضيوف بقوة ، يندفع تينغ صارخاً ، تتبعه

يوان مبللة وهي تحمل سطل ماء بيد ، وشريط مفرقعات نارية باليد الأخرى . يلحق بهما تشو الصغير ، يحمل عود بخور بيد ، وحمامة باليد الأخرى .]

تينغ: (راكضاً) جدي ، هي ، هي ...

يوان يوان: (مقهقهة) تهرب! تهرب! إلى أين ستهرب ...

(يختبئ تينغ وراء الكنبة التي يجلس عليها جده ، تلقي بشريط المفرقعات تحتهما يصرخ تينغ وجده مرعوبين ، بينما يقهقه يوان وتشو الصغير الذي يقف قريباً من الباب)

زنغ هاو: أنت ، أنت أيتها البنت ، ما بك؟

يوان يوان: سيد زنغ!

زنغ هاو: لِمَ تثيرين كل هذا الصخب؟

يوان يوان: (بدلال) انظر يا جداه ، (تقدم له شعرها المبلل ، وتشير إلى تينغ) هو الذي بلّلني!

[يسمع صوت رجل في الخارج: (ضاحكاً) قردتي الصغيرة ، أين ذهبت؟]

يوان يوان: (بشقاوة) قردي العجوز ، أنا هنا!

(تخرج يوان راكضة ضاحكة من باب الصالة . يتبعها تشو الصغير)

زنـغ هـاو: (إلى صه) انظري ، هل هذه الأسرة جديرة بصو فانغ؟(يلتفت إلى تينغ) هل أنت الذي بللها منذ قليل؟

تينـغ: (خائفاً) هي ، هي التي طلبت مني ذلك .

زنـغ هـاو: اجثُ

صـه يي: أنا أرى يا سيد . . .

زنـغ هـاو: اجثُ(يجثو تينغ) دع أفراد أسرة يوان يرون تربية أبناء أسرة زنغ .

(تدخل يوان فرحة وهي تمسك بيد «قردها الكبير» عالم الأجناس يوان رن قان . «القرد الكبير» في حقيقة الأمر ليس كبيراً ، إنه في الأربعين من العمر أصلع ، باستثناء بعض الشعيرات الطويلة الزيتية التي تنسدل على هامته من طرف إلى آخر ، تذكر بالشعر الذي كان . ليس بطويل القامة ، وجهه أحمر ممتلئ ، صدره منتفخ وخصره ممتلئ ، يرتدي سروالاً أصفر قديماً ، جزمة متسخة ، قميصاً أزرق فاتح اللون ، يبدو مثل ميكانيكي سيارات . في عينيه ملمح هدوء وذكاء ، وأحياناً بريق سخرية ، وفجأة تطفح عيناه بنوع من النباهة التي يمتاز بها المثقفون عادة . ظل ابتسامة دائمة على طرف فمه ، يبدو جداً لدارسي علم الأجناس ، وفي الوقت

نفسه يسخر مما آل إليه الجنس البشري من انحطاط، أذنان كبيرتان، جبينه عريض، أنفه أفطس كأنف أسد، يبدو أحياناً كمهرج.

أعماله مثيرة للتقولات، من الناس من يقول إنه كان متزوجاً، ومنهم من يقول إنه لم يتزوج أبداً، وإن يوان هي ابنة غير شرعية، وإذا ما سئل عن ذلك ابتسم ابتسامة غامضة. منذ أن بدأ حياته وهو يبحث في جمجمة «إنسان بكين» التي حصل عليها أثناء قيامه بالتنقيب مع فريق علمي في علم الأنسجة في التبت ومنغوليا وكانت معه ابنته مثار سخرية الآخرين في بعض الأحيان. تبدو تلك الفتاة مثل مستحاثّة، وهي لا تفهم ما من شأنه إثارة المشاعر بين الجنسنغ)

يوان يوان: (تمشي وتتحدث) بابا، أعطاني تشو الصغير عود بخور، أشعلت به المفرقعات وطاردته، ثم رميتها تحت قدميه...

يوان رن ڤان: (يهز رأسه ويضحك بينما هو يسمع) همم، همم، إي ...(يرى زنغ هاو وقد نهض للترحيب به) شكراً لك يا عم زنغ على دعوتك اليوم لنا لتناول الطعام عندكم مرة أخرى .

زنغ هاو: اليوم عيد، فلا بأس من تناول قليل من الحلويات. (يدعوه للجلوس) تفضل سيد يوان، تفضل، تفضل.

يوان يوان:(ترى تينغ فتصرخ) بابا، انظر، انظر، إنه جاثٍ!

زنـغ هـاو: لا تهتم به، تفضل بالجلوس!

يوان رن قـان: (يرى تينغ، بدهشة) ماذا؟

زنـغ هـاو: حفيدي هذا ولد طائش، سكب دلواً من الماء على رأس كريمتكم

يوان رن قـان: (مبتسماً) لا بأس، انهض، انهض، أنا من أعطاه دلو الماء ذاك

زنـغ هـاو: (باستغراب) أنت؟ ...

صـه يي: (وقد نفد صبرها) هيا انهض، تينغ، اشكر عمك السيد يوان!

تينـغ: (ينهض) شكراً يا عم يوان.

يوان رن قـان: (إلى تينغ) عفواً، عفواً، اسكبه عليَّ في المرة القادمة!

زنـغ هـاو: أين ضيفك يا سيد يوان؟

يوان يوان: (مندهشة) أبي، مازال «إنسان بكين» في البيت!

يوان رن قـان: (بخشونة) ظننت أنه جاء إلى هنا.

(تخرج يوان قافزة مثل بطة)

زنـغ هـاو: (بتهذيب شديد) آه، تفضل بالدخول. (يمشي باتجاه صالة الضيوف)

يوان رن ڤان: عندما دعوتنا ، كنت أرسم ، ... إيه ، كان يجب أن أبدل ملابسي ، ولكن(يشير إلى تينغ) قال إنك ...

زنغ هاو:(بتهذيب أيضاً) قلت إن تناول الطعام لا يستدعي تبديل الملابس

يوان رن ڤان: فعلاً ، ولذلك أنا لم ...

(تدخل يوان من باب صالة الضيوف – وكان قد أغلق –)

يوان يوان: (تعلن عن قدوم ضيف شرف ، منادية) وصل «إنسان بكين»

(ينهض الجميع في حالة ترقب)

زنـغ هـاو: آ. (ينظر إلى الباب ، يطفح وجهه بالابتسامة) تفضل ، تفضل(وقبل أن ينهي كلامه ، فجأة يُفتح الباب وكما لو أن عفريتاً سقط من السماء ، يظهر «كائن مثل شمبانزي متوحش» . يبلغ ارتفاعه حوالي سبعة أقدام ، له خصر دب وظهر نمر ، نصف عار تقريباً ، جلد وحش يغطي نصف جسمه ، وبقع من الوبر تتناثر بشكل عشوائي . عينان براقتان ، أنف أفطس ، فـم كبير ، فكه الأسفل بارز إلى الأمام أشبه بالإنسان القرد ، وشعره أيضاً مثل شعر الإنسان القرد ، أقل كثافة وخشونة فوق

الكتفين . جلد أسمر غامق تحت الإبطين ، عضلاته مفتولة بلون كستنائي . يدان ضخمتان تتحركان برشاقة يضرب بهما مؤخرة عنقه بشكل متواصل . قوي البنية ، مخيف ، حيوي ، كما لو أن أحلام الجنس البشري التي لا حدود لها تختبئ في جسد هذا الكائن .

(يصاب أفراد أسرة زنغ – عدا روي – بالدهشة)

زنغ هاو: (لم يتخيل ذلك ، يكاد أن يغمى عليه من شدة الخوف) آآآ!(يتراجع)

يوان رن ڤان: (يتقدم كي يعرِّف بين الطرفين) هذا هو السيد زنغ .

(يهز «رجل بكين» رأسه)

زنغ هاو: هذا السيد هو ...

يوان رن ڤان: (ضاحكاً) هذا هو شريكنا ، سوف يذهب معنا إلى منغوليا قريباً .

(يتقدم «رجل بكين» إلى وسط المكان ، ويبدأ بالنظر إلى زنغ وأولاده وأحفاده بشكل مخيف)

يوان يوان: (تشير في الوقت نفسه) إنه جد البشرية يا سيد زنغ . إن جدك يا سيد زنغ كان على هذا النحو!

يوان رن ڤان: (ضاحكاً) بلا كلام فارغ يا يوان!(إلى هاو)

لا تغضب يا عم زنغ! كان إنسان بكين قبل أربعمائة ألف سنة على هذا النحو: يقتل متى أراد أن يقتل، ويتقاتل متى أراد ذلك، يشرب الدم، ويأكل اللحوم، وهو لا يشبه إنسان بكين الحضاري في الوقت الراهن.

زنغ هاو: (مذعوراً) هل هو إنسان بكين حقيقي؟

يوان رن قان: (مؤكداً) إنسان بكين حقيقي!(يضحك فجأة) لا، يا عم زنغ، لا تظهر بمظهر الجاهل. ليس حقيقياً، هو صورة قدمها لنا فريق البحث العلمي. هو في الحقيقة أشبه بإنسان آلي في فريقنا ولأن جمجمته تشبه إلى حد ما جمجمة إنسان بكين ...

زنغ هاو: (يعي قليلاً) همم، همم، همم، تفضل بالجلوس!(إلى «رجل بكين» على مضض) تفضل بالجلوس.

يوان رن قان: آسف، إنه أبكم، لا يستطيع الكلام. (يبدأ أفراد أسرة زنغ بأخذ أماكنهم بالترتيب، بصوت منخفض) هو سريع الانفعال، إن قلت له اضرب فسوف يضرب، من الأفضل عدم الاكتراث له.

زنغ هاو: (مذعوراً) همم، همم،(إلى روي وتينغ) روي، اقتربا قليلاً، اقتربا قليلاً!

(يجلس «رجل بكين» قبالة الجمهور متجهماً. يدخل تشانغ ويضع زبادي الخضار الساخن على الطاولة)

زنغ هاو: (يرفع كأسه) لأن اليوم عيد أولاً، ولأن الكبار والصغار سوف يغادرون الأسرة ثانياً، ننتهز فرصةَ وجود السيد يوان بيننا لنتحدث ونشرب نخباً، من فضلكم، من فضلكم. (ينظر إلى «رجل بكين») آ، صديقك...

يوان رن ڤان: شكراً لك!

(ينظر «رجل بكين» إلى الجميع ثم يشرب الكأس بجرعة واحدة أمام اندهاش الجميع)

يوان رن ڤان: سمعت أن السيد زنغ يفهم كثيراً في تقاليد شرب الشاي...

(شجار في الخارج)

زنغ هاو: روي تشن، انظري، من هؤلاء؟ ولمَ الشجار؟

يوان يوان: (إلى روي) سوف أذهب وأرى بدلاً عنك!

(صه بي تهمس في أذن ون تشينغ، يقف ون ويملأ الكؤوس، تقف صه بي وراء السيد هاو. وكانت يوان قد وضعت عيدان الطعام وخرجت من باب صالة الضيوف)

صـه يي: (ترفع كأساً) نخب الكنة لوالد زوجها.

زنـغ هـاو: (دون أن يقف) لا داعي لذلك.

صـه يي: (بمظهر محترم) ون تشينغ ودع أباك.

ون تشينغ: (بصوت منخفض) وداعاً يا أبتاه.

[ينحني ون ثلاث مرات، يقف تينغ وروي تشن. يتبادل«رجل بكين» النظرات مع يوان رن قان. في هذه الأثناء يعود الشجار في الخارج أكثر قوة.

يتبادل ثلاثة أو أربعة رجال في الخارج العتاب والشتائم:(تأتي الجمل بشكل متناوب) هل ستعطوننا النقود أم لا. نحن ننتظر منذ الصباح الباكر النقود في عيد الخريف. من أراد أن يكون جمالاً فليعلِ البوابة. إن كان لديك نقود رد لنا أموالنا، وإلا كيف ستفي بديونك، قلة أدب! ...]

زنـغ هـاو: ما هذا؟

صـه يي: جيراننا يتشاجرون؟

زنـغ هـاو: (يطمئن قليلاً، إلى السيد يوان والآخرين) بصحتك، بصحتكم (يشرب «رجل بكين» كأساً آخر، إلى تينغ وروي بتهذيب) أنتما أيضاً يجب أن تودعا أبيكما!

(ينهض تينغ وروي، يحملان إبريق الخمر ويملأان الكأس لـون تشينغ)

صـه يي: (تبدو بمظهر الخبيرة، تلقنهما الكلام) قولا «رافقتك السـلامة يا أبي»

روي + تينغ: (بجمود) رافقتك السلامة يا أبي.

صـه يي: قولا «ابعث الرسائل لنا دائماً من فضلك»

روي + تينغ: (معاً بشكل جامد) ابعث الرسائل لنا دائماً من فضلك.

صـه يي: (تعلمهما أيضاً) «نحن لا نستطيع رعاية الأسرة بشكل دائم»

روي + تينغ: (يرددان الكلام دون أي انفعال) نحن لا نستطيع رعاية الأسرة بشكل دائم.

(بعد أن ينهيا كلامهما يعودان إلى مكانيهما)

صـه يي: (بسرعة) قدما التحية لأبيكما يا أولاد!(تنظر إلى يوان رن قان بزهو)

[يقف تينغ وروي جنباً إلى جنب وينحنيان ثلاث مرات. ينهض ون تشينغ، ينظر «رجل بكين» إلى يوان رن قان، يزفر ثم يغب كأساً آخر، يملأ يوان له الكأس فيشربه أيضاً. يعود الشجار في الخارج مرة أخرى.

أصوات: (بشكل متناوب لكن أكثر شراسة) بأي عيد تحتفلون؟ عندكم نقود، لكم أن تحتفلوا بالعيد؛ ليس عندكم نقود، لماذا تسخرون من صغار التجار أمثالنا. مستحقات عيد قارب التنين لم تدفعوها لنا حتى الآن، لم تدفعوا لنا قرشاً حتى الساعة. هل يصعب عليكم دفع ألف يوان؟

صوت تشانغ شون من الخارج: (ناصحاً) لا تصرخوا هنا! . . ابتعدوا، ابتعدوا، السيد هنا، ابتعدوا . . .

صوت الآخرين: (بسخرية) السيد ظالم! أي ثروة هذه التي يتباهى بها! ليس لديه نقود، هو مثلنا إذاً، يا لها من أسرة معدمة!

(يستمر الشجار في الخارج ...) يوان رن قان هو الآخر يصغي للشجار.]

صه يي: لا ينبغي على الجار . . .

(تدخل صو فانغ من باب الصالة بشكل عنيف)

زنغ هاو: من؟

صو فانغ: (لاهثة، تتهرب من الإجابة) لا أحد.

صه يي: (بابتسامة ماكرة) سيد يوان، أعرفك على الآنسة صو فانغ! (ينهض يوان تلتفت صه يي إلى صو) السيد يوان!

(تدخل المربيـة من باب الصالة وهي تلف مئزراً حول خصرها، تحمل صينية خضار كبيرة وهي على عجلة من أمرها، يتبعها تشو يحمل حمامة بيد ويمسك ثوب جدته باليد الأخرى)

المربيـة (تتكلم وهي داخلة، بانزعاج) لا تشدني يا ولد، اللعنة، لا تشدني(تضع صينية الخضار على الطاولة، بسرعة) الطعام جاهز!(تعود من حيث أتت يتبعها حفيدها)

صـو فـانغ: (بصوت منخفض) زوجة ابن خالتي!

صـه يي:(توزع عيدان الطعام) سيد يوان، هذا الطعام، صو فانغ هي . . . (تشد صو فانغ ثوبها، تلتفت صه إلى صـو) آ؟

زنـغ هـاو: (يمسك بعيدان الطعام) تفضل! تفضل!

صـو فـانغ: (محتارة) عمال الدهان ... إنهم، إنهم ...

(يُفتح الباب، يدخل أربعة من تجار التوابيت قصيري القامة بديني الجسم. يحاول تشانغ إيقافهم، تتبعهم يوان يوان)

تشانغ شون: لا يجوز، لا يجوز، يوجد ضيف!

التجار: (يقتحمون المكان، يعوون مثل كلاب برية) لا علاقة لك، نحن نريد ديننا! سيدي . . سيدتي! . . سيدي إن كان عندك نقود هاتِها. وإن لم يكن ...

زنـغ هـاو: اخرجوا! اخرجوا!

صـه يي: (في الوقت نفسه وبصوت قوي) هيا اخرجوا ، اخرجوا!

(تخرج ون تساي من غرفتها مندهشة)

التجـار: (يتدافعون إلى الأمام) ولماذا نخرج؟ ... ادفعوا لنـا ، وإلا لا تغلطوا معنا ، ... نحن تجار صغار! ديون عيـد قارب التنين كلها لم تسددوها. ... لا داعي لهذه الكبرياء الزائفة ... ادفعوا لنا ، ادفعوا لنا!(يجمد هـاو من شدة الغضب ، تبتسم صـه ابتسامة ماكرة ، يقف أفراد الأسرة ببلاهة ، يصرخ التاجر الأول والثاني) لا تصمتوا ، لا تتظاهروا بالبلاهـة!(يصرخ الأول) عندك نقود ندهن التابوت!(يصرخ الثاني) ليس عنك نقود فلن ندهن التابوت!(الثالث) نحن أيضاً عندنا آباء وأمهات ، نفضل أن نلفه في حصيرة(الأول ، يشير إلى أفراد أسرة زنغ) ولا نتركه جثة هكذا!

(ينظر يوان رن و«إنسان بكين» معاً إلى التجار ، وفي هذا الوقت)

يوان رن قـان: (يصرخ) اخرجوا!

التاجر الأول: (خائفاً) كيف؟

يوان رن قان: (ضاحكاً) أنا أعطيك النقود!

التجار: (بإصرار) نحن ، أنا(يشيرون إلى هاو) ...

(ينهض «رجل بكين» بشكل بطيء ، كثير الشبه بالإنسان القرد ، تقدح عيناه شرراً ، يصرخ بقوة ويلوح بيديه طالباً منهم الخروج)

التجار: (يشهقون نفساً عميقاً) حسناً ، أن تدفع لنا فحسن! أن تدفع لنا فحسن!(يتراجعون مذعورين)

(يخرج «رجل بكين» بخطى ثقيلة ، تلحق به يوان ، يتبعهما يوان رن)

تينغ: (قلقاً) عم يوان!

يوان رن قان: (يهز رأسه مبتسماً ، يلوح بيديه ، يشد قبضته ، يخرج)

زنغ هاو: كيف ، كيف حدث ذلك؟

[يُسمع فجأة صوت لكمة في الخارج ، وصوت مذعور: «كيف تضرب إنساناً!» صوت شيء ما ينكسر ، صخب شجار وشتائم وصرخات ألم متتالية. يتجمع مَنْ في الداخل مرعوبين .]

زنـغ هـاو: أغلقوا الباب ، أغلقوا الباب!

[تسرع صـه لإغلاق الباب .

صوت يوان يوان: (يبدو أنها تراقب قتالاً ، وهي تهتف مشجعة) «رائع ، لكمة أخرى ، ولكمة ثالثة! ضربات رائعة! اضربه على قفاه! بقدمك ، اضربه بقدمك! اضرب أمامك! ضربة أخرى! ممتاز ، عضه ، بكل قوتك لكمة أخرى!»(هتاف الفـوز النهائي) ممتـاز!(هدوء تام)]

تينـغ: (يمشي باتجاه الباب بعد أن نفد صبره ، يرغب في فتح البـاب وإلقاء نظرة)

صـه يي: (بصوت منخفض ، قلقة) لا تخرج ، هل تريد أن تموت؟

(يصغي الجميع بهـدوء . يدخل يوان رن قان مشعث الشعر ، يبتسم ابتسامة عريضة ، وهو يفرد كُمَّيْه)

يوان رن قـان: (ما زال يفض كميه)

(يدخل «رجل بكين» بخطى واسعة وهيـئة مخيفة ، على وجهه بقايا دم . تتبعه يوان يوان بنشوة المنتصر)

زنـغ هـاو: (بصوت منخفض) رحلوا كلهم؟

يوان رن قان: هربوا!

يوان يوان: (تقف فجأة على كرسي وتتسلق إلى كتفي «رجل بكين») «إنسان بكيننا» **قتلهم!**

(يهز «رجل بكين» رأسه، ويكشر مبتسماً لأول مرة. يحدق الجميع به يجلس زنغ هاو في حالة شلل تام)

صه يي: (تكسر فجأة حالة الضيق، مبتسمة) لنأكل. (إلى يوان رن) زبدية الخضار هذه(تشير إلى صو) أعدتها صو فانغ خصيصاً لك!(تبتسم إلى ون تشينغ ابتسامة باردة)

(يعود أفراد الأسرة إلى مقاعدهم)

تنزل الستارة

الفصل الثاني

[الساعة الحادية عشرة ليلاً من نفس اليوم، صالة الضيوف الصغيرة في بيت زنغ.

كل ما في البيت يبدو ساكناً كالموت. عراف أعمى يقرع على ناقوس نحاسي في مكان بعيد من الزقاق، يبدو أنه يعود لتوه إلى بيته. بين الحين والآخر يسمع صوت فتاة متقطع وممدود يأتي من نهاية شارع موحش وهي تنادي لبيع بضاعتها.

ضوء الفانوس القماشي داخل الصالة خافت وهو يضيء دائرة ليست كبيرة، عتمة تلف الخطوط والرسوم والتحف على الجدران، اللوحات الجدارية تبدو بشكل ضبابي، وقد أغلقت ستائر النوافذ بشكل كامل. حزمة ضوء من الفانوس القماشي القديم تتسلل عبر شق عريض وتضيء أعلى باب الصالة الكبيرة. مصاريع الباب أنيرت بشكل لا بأس به، ستارة من ورق تغطي النصف الأدنى من درفات الباب باستثناء الزخارف

الخشبية التي في وسطه، يتسرب الضوء من خلال الشقوق بين درفة وأخرى، يبدو ظل غير واضح لشخص يتحرك فوق الستارة تلك. فجأة يسمع صوت همهمة وسعال داخل الصالة الكبيرة.

وضع عدد من الشمعدانات فوق الطاولة القريبة من الجدار إلى اليسار، وفيها شمعة احترقت حتى نصفها. أُضيفت طاولة واطئة في وسط الصالة، وفوقها موقد طيني أحمر صغير، يبدو نظيفاً جداً، وعلى الموقد إبريق ماء حديدي صغير ذو طراز غربي. تتراقص النار في الموقد. قرقرة الماء في الإبريق أشبه بأنين مكتوم لطفل يبكي. وهناك طاولة ناعمة من خشب الورد وعليها أدوات الشاي. يجلس ون تشينغ على كرسي بالقرب من الموقد شاحب الملامح. تجلس المربية على الكنبة المقابلة، تقلم بمقص أظافر تشو الصغير الذي يجلس على كرسي قريب. تشو يغط في نوم عميق.

يومض ضوء خافت في غرفة التربية، يبدو تينغ وقد أضناه التعب وهو يقرأ بصوت واطئ «مقامات أنغام الخريف»[1]. يُسمع صوت صفاقات خشبية في نهاية الزقاق.

---

(١) مقامات أنغام الخريف، للكاتب أو يانغ شيو (١٠٠٧-١٠٧٢م) من مواطني مقاطعة جيانغشي. أديب من أدباء سونغ الشمالية، مؤرخ. من مؤلفاته ((مجموعة أعمال أو يانغ)).

المربيـة: (تتكلم بينما تُقلم أظافر تشو) هل تنوي حقاً الرحيل غداً يا سيد تشينغ؟

ون تشينغ: (يهز رأسه)

المربيـة: أرى أن تنسى موضوع السفر، ما دام قد فاتتك رحلة اليوم، وأن تبقى ليومين آخرين، ريثما تظهر نتيجة الآنسة صو مع السيد يوان.

ون تشينغ: (يهز رأسه)

المربيـة: هل بدا السيد يوان راضياً اليوم أم لا؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه، يتردد في الإجابة) لم أنتبه له .

المربيـة: (تضحك) بدا لي أنه كان راضياً، كان يتطلع حيث تجلس الآنسة صو أثناء تناول الطعام.

ون تشينغ: (ينظر إلى المربية، يبدو لم يفهم ما قالته)

المربيـة: هل ترى أن موضوع ...

ون تشينغ: (يطلق زفرة طويلة)

المربيـة: (تنظر إلى ون، ثم تحجم عن الكلام)

(يكبو تشو الصغير برأسه، يهمهم بكلمات غير مفهومة، ثم يغط في نوم عميق)

المربيـة: (وهي تُقلم أظافر تشو) آه ، وأنا أيضاً ينبغي أن أعود إلى بيتي(تشير إلى تشو) أمه انتظرت عودتنا هذا المساء(يكبو تشو مرة ثانية ، تمسك به) لا تتحرك يا فلذة كبدي ، دع جدتك تقلم أظافرك(بحنان) آه ، إنه متعب هو الآخر ، مشى منذ الصباح الباكر ثم لعب مع الآنسة يوان طوال اليوم ، لا يشبه أولاد الريف أولاد المدن ، فهم يأكلون عندما يجوعون ، وينامون عندما يتعبون ، حقاً لا يشبه أولاد الريف أولاد المدن ...(تنظر إلى تينغ في غرفة التربية ، بشفقة وبصوت واطئ) يا سيدي الصغير ، يا سيدي الصغير .

تينـغ: (يستمر بالتلاوة) «... يتنهد ، النبات بلا رحمة ، حين تذروه الرياح ، الإنسان مع الحيوان ، والروح في المادة وحدها ، القلب مهموم ، والجسم مرهق يتحرك ، فتهتز الروح. ولكن لا طاقة لي على هذا التفكير ولا حكمة لي على هذا القلق والهم .

(دقات صنج في الزقاق)

المربيـة: قراءة في هذا الوقت المتأخر! إنه عيد الخريف ، وقد انتصف الليل .

ون تشينغ: آه ، لم ينتصف الليل بعد .

المربيـة: يغط أولاد الريف في نوم عميق في مثل هذا الوقت . (تقلم آخر ظفر) حسناً ، اذهب ونم ، ولا تبق تكبو هنا .

تشو الصغير: (يفرك عينيه) لا ، لا أريد أن أنام .

ون تشينغ: (يبتسم) لقد تأخر الوقت ، الساعة تقارب الحادية عشرة!

تشو الصغير: (يشد من همته) لست نعساً .

المربيـة: (بين الحب والغضب) حسناً ، لا تنم . (إلى تشينغ) حقاً ، يتغير أولاد الريف عندما يأتون إلى المدينة . انظر إليه يعز عليه أن ينام .

(يخرج تشو حبة فستق بالسكر ويضعها في فمه ، دون أن ينتبه إلى قطعة السكر التي في يده الثانية)

المربيـة: آه ، لم يظهر البدر في عيد الخريف هذا . ... ماذا هناك؟ لم تأتِ السيدة صه بي . (تنادي) صه بي! (إلى تشينغ) ماذا تفعل داخل الغرفة؟ (تنهض) صه بي ، صه بي!

ون تشينغ: لا ، لا تناديها .

المربيـة: يا صغيري تشينغ ، إذاً ، ادخل إليها أنت .

ون تشينغ: (يهز رأسه ، يتلو بأسى أبياتاً من «دبوس العنقاء» للشاعر لو يو)[1] «...الرياح الشرقية ضارية ، قاسية جذلة ،

(١) – لو يو(١١٢٥–١٢١٠م) من مقاطعة شاو شينغ ، من كبار شعراء سونغ الجنوبية . من مؤلفاته ((ديوان جيان نان)) ، ((مختارات جنوب نهر ويخه)) ، ((كتاب تانغ الجنوبية)) ، ((خواطر الدير القديم)) ، ((مقامات الراعي العجوز)) . تزوج لأول مرة من أسرة تانغ ، ثم طلق زوجته تحت تأثير أمه ، ((دبوس العنقاء)) يصور حجم ألمه .

في صدري هم وحزن، كم سنة من الوحدة عشت. خطأ، خطأ، خطأ ...».

المربيـة: (تزفر) آه، هذه جريمة يا سيدي تشينغ، ربما أنت مدين للسيدة في حياة سابقة، لذا هي تعذبك في هذه الحياة. ولكن، ولكن إلى متى، فهي لم تتكلم كلمة واحدة طوال المساء، ... ماذا تريد؟

ون تشينغ: من يدري؟ تدعي أن معدتها تؤلمها وتشعر بالغثيان.

المربيـة: (تلمح تشو الذي يأبى الجلوس بلا عمل، يهم بلمس إبريق الشاي، تصرخ معنفة) تشو، اترك من يدك، إن جلدك يحككك!(يجلس تشو بأدب، تلتفت إلى تشينغ) غريب، ألم يعلن زوج أختك أنه ينوي الرحيل اليوم؟ لمَ حتى الآن ...

ون تشينغ: آه، هو الآخر لا يكف عن الثرثرة. (بلهجة حزينة) إنه مثلي: أنا لا أتكلم، ولم أفعل شيئاً في حياتي؛ وهو يصرخ طوال الوقت، ولم يفعل هو الآخر شيئاً في حياته.

(تدخل ون تساي من باب غرفة التربية، تحمل بيدها شمعة غير مشتعلة، وزوج من عيدان الطعام، وصحن أرز ولحمة محمرة بصلصة الصويا، وتشكيلة من المخلل)

ون تساي: (بوهن) مربيتي ، ألم تنامي بعد؟

المربيـة: لا ، هل يريد زوجك أن يشرب أيضاً؟

ون تساي: (مراوغة) لا ، ليس هو ، بل أنا .

ون تشينغ: أنت؟ آه ، لا تدعيه يفرط في الشراب .

ون تساي: (تزفر زفرة طويلة ، تضع الصحن والعيدان) أخي ، لقد انفجر باكياً هذا المساء .

المربيـة: زوجك؟

ون تساي: (تخرج منديلاً وتمسح دموعها) لقد اعتذر مني ، إن قلبه ينفطر من الألم ، قال إن حياته انتهت . لقد رأيته جديراً بالشفقة ، شعرت أنني أنا التي أرهقته . آه ، بسبب حظي السيئ خسر أمواله وأعماله(تنهمر دموعها) مربيتي ، أين أعواد الثقاب؟

المربيـة: سوف أشعل النار لك ...

ون تشينغ: (يحمل علبة من فوق الطاولة) هنا!

(تأخذ المربية علبة الكبريت من تشينغ ، تشعل الشمعة لون تساي)

ون تساي: (تأخذ شمعداناً من فوق الطاولة) قال إنه متضايق ويريد أن يشرب قليلاً أخي ، هل تعتقد أنني السبب في عدم سعادته ...

ون تشينغ: (يتنهد) ليشرب، أن يستطيع المرء أن يشرب فهذا أمر جيد.

المربيـة: (تعيد الشمعة إلى ون تساي) هل مازال السيد الكبير يطفئ الضوء في الحادية عشرة؟

ون تساي: (تضع الشمعة في الشمعدان). (باهتمام) سوف آخذ له الشمعة، قبل أن تُطفئ الأنوار فجأة بينما هو يشرب فيزداد كآبة.

المربيـة: سوف آخذها له.

ون تساي: لا تفعلي. (تحمل الشمعة وعيدان الطعام والصحن وتدخل إلى غرفتها)

المربيـة: (تهز رأسها) يا لقلب المرأة الشقي. (تعود ون تساي مسرعة)

ون تساي: أين جيانغ تاي؟

المربيـة: دخل إلى الصالة الكبيرة منذ قليل.

ون تشينغ: ربما هو يتحدث مع السيد يوان.

ون تساي: (تقترب من الموقد) أخي، هل أنت بحاجة إلى هذا الماء المغلي أم لا؟

ون تشينغ: (يهز رأسه بأسى) ون تساي، ارتاحي قليلاً، لا ترهقي نفسك إلى هذا الحد.

ون تساي: (تبتسم بأسى) حاضرة.

(تأخذ ون تساي إبريق الماء وتدخل إلى غرفتها. يضع ون تشينغ إبريقاً آخر فوق الموقد، تبدأ الماء بالقرقرة).

تينغ: (يقترب وبيده كتاب) أبي، سوف أذهب إلى جدي في غرفته.

ون تشينغ: (يطأطئ رأسه ويضع جرة من فخار من يده) اذهب.

المربية: (تتقدم) حفيدي!(بصوت منخفض) إذا سألك جدك عن أبيك فلا تقل له إنه لم يرحل .

تشو الصغير: (يستيقظ، يلتفت فجأة وبحيوية) قل إنه قد استقل القطار في وقت مبكر.

المربية: (تضحك) من قال لك ذلك؟

تشو الصغير: (يصرُّ عينيه) أنت نفسك من قال لي ذلك.

المربية: ياله من ولد!(إلى تينغ) اذهب، انته من الكتاب واذهب إلى غرفتك ونم وإن طلب منك جدك القراءة ثانية قل له إن مربيتي طلبت مني أن أستريح!

تينـغ: حاضر. (يغادر عبر غرفة التربية)

ون تشينغ: تينغ؟

تينـغ: ماذا؟ أبي؟

ون تشينغ: (باهتمام) ما حالك في هذه الأيام؟

تينـغ: (جانباً) لا شيء يا أبي(يغادر مسرعاً).

المربيـة: (ترقب تينغ وهو يخرج، توبخ حفيدها بأسف) تعلم منه، إنه يكبرك بسنتين فقط، إنه يقرأ كتباً أكثر مما تأكل من طعام. إنك تلتهم في الوجبة الواحدة أربع زبادي كبيرة، معدتك المنتفخة ..

تشو الصغير: (فجأة) جدتي، اسمعي، من يناديني؟

المربيـة: هراء! لا تعاملني كصماء لا أسمع.

تشو الصغير: حقاً، اسمعي، أليست الآنسة يوان ...

المربيـة: أين؟

تشو الصغير: اسمعي.

المربيـة: (باهتمام) الآنسة يوان تساعد والدها في الرسم.

تشو الصغير: (يمازح جدته) حقاً، أصغي: «تشو، تشو» أليست الآنسة يوان؟ أصغي «تشو، أحضر لي الحمامة» (يشرق

وجهه فجأة) حقاً، جدتي إنها تطلب مني الحمامة!(يركض باتجاه الصالة الكبيرة).

المربيـة: (تلحق به ضاحكة) خدعت جدتك مرة ثانية أيها العفريت .

(يركض تشو حتى الستارة الورقية أمام الباب. بناءً على ما اعتاد عليه بيت زنغ من قطع التيار الكهربائي عند الحادية عشرة ليلاً، يعم الظلام فجأة! يظهر فوق الستارة ظل ضخم للإنسان القرد، يربض أمام النظارة، حالة من الانكماش تظهر على الجميع. نار الموقد وحدها تضيء الوجوه)

تشو الصغير: (يحدق ثم ينادي خائفاً) جدتي!(يركض ويحتمي في حضنها)

المربيـة: ياه، ما، ما هذا؟

ون تشينغ: (يجلس قريباً من الموقد) لا تخافا، هذا ظل لإنسان بكين.

[**يسمع صوت يوان رن قان من الداخل:** «هذا جد البشرية، وهو أملها أيضاً. إن أراد الإنسان في ذلك الزمن الحب أحب، وإن أراد الكره كره إن أراد البكاء بكى، وإن أراد الصراخ صرخ، لا يخاف الموت، ولا يهاب الحياة. لا يهتمون إلا

لطباعهم ، يعيشون بحرية ، لا تقاليد تقيدهم ولا ثقافة تحد من حريتهم ، لا نفاق ، لا غش ، لا غدر ، لا دسائس ، لا قتال ولا قلق؛ يأكلون اللحم ، ويشربون الدماء ، الشمس تلفحهم ، الريح تعصف بهم ، والمطر يبللهم ، لا يوجد إنسان يأكل لحم إنسان بهذا العدد كما هو الآن ، وهم سعداء!»]

(تُفتح إحدى درفات الباب فجأة ، فتدخل حزمة من ضوء قنديل كاز في الصالة الكبيرة ، جيانغ تاي يُشعل شمعة ، يدخل يوان رن قان . يرتدي جيانغ صدرية غربية الطراز ، يلبس يوان لباساً أسمر اللون ، أكمامه طويلة ويضع في فمه غليوناً ، ينفث الدخان منه باستمرار)

جيانغ تاي: (يبدو مخموراً ، يردد آخر جملة ، مؤكداً) وهم سعداء جداً .

ون تشينغ: (يقف ، إلى المربية) أشعلي الشموع .

المربية: حاضر . (تشعل الشموع)

[**يوان يوان في الصالة الكبيرة:** (في الوقت نفسه) « تشو ، تعال وانظر»]

تشو الصغير: (يدخل إلى الصالة ، يغلق الباب بلطف ، فيبدو ظل إنسان بكين رابضاً مثل جبل صغير)

جيانغ تاي: (يضع الشمعة وهو منفعل، يجتر الجملة الأخيرة، يرددها دون إحساس) وهم سعداء جداً. صحيح! صحيح! كلامك صحيح يا سيد يوان، لا يمكن أن يكون إلا صحيحاً. أنظر أي حياة نعيش؟ خيبة وتذمر طوال اليوم. نموت بحزن، ونعيش بحزن، لا حل لقضايانا الحزينة، ولا خلاص لأرواحنا الحزينة، نعيش بحزن لا نجد ما نأكل، ونموت بحزن لا تابوت نرقد فيه. نأمل طوال اليوم، نأمل، ولكن لا أمل! هو على سبيل المثال(يشير إلى تشينغ)...

ون تشينغ: لا تتذمر ثانية وتجعل السيد يوان يضحك علينا.

جيانغ تاي: (مؤكداً) لا، لا، السيد يوان باحث في علم الأجناس، وهو لا يمكن أن يضحك من ضعفنا. تفضل، تفضل سيد يوان! اجلس، اجلس لنتحدث. (يجلس هو ويوان قريباً من الموقد، يأخذ لفافة تبغ من فوق الطاولة، فجأة) آ، أين وصلت في كلامي منذ قليل؟

يوان رن قان: (يبتسم) قلت، (يشير إلى ون تشينغ) هو على سبيل المثال...

جيانغ تاي: آ، هو على سبيل المثال، آ(إلى تشينغ، بحزن) أنا حقاً لا أحب الثرثرة، ولكن اسمح لي بقول بضع

جمل ، ولكن ماذا لدي؟ ماذا في حياتي؟(إلى يوان) حسنا ، هو مثلاً ، أخو زوجتي هذا إنسان طيب ، طيب مائة بالمائة ، أنا أعرف أنه حزين .

ون تشينغ: لا داعي لهذا الهراء .

جيانغ تاي: (يبتسم بمكر) آ ، لا تتهرب ، ثم أنني لست أحمقاً . (يشير إلى تشينغ ويتكلم بصراحة إلى يوان) إنه حزين ، وهو يحلم بأسرة سعيدة ، يعيش طوال عمره مع الفتاة التي تفهمه حقاً . (باهتمام) حلمه هذا حلم مشروع طبعاً ، نعم ، وعادل ، وهو جدير بمشاعر العطف ، ومنذ عشرين سنة فقط اكتشف أن تلك الفتاة التي يعيش معها تفهمه . ولأنه جبان فهو لا يجرؤ على مواجهتها؛ وإن التقى بها فهو لا يجرؤ على حبها . كبرت الطفلة وصارت فتاة ، وكبرت الفتاة وصارت امرأة مثل باقة ورد ذابلة ، تموت من الهم ، هو يتعذب ، وهي كذلك ، وحتى اليوم ، ما زالت هذه المرأة ...

ون تشينغ: (يضيق ذرعاً به) لقد أسرفت في الشراب .

جيانغ تاي: (يهز يده مبتسماً) اطمئن ، لم أشرب الكثير ، سوف أصمت عند هذا الحد لن أتكلم أكثر من ذلك . (إلى يوان) انظر ، رجل مثله يتعفن هكذا طوال اليوم في البيت ،

أشبه بتابوت قديم، يبلى ببطء، يتفسخ ببطء، يحلم ويرسل الزفرات طوال اليوم، يصبر على مضض، مهموم، كسول، كسول، كسول لا يأتي بحركة، ولا يجرؤ على الحب ولا على الكراهية، لا يجرؤ على البكاء ولا على الصراخ، أليس هذا هو الانحطاط بعينه، انحطاط الجنس البشري؟(يشير إلى نفسه) أنا على سبيل المثال ...(يشعل سيجارة، يدخن ويتكلم) درست لأكثر من عشرين سنة ...

يوان رن ڤان: (يبتسم والغليون في فمه) كنت أعتقد أنك سوف تقول «على سبيل المثال» هذه .

جيانغ تاي: (يسترسل في الكلام) طبعاً أنا لا أنتقده. فأنا مثلاً، أحب المال، أفكر بالمال، أتمنى أن أصبح غنياً، وعند ذاك سوف أنفق ثروتي على الأصدقاء والفقراء. أريد أن أتشبه بما قاله الشاعر دو فو، أرغب السكن في عمارات شاهقة وقصور عظيمة لا تحصى، أدعو إليها أصدقائي وفقراء ما تحت السماء ليأكلوا بالمجان، ويشربوا بالمجان، ويسكنوا بالمجان، وأنا أبحث في العلم، والجمال، والأدب، وفي كل الأشياء التي يفضلون، أفعل ذلك من أجل الصين، ومن أجل سعادة الجنس البشري. ولكن حظي سيئ يا سيد يوان، العفن يطال

كل الأماكن ، والصعوبات تعترض طريقي ، ولا أعرف كيف ينهار ويفسد كل شيء يقع بين يدي . نخطط طوال اليوم لما في السماء ، ونمتثل طوال اليوم لما في الأرض . إننا نرسل الزفرات فقط ، نحلم ، نحزن ، نعيش فقط لنقدم الطعام الفاسد لمن في عهدتنا ، نحن أموات أحياء ، أحياء أموات ، بجملة واحدة موتى في الحياة! قل(يشير إلى رأسه) بشر مثلنا ، أليس هم خلف فاسد له(يشير إلى ظل إنسان بكين)

يوان رن قان: (يهز رأسه بصمت ، ثم يتبسم) تفضل اشرب الشاي!

جيانغ تاي: (يتناول كأساً) نعم ، شرب الشاي على سبيل المثال ، هذا السيد أخو زوجتي من أكثر الناس اهتماماً بشرب الشاي . عندما ينتهي من أمر ما ، عندما يسعل ، أو يحرق البخور ، وعندما يجلس بهدوء ، يشرب الشاي . لسانه لا يميز نكهة ورق الشاي ، عمره ، منشأه ، طريقة تحضيره فحسب بل هو يميز الماء المستخدم في كل كوب ، ماء جبلي ، ماء نهري ، ماء بئر ماء ثلجي ، وهل هو مغلي على نار فحم نباتي ، أو فحم حجري ، أو على نار قش . والشاي بالنسبة لنا يروي العطش ويبل الريق ، وهو مدر للبول ، وهو مصدر إلهام لنا في كثير من

المعاني. ولكن ما فائدة ذلك؟ فهو لا يستطيع أن يزرع الشاي، لا يستطيع أن ينشئ شركة للشاي، لا يستطيع العمل في تجارة الشاي، كل ما يستطيعه هو أن يشرب الشاي، يشرب ويشرب كي يتقن الشرب أكثر، ويكتشف الطرق الأمثل لذلك، أليس هو شرب ليس إلا؟ وما فائدة ذلك؟ سؤال من فضلك، ما فائدة ذلك؟

(تخرج ون تساي من غرفتها)

ون تساي: تاي!

جيانغ تاي: أنا قادم .

المربية: (تقترب وتحثه) اذهب بسرعة يا صهري .

جيانغ تاي: (يقف، يتردد في المغادرة) أنا على سبيل المثال ...

المربية: لا تقل لي على سبيل المثال وعلى سبيل المثال وإلا فلن تنتهي من الكلام. كره السيد يوان ثرثرتك .

جيانغ تاي: نعم، أنت لا تنزعج لو تكلمت قليلاً دكتور يوان .

يوان رن قان: (يبتسم) آه، طبعاً لا، تفضل .

جيانغ تاي: على سبيل المثال ...(تقترب ون تساي وتشده

إلى الداخل، يتوسل لها) ون تساي، دعيني أتكلم، دعيني أتكلم!(إلى يوان) أنا على سبيل المثال آكل جيداً، ذواقة في الأكل، أستطيع أن أدلك إلى كل المطاعم التي تقدم ألذ الأطعمة في البلد. (يعتد بنفسه، كما لو أنه يسرد سلسلة من الدرر) شرائح اللحم في مطعم الشمس والقمر، البط المشوي في مطعم الأزقة الرخيصة، الخبز المحمص في مطعم الحياة المشتركة، بيض السمك والغراب في دار نشوة الضيافة، البط المحمر في دار الجمال والبراعة. من المطاعم الصغيرة مثلاً، اللحم بالعجين في مطعم موقد الفيل، المعكرونة في حصن الغصون، الكروش المطبوخة في دار الأسرة الذهبية، حتى ...

ون تساي: هيا امشِ!

جيانغ تاي: حتى لحم الغنم المحمر بالصويا في مطعم القمر، مخللات ليو بي جو، جبن وانغ تشي خه، عصير القراصيا عند شين يوان تشاي، المحلاية في القاعة الكبيرة، شيش برك في إن ده يوان، اللحم المطبوخ في مطعم الأواني الفخارية، خمر شاو شنغ في ربيع أزهار المشمش، لا يوجد مدير مطعم واحد في تلك المطاعم لا أعرفه، لا يوجد مطبخ، قاعة، طاولة لا أعرفها ولكن ما الفائدة؟ فأنا لا أستطيع أن أطبخ، لا أستطيع أن

أفتح مطعماً، مطعماً للإوز وكروش الغنم في بلد أجنبي وأربح مالاً أجنبياً. أستطيع أن آكل فقط، وآكل!(لم يكتفِ بما قاله، يضرب رأسه) ماذا علي أن أفعل، وأي خيبة هذه. عملت موظفاً وخسرت أموال الوظيفة، عملت في التجارة فخسرت، درست ولم أستفد مما درسته. (بألم) أحيا حياة مجون في بيت زوجتي طوال اليوم، أتكلم، أثرثر، أنتقد، أشتم، لا أستطيع تأمين سكن خاص، وزوجتي لا تحب سماع ما أقول.

ون تساي: (تقاطعه) تاي!

جيانغ تاي: (بنشيج) أحمل الجميع لرؤيتي غير سعيد طوال اليوم، لا نفع في، يغتابني الجميع بأنني إنسان لا خير فيه، آ، ون تساي، حقاً أنا عبء عليك، واعتذر منك من صميم قلبي(يجهش بالبكاء)

ون تساي: (تناديه) تاي، تاي، لا تبك، أنا لست بالمرأة الجيدة، وقد أرهقتك.

المربية: هيا إلى الداخل، لقد أفرطت في الشراب.

جيانغ تاي: (يهز رأسه) لم أشرب، لم أشرب، قلبي حزين، قلبي حزين، آه ...

(ون تساي والمربية تحثانه على الدخول إلى غرفته)

ون تشينغ: (يزفر) تفضل واشرب كأساً آخر .

يوان رن قان: لقد شربت بما فيه الكفاية ، لقد أكلت كثيراً على الغداء هذا اليوم . سيد تشينغ ، لدي أمر أرغب بعرضه عليك ...

ون تشينغ: تفضل ...

يوان رن قان: أنا ...

(تدخل صو فانغ من غرفة التربية ، تحمل بطانية بيد ، وشمعة باليد الأخرى)

يوان رن قان: آنسة صو .

صو فانغ: (تومئ برأسها)

ون تشينغ: هل نام أبي؟

صو فانغ: (تومئ برأسها)

ون تشينغ: ما الأمر يا سيد يوان؟

(يعود جيانغ تاي وبيده زجاجة براندي)

جيانغ تاي: ما رأيك بكأسين شراب يا سيد يوان؟

يوان رن قان: لا ، (يشير إلى الظل) إنه ينتظرني .

جيانغ تاي: (يرفع الزجاجة) براندي ممتاز ، هل تشرب يا ون تشينغ؟

ون تشينغ: (لا يجيب، يتأمل صو فانغ)

جيانغ تاي: (بحيرة) آ، كيف، أنتم الثلاث هنا.

[**المربية من الداخل:** يا صهري!]

جيانغ تاي: (يهز رأسه، يزفر) آه، لا أحد يفهمني، لا أحد يفهمني. (يدخل إلى غرفته)

ون تشينغ: سيد يوان، قلت منذ قليل...

[**صوت يوان يوان من الداخل:** بابا، بابا، تعال بسرعة، لقد انتهيت من قص ظلٍ لإنسان بكين]

يوان رن فان: (ينظر إلى صو وإلى تشينغ) لنؤجل الموضوع الآن. (بهدوء وفطنة) ليس هناك أي موضوع، قردتي الصغيرة تناديني.

(يزيح يوان ستارة باب الصالة الكبيرة ويخرج، تتسرب حزمة ضوء ثم تختفي يظهر فجأة ظل إنسان بكين فوق الستارة الورقية)

(هدوء، دقات صنج في مكان بعيد)

ون تشينغ: (بلهفة) هل أعطتك المربية اللوحة؟

صو فانغ: (تومئ برأسها)

ون تشينغ: (بصوت منخفض) أنا، برؤيتك مرة ثانية، سأرحل وأنا مرتاح.

صو فانغ: (تنظر إلى باب غرفة تشينغ ولا تجيب)

ون تشينغ: (يشير إلى الباب) أغلقت الباب ونامت. (يطأطئ رأسه)

صو فانغ: (تجلس)

ون تشينغ: (فجأة) صو فانغ!

صو فانغ: (تنهض)

ون تشينغ: ما بك؟

صو فانغ: طلب مني زوج خالتي أن أحضر الكتاب الطبي.

(تخرج المربية من غرفة ون تساي)

المربية: الآنسة صو فانغ هنا. (تذهب مباشرة باتجاه غرفة التربية)

ون تشينغ: أين تذهبين أيتها المربية؟

المربية: (مراوغة) إلى حفيدي الصغير لأرى هل انتهى من القراءة أم لا؟

(تغادر من باب غرفة التربية، **دقتا** صنج في مكان بعيد)

ون تشينغ: صو فانغ، سوف أرحل غداً من كل بد، ولن أعود(يتوقف) إلى هذا البيت مرة أخرى.

صـو فانغ: (مؤكدة) صحيح أنك لن تعود إليه.

ون تشينغ: إي قررت عدم العودة. فكرت طوال مساء هذا اليوم، وشعرت أنني أسأت لك لأكثر من عشرين سنة. أسأت للآخرين، أسأت لنفسي، وذلك كله لأنني فكرت، فكرت أننا ذات يوم ...(ينظر إلى صو وهو يقطب حاجبيه، يمد عنقه إلى الأمام قليلاً) صو فانغ؟ ما بك؟

صـو فانغ: (متعبة) أنا متعبة جداً.

ون تشينغ: (حزين) مسكينة صو فانغ، لا أستطيع أن أتصور، حقاً لا أستطيع أن أتخيل كيف ستقضين بقية عمرك. إنك مثل الحمامة، وحيدة داخل قفص تنتظرين، وتنتظرين، تنتظرين حتى يأتي يوم ...

صـو فانغ: (تومئ برأسها) لا، لا تقل ذلك!

ون تشينغ: (بكآبة) لماذا، لماذا نعيش هكذا، واحد في الشرق والآخر في الغرب؟ لمَ لا ينمو لنا جناحان ونطير معاً؟(يهز رأسه) آ، أنا لست راضياً حقاً.

صـو فانغ:(بشفقة) ما الذي يرضيك!

ون تشينغ: (بهدوء وحيوية) صو فانغ، تعالي نذهب معاً إلى الجنوب(يتردد مقطباً حاجبيه) هيا!

صو فانغ: (تهز رأسها بحزن) كيف تطرح مثل هذا الموضوع؟

ون تشينغ: (يهز رأسه بألم وندم) إذاً، عليك الموافقة على الموضوع الذي طرح هذا اليوم.

صو فانغ: (بذهول) لماذا؟

ون تشينغ: (ينظر إلى صو، يزم فمه بألم) لأنني راحل، ولن أعود أبداً. صو فانغ، أتوسل إليك أن توافقي. لا ينبغي أن تعيشي في هذا البيت إلى الأبد (بحرارة) باستثناء الفئران، الفئران التي تأكل حتى البشر، والتي قرضت لوحاتي، ما الذي تظنينه في هذا البيت؟ (بعيون حزينة تتردد صو بالنظر إليه) ما الذي يخفيه قلبك؟ إلى ما تنظرين؟ لا تصمتي، تكلمي. (فجأة بشجاعة وسرعة) صو فانغ، لتتزوجي، تزوجي، غادري هذا السجن بسرعة. أنا أرى أن السيد يوان لا بأس به، وأنت ...

صو فانغ: (تنهض ببطء)

ون تشينغ: (ينهض أيضاً، متوسلاً) ما الذي تريدينه في النهاية، تكلمي.

صو فانغ: (تمشي باتجاه غرفة التربية)

ون تشينغ: (بألم) لا يمكن أن تمشي دون أن تتكلمي، نعم أم لا، تكلمي ولو كلمة واحدة.

صـو فـانغ: (تلتفت) ون تشينغ!(تسلمه رسالة ثم تغادر ببطء. يمسك ون تشينغ بالرسالة مندهشاً)

(تدخل المربية قادمة من غرفة التربية)

المربيـة: (بعجلة) السيد قادم، إنه ورائي. (تدفع ون تشينغ) ادخل، ادخل، تفادياً للإزعاج. ادخل ...

ون تشينغ: مربيتي، أنا ...

(تحث المربيـة ون تشينغ على الدخول إلى غرفته مثرثرة، تبقى صو فانغ. يدخل زنغ هاو من غرفة التربية، يرتدي ثوباً قطنياً، وشالاً على كتفيه، وحذاءً للنوم، يتوكأ على عصا، ويحمل بيده لمبة غاز)

زنـغ هـاو: (يرى صو فانغ، بعجلة) لقد انتظرتك طويلاً ...(إلى المربية) من دخل منذ قليل؟

المربيـة: السيدة الكبيرة.

زنـغ هـاو: (يرى الموقد) ماذا، من الذي ما زال يشرب الشاي هنا؟

المربيـة: زوج ابنتكم، كان هنا منذ قليل يشرب الشاي مع السيد يوان.

زنـغ هـاو: (يبتسم باستخفاف) ها، ما الذي يفهمه هؤلاء في شرب الشاي!(يرى الظل فجأة) ما هذا؟

المربيـة: إنه رسم السيد يوان لإنسان بكين .

زنـغ هـاو: (بازدراء) أي إنسان بكين هذا، إنه شبح .

المربيـة: عد إلى غرفتك ونم يا سيدي .

زنـغ هـاو: لا ، سوف أظل هنا قليلاً ، اذهبي أنت ونامي .

صـو فانغ : لقد مددت لك الفراش يا سيدتي .

المربيـة: إي ، إي . (متأثرة) آنسة صو فانغ ، أنت ...(بفرح) حسناً ، أنا ذاهبة .

(تخرج المربية عبر غرفة التربية . يبدو زنغ هاو يقوم بجولته التفتيشية المسائية)

صـو فـانغ: (تتبع زنغ هاو) الوقت متأخر يا زوج خالتي ، اذهب ونم ، عما تفتش؟

زنـغ هـاو: (وهو يراقب المكان) عمل أجدادنا بكل جد واجتهاد ليتركوا لنا هذا البيت إن أول ما ينبغي التأكد منه هو عدم وجود نار . (فجأة) انظري ، هناك دخان يتصاعد من الأرض ، ما هو ذاك البصيص؟

صو فانغ: إنه عقب سيجارة .

زنغ هاو: (باحتراس) هل رأيت أي خطورة في ذلك! هذا من أفعال جيانغ تاي بالتأكيد . مهمل في أغلب الأحيان ، يرمي السيجارة قبل أن يتأكد من إطفائها .

صو فانغ: (ترفع عقب السيجارة من الأرض وترميه في الموقد)

زنغ هاو: كيف لا يدخن في يوم عيد طويل كهذا اليوم ، لقد أتلف كل شيء . (يشم في جميع الاتجاهات) صو فانغ ، هل تشمين رائحة دخان أم لا؟

صو فانغ: لا أشم أي رائحة .

زنغ هاو: (يشم) غريب ، أشم رائحة أفيون ، إنها رائحة أفيون .

صو فانغ: إنها روائح النارجيلة التي كنت تدخنها طوال اليوم .

زنغ هاو: آه ، كبرت ، حتى أنفي لم يعد يفيدني في شيء . (فجأة) هل رحل ون تشينغ أم لا؟

صو فانغ: رحل .

زنغ هاو: أنت لا تكذبين علي .

صو فانغ: رحل فعلاً .

زنغ هاو: آه ، هذا أحسن . ولدي الكبير هذا أخرجني عن طوري ، دخن وترك التدخين عدة مرات ، والآن من السهولة بمكان أن يعود إليه ، غادر البيت...

صو فانغ: لقد تأخر الوقت ، ينبغي أن تذهب وتنام .

زنغ هاو: (يجلس شاكياً) إنهم يخدعونني طوال اليوم ، تخلو حياة الشباب من أي معنى ذرية فاسدة ، ليس بينهم من يتحمل المسؤولية عني . (بتعاسة) ليس في البيت واحد متعاطف معي ، يرثي لحالي ، يتألم لي . عملت مثل حيوان عشرات السنين ، والآن يتأمل الجميع موتي .

صو فانغ: لا داعي لهذا الكلام يا زوج خالتي .

زنغ هاو: أنا أعرف ، أنا أعرف . (بحقد) زوجة ابني الكبير هي أول واحدة ليست بآدمية ، إنها تعرف كيف تسلبني نقودي . أعرف أنها هي من سمحت للدائنين باقتحام المنزل عند الغداء ، إنها تتعمد إزعاجي . (يصر على أسنانه) أنت تعرفين أنها لا تريد أن تترك لي حتى التابوت . تابوت أبي! إنها امرأة عاقة ، ليس عندها ضمير! حتى مطرزات الأسرة ، حتى ...

(تهب ريح ماطرة في الخارج ، يسمع حفيف اوراق الشجر)

زنـغ هـاو: إنها تريد لعب دور الأم والأب ، إنها ...

صـو فـانغ: (تصغي) هطل المطر . هيا إلى النوم ، يكفي كلاماً .

زنـغ هـاو: (يومئ برأسه) لا ، لن أنام . كبرت ، ذرية فاسدة ، لا أحد يشفق علي ، لا أحد يسهر على خدمتي في الليل . (يلمس قدميه متألماً) آ

صـو فـانغ: ما بك؟

زنـغ هـاو: (أنين خفيف) وجع ، ساقاي تؤلمانني بشدة!

(دقات صنج في الخارج)

صـو فـانغ: (تأخذ كرسياً وتضعه تحت قدميه ، تغطيه بالحرام ، تسحب كرسياً آخر وتجلس بالقرب منه ، تدلك له ساقيه) أحسن قليلاً؟

زنـغ هـاو: (يئن بشكل خفيف) أحسن ، أحسن . ساقاي باردتان مثل الثلج ، صو فانغ هل ملأتِ لي الطست أم لا؟

صـو فـانغ: ملأته .

زنـغ هـاو: قبل ولادتك وعندما يكون الطقس بارداً ، كانت خالتك تعد لي المجمر ، وتسخن لي خمر شاو شنغ ، وتكون قد

دفأت لي اللحاف قبل ذلك...(كمن تذكر فجأة) أين وضعت طست الماء الساخن؟

صو فانغ: (تدلك له ساقيه) لقد وضعته تحت سريرك. (تتثاءب)

زنغ هاو: (بحزن) آه، قلب العجوز خاوٍ. المهم في حياته اللباس الدافئ والطعام الكافي والبر به شيء ثانوي. انظري(لم يكتفِ بما قاله) أي منهم يفكر في رضاي؟ أي منهم لا يتكلم عني بغمز ولمز؟ أي منهم يرغب في سماع كلامي، أو أن يفكر فيّ؟(يلاحظ أن صو قد نعست) صو فانغ، هل غفوتِ؟

صو فانغ: (تهب مذعورة) لا.

زنغ هاو: (بتعاطف) أنت متعبة، لم تنامي ليلة البارحة، واليوم وأنت تهتمين بي طوال اليوم، لا عجب أنك متعبة الآن. اذهبي للنوم. (بصوت لا يخلو من شكوى) أنا أعرف أنك لم تسمعي كلامي.

صو فانغ: (تفرك عينيها، تتثاءب) لا، لا أريد أن أنام، أنا أسمعك.

زنغ هاو: (لا يخفي شكواه) لا بأس عليك، لقد نام الجميع، حركتي بطيئة، حتى من هم من لحمي ودمي لا يهتمون بي، هم يكرهونني.

صو فانغ: (تطأطئ رأسها) لا يا زوج خالتي ، أنا لا أظن ذلك ، أنا لا ...

زنغ هاو: (يثرثر) أنت لا تكرهيني يا صو فانغ ، أنا أعرف ، لذا فهم لا يتكلمون أمامك ، أنا أعرف أنك ضقت ذرعاً بذلك . (يئن) آه ، أشعر بدوار .

صو فانغ: لا أحد يتكلم عليك أمامي . أنا ، أنا متعبة قليلاً .

زنغ هاو: (يثرثر) أنت فتية ، وقد رافقتني منذ سنوات عمرك الأولى ، وأنت تشعرين بالظلم ، أنا أعرف ذلك . (زفرة طويلة) آه ، أي فائدة في صحبتي؟ لا مال ، ولا مقال يسر الجليس ، ثم لا أمل . (يتنهد بحزن) مستقبلي هو التابوت ، التابوت ، أنا ...(يلمس ساقيه) آ!

صو فانغ: (تدلك ساقيه بقوة ، تفسر له) الحقيقة أنني كنت متعبة منذ قليل ليس إلا .

زنغ هاو: (تدمع عيناه ، ينظر إلى صو) أنت لست راضية علي يا صو فانغ(بين تأنيب الضمير والشكوى) أنا أعرف أنك تلومينني في قرارة نفسك ، أنت ما عدتِ صغيرة ...

صو فانغ: أنا راضية كل الرضى بخدمتك يا زوج خالتي .

زنغ هاو: (يهز يده) صو فانغ ، لا تعذبيني أكثر من ذلك .

صو فانغ: أنا لست متعبة .

زنغ هاو: (يثبت يديها) لا ، لا . دعيني أقول لك بضع كلمات . (يثرثر) أنا لا أريد تعذيبك طوال عمري . لقد فكرت بالنيابة عنك ، تزوجي من رجل يمكنك الاعتماد عليه ، ولن يكون لأحد علاقة بك(لا تشعر صو بحاجة إلى سحب يدها) أنا أشعر أن قلبي مطمئن ، لقد قمت بواجبي تجاهك ، وتجاه أمك ، أنا ...

صو فانغ: لا يا زوج خالتي . (تنهض بهدوء)

زنغ هاو: ولكن ...(يتجهم فجأة) لا يمكن ، لم تعودي شابة ...

صو فانغ: (تحني رأسها بألم) لا تقل ذلك يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر بالابتعاد عنك

زنغ هاو: (بقسوة) اسمحي لي بالقول ، أنت لم تعودي شابة ، والزواج بالنسبة لامرأة في سنك يملأ عليها حياتها ، ولكن قد تحرمين من الخلفة ، وربما تصادفك بعض المشاكل ، وربما لا يكون معك المال ، حينذاك ...

صو فانغ: (لا ترغب في الاستماع) يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر مطلقاً ...

زنـغ هـاو: (يبتسم بمرارة) إنشاء أسرة أفضل بكثير لك من البقاء في هذا البيت ، أنا أفهم ذلك .

صـو فـانغ: (بألم) أنا ، أنا ...

زنـغ هـاو: (بثرثرة مزعجة) أنا أعرف ، فتاة تكبر يوماً بعد يوم ، لا ترضي طموحها ولا تقنع بما هي فيه ، حتى بلغت الثلاثين من عمرها . (يزداد قسوة) والداك ماتا ، ولا أحد يشد من أزرك ، وحيدة ، لا حبيب لك ، إلى أن يأتي يوم ، تكبرين فيه ، فلا تجدين من يهتم بك ، لا أولاد ، ولا أقرباء ، تكبرين ، وتكبرين ، حتى تصبحين مثلي ...

صـو فـانغ: (بنظرة حزينة وخائفة وصوت منخفض) لا ، لا (تجهش بالبكاء) لِمَ قلت ذلك يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر بمغادرة بيتكم هذا .

زنـغ هـاو: (بألم) كنت أفكر بالنيابة عنك ، فكرت بدلاً عنك .

صـو فـانغ: (تبلع ريقها) لا تفكر عني يا زوج خالتي ، لقد سبق وقلت أنني لن أتزوج أبداً .

زنـغ هـاو: (يزفر) لا تبكِ يا صو فانغ ، فزوج خالتك لن يعش طويلاً .

(تقرع العرافة العمياء على صنجها وهي تبتعد في الزقاق الطويل)

زنـغ هـاو: ما هذا؟

صـو فـانغ: العرافة العمياء تعود إلى بيتها. (تنهمر دموعها بهدوء)

زنـغ هـاو: لا تبكِ، أنا لن أعيش لبضع سنوات أخرى، سوف أزعجك لبعض الوقت ولن أؤخرك أكثر من ذلك. أنا أعرف أن صه بي وجيانغ تاي يتمنيان موتي لكي يقتسمان ثروتي، أنت ابنتي الوحيدة المخلصة لي يا صو فانغ!

صـو فـانغ: بعيد الشر عنك. (تبكي) لمَ تحمل نفسك كل هذا العبء وأنت في هذا العمر، أنا لم أسيَء لك اليوم.

زنـغ هـاو: (يلمس يد صو) لا، أنت طيبة، أنت بنت طيبة. ولكن الجميع يعتقد أن زوج خالتك يملك الكثير من المال، (تسحب صو يدها بهدوء) إنهم يرون وجهي عبارة عن ورقة نقود، وأن ليس في بطني أحشاء أب، بل هي ملأى بالنقود. (يسعل) إنهم ينتظرون موتي. آه، حياة الشباب لا معنى لها!

(يمسح رأسه) رأسي تؤلمني (يهم بالوقوف)

صـو فـانغ: (تساعده) هيا إلى النوم.

زنـغ هـاو: (يجلس ، يتلمس كيس نقوده) لكن لا ، أفلست منذ زمن بعيد . أنفقت أموالي على جنازة خالتك ، وعلى قبرها ، وعلى إصلاح البيت ، وكذلك على إعداد تابوتي . (يخرج دفتر ادخار أحمر من جيبه) تسعى صه يي كل يوم لسرقة دفتر ادخاري هذا . (يقدمه إلى صو) انظري ، كم بقي فيه؟ حتى أنت لن يبقى لك إلا القليل من المال بعد موتي . (ينهض) ...

صـو فـانغ: (بحزن) لم أفكر بمالك مطلقاً يا زوج خالتي .

(تدخل روي تشن من باب غرفة التربية)

روي تشن: سيدي ، لقد أعددت لك مغلي الأعشاب الطبية ، وهو في غرفتك .

زنـغ هـاو: إي .

(نباح كلب في الزقاق)

زنـغ هـاو: هيا . (تسندانه صو وروي وتذهبان به باتجاه غرفة التربية)

(يدخل تينغ من غرفة التربية يحمل كتاباً مجلداً بالخرز النافر)

تينـغ: جدي ، لقد انتهيت من حفظه ، هل تريد مناقشته؟

زنغ هاو: (يهز راسه) الوقت متاخر، (يلتفت إلى روي) روي، ابقِ هنا، عليكما الخلود إلى النوم.

(تسند صو الجد ويخرجان، تنظر روي إلى الموقد. يقترب تينغ من الظل، يتأمل فيه ثم يعود)

تينغ: (يفتح حديثاً) هل نامت أمي؟

روي تشن: على الأغلب نامت .

تينغ: (بتردد) وأنت لِمَ لم تنامي بعد؟

روي تشن: كنت أُعَد مغلي الأعشاب لجدك. (تريد أن تتقيأ، تجلس)

تينغ: (بقلق) لِمَ جلست هنا؟

روي تشن: (تدلك معدتها) لا لشيء(بيأس) هل تريدني أن أذهب؟

تينغ: (بصبر) لا، لا.

[طقطقة المطر، صوت موحش لبائع ينادي « كعك، كعك»]

تينغ: (ينظر من خلال النافذة) المطر يهطل بغزارة!

روي تشن: إي، بغزارة.

[صوت موحش وثقيل في الزقاق ينادي « كعك، كعك»]

تينـغ: (بوحشة) عاد بائع الكعك العجوز مرة أخرى .

روي تشن: (ترفع رأسها) هل أنت جائع؟

تينـغ: لا .

روي تشن: (تقف) ألا تريد أن تنام؟

تينـغ: لا ، لا . أنت متعبة ويمكنك أن تنامي .

روي تشن: (تخفض رأسها) حسناً . (تبتعد بهدوء باتجاه غرفة التربية)

تينـغ: تبكين ، لماذا تبكين؟

روي تشن: أنا لا أبكي

تينـغ: (بتعاطف مفاجئ وباختصار) تريدين نقود ... أعطتني أمي اليوم ٢٠ يواناً هي في الغرفة فوق الوسادة ... خذيها .

روي تشن: (تتنهد بيأس) إي .

تينـغ: (يقاوم ملامح الشفقة التي بدأت تظهر على وجهه) إن كنت لا تريدين النوم وحدك يمكنك البقاء هنا لبعض الوقت .

روي تشن: لا ، أريد النوم في غرفتي . (يعطس تينغ فتلتفت إليه) ملابسك خفيفة؟

تينـغ: لست بردانا . (تسير روي باتجاه غرفة التربية ، يتذكر أمراً) إي ، قالت أمي منذ قليل ...

روي تشن: ماذا قالت أمك؟

تينـغ: قالت إنها تريدك كي تدلكي لها قدميها.

روي تشن: حاضرة. (تتجه إلى غرفة صه يي)

تينـغ: (يوقفها) لا ، لا تذهبي.

روي تشن: (بدون تعبير) ماذا؟

تينـغ: (يتأمل روي) أنت تكرهين ، تكرهين هذا البيت؟

روي تشن: أنا؟

تينـغ: (بإلحاح) أنت؟

روي تشن: (تخفض رأسها بكسوف)

تينـغ: (بيأس وصوت واطئ) اذهبي.

(تمشي روي قليلاً ثم تلتفت فجأة)

روي تشن: (مترددة) أريد أن أقول لك شيئاً.

تينـغ: ما هو؟

روي تشن: (بخجل) صحتي ليست كما ينبغي في الآونة الأخيرة.

تينـغ: (بعجلة) ولماذا لم تخبريني حتى الآن؟

روي تشن: أنا ، أنا خائفة ...

تينـغ: (بارتياح) ولِم تخافين ، ما الذي يؤلمك؟

روي تشن: (تتلعثم) أشعر بدوخة دائماً ، وأشعر ...

تينـغ: (لم يفهم) آ ، دوخة . (ينادي) ما!

روي تشن: (تمنعه) ماذا تفعل؟

تينـغ:(بنية طيبة) لدى أمي دواء ، إن تناولته فسوف تشفين .

روي تشن: (تخفي حزنها) أنت!

تينـغ: (بحيرة) ماذا ، تكلمي ، هل يؤلمك شيء آخر؟

روي تشن: (بيأس) لا شيء ، أنا ، أنا ...(تمشي باتجاه الباب)

تينـغ: تبكين مرة أخرى؟

روي تشن: (تقف) أنا ، أنا لا أبكي . (ترفع رأسها وتنظر إلى تينغ بأسى) تينغ ، أنت لا تعرف أنك رجل؟ تينغ ، نحن ...

تينـغ: (يقاطعها مفسراً لها) نحن أصدقاء . لقد سبق وقلت لي أننا أصدقاء ، نحن لم نتزوج بحرية . كلام صديقتك صحيح ، أنا لست عبداً لك ، وأنت لستِ عبدة لي . نحن وفي أحسن الأحوال أصدقاء ، لكل منا حريته ، ولكل منا طريقه . أنت نفسك تؤمنين بهذا الكلام ، أليس كذلك؟

روي تشن: (بصرامة) نعم ، أؤمن بذلك!

[يسمع صوت صه بي من داخل غرفتها: روي تشن! روي تشن!]

تينـغ: أمي تناديك .

روي تشن: (تلتفت بحدة) أنا ذاهبة .

تينـغ: إي .

(تدخل روي إلى غرفة صه بي)

تينـغ: (يرفع رأسه وينظر إلى ظل القرد الكبير ، يستجمع شجاعته ويمشي إلى أمام الظل ، ومن خلال شق في الباب ينادي بصوت منخفض) يوان يوان ، يوان يوان!

(تعود روي)

تينـغ: (محرجاً) لماذا ...

روي تشن: طلبت أمك مني أن أنادي لها صو فانغ .

(تغادر روي عبر غرفة التربية ، تينغ مرتاب قليلاً ، يزفر زفرة طويلة ، ثم ...

تينـغ: يوان يوان! يوان يوان!

(يفتح الباب فتتسرب حزمة من الضوء ، تدخل يوان يوان ، تضع وروداً في شعرها ، تدب على الأرض بشكل وحشي ،

ترتدي سروالاً قصيراً، حافية القدمين، نصف جسمها عارٍ تقريباً، تمسك مقصاً بيد، ونموذجاً من ورق للإنسان القرد باليد الأخرى، تحيي تينغ مقهقهة)

يوان يوان: إيه، جئت مرة ثانية؟

تينـغ: ما هذا الذي ...

يوان يوان: (بدون أي شعور) قصصت ظلاً لإنسان بكين(ترفع نموذج الإنسان القرد) انظر.

تينـغ: (يتأمل يوان، يثبت نظره عليها) لا، لا، أعني ملابسك قصيرة جداً وسوف تتجمدين من البرد.

يوان يوان: (تضع النموذج عنها، ثم تضع يداها على خصرها) انظر هل أنا جميلة أم لا؟

تينـغ: (بذهول) جميلة!

يوان يوان: (تضع يداها وراء ظهرها) هل أستطيع أن آكل لحمك؟

تينـغ: (يستجيب لها، لا يعرف ما يقول) تستطيعين.

يوان يوان: (تقترب) هل أستطيع أن أشرب دمك؟

تينـغ: (متلعثماً) تستطيعين.

يوان يوان: (تصرخ وتخرج من وراء ظهرها فأساً ، تنتصب ، تمشي وتزأر أمام تينغ) آ! عطشانة وأريد أن أشرب ، آ(تبدو مثل قردة مخيفة)

تينـغ: (ببلاهة وخوف) ما الذي تريدين فعله؟

يوان يوان: (تقهقه) أريد أن أقتل إنساناً ، هل أنت خائف أم لا؟(تشير إلى الظل) هل أنا أشبهه أم لا؟

تينـغ: (بذهول) هل تريدين أن تشبهيه ... إنه وحش؟

يوان يوان: (تشد تينغ) هيا ، تعال لترَ .

تينـغ: (كارهاً) لا ، لا أريد ، لا أريد الدخول .

يوان يوان: (ترفع من معنوياته) ادخل لترَ ، إن جسمه كله مغطى بالشعر ، شعر ... (تشد تينغ إلى الباب)

تينـغ: لا ، لا .

يوان يوان: هيا ، ادخل!

(يفتح الباب فجأة ، يظهر تشو الصغير وقد قلب ثيابه عليه ، يحاكي حركات «إنسان بدائي» . يحمل رسالة بيد ، والحمامة التي طلبتها يوان باليد الثانية يسمع صوت بين الضحك والبكاء . يغلق الباب فيظهر الظل على الستارة)

تينـغ: آ، ما هذا؟

يوان يوان: (تضحك) هذا هو الأخ الأصغر لإنسان بكين . (تشير إلى الظل)

تشو الصغير: (بغباء) آنسة يوان(يرفع رسالة بيده) رسالتك ، لقد وجدتها على الأرض

يوان يوان: رسالة؟

تينـغ: (يخطف الرسالة منه ، يطأطئ رأسه)

تشو الصغير: (يوان لا تفعل شيئاً ، يصرخ) لمَ خطفتها؟

يوان يوان: (تفسر له) هذه رسالته التي كتبها لي(تهدئ من غضب تشو) تشو ، لا تغضب ، أنا أحبك .

تشو الصغير: (بطيبة) وأنا أحبك أيضاً .

تينـغ: (مؤنباً) تشو!

تشو الصغير: (يحملق) لمَ تصرخ؟

يوان يوان: (تلتفت إلى تينغ بلباقة) تينغ ، أنا أيضاً أحبك(تقف بينهما) نحن الثلاثة سوف نلعب معاً دائماً ، حسناً؟

تشو الصغير: (دون تفكير) حسناً .

يوان يوان: (تلتفت إلى تينغ) تينغ ، وأنت؟

تينـغ: (إلى تشو) اذهب ونم!

تشو الصغير: (بنزق) أنت اذهب ونم ، أنا لا أريد أن أنام!

(تدخل المربية قادمة من غرفة التربية)

المربيـة: (وقد سمعت الجملة الأخيرة) من الذي لا يريد أن ينام؟

تشو الصغير: (مندهشاً) جدتي .

المربيـة: تنتبه الآن إلى تشو ، مندهشة) ماذا فعلت بنفسك؟ تشو ، كيف خلعت ملابسك هكذا؟ ...

تشو الصغير: (يشير إلى يوان) هي طلبت مني ذلك .

المربيـة: كيف تطلبين منه أن يخلع ملابسه يا يوان؟

يوان يوان: (بشكل طبيعي) ولماذا يرتدي الإنسان كل هذه الملابس؟

المربيـة: (تندفع إلى أمام يوان ، تريد أن تصب جام غضبها عليها ثم تعدل عن ذلك) يا آنسة يوان(بغضب) هل ترين هذا مناسباً!(إلى تشو) هيا إلى النوم .

تشو الصغير: (بينما هو يبتعد يلتفت لطلب المساعدة) آنسة يوان ، آنسة يوان!

يوان يوان: (متعاطفة معه) اذهب(تهز رأسها متأففة) لن نكمل لعبنا .

تشو الصغير: جدتي(تغرورق عيناه بالدموع)

المربيــة: هيا ، وتريد أن تلعب!

تشو الصغير: لا ، انتظري جدتي(يرفع الحمامة) «الوحيدة» مازالت معي .

المربيــة: ما معنى «بطنك منتفخ»؟

تشو الصغير: (يشير إلى الحمامة)

يوان يوان: (تركض باتجاهه) حمامتي ، «وحيدتي» الصغيرة(تأخذها من تشو) تشو سوف نلعب معاً غداً ، سوف آخذك لنتسلق الجبل ونسبح ، وتأخذني لنرعى الماشية ونصطاد الطيور . أما الآن فينبغي أن تذهب مع جدتك وتنام (تراقب دموع تشو المنهمرة ، تتبعهما) آ ، يا صغيري «إنسان بكين» المسكين!(تشد تشو فجأة ، تهز رأسه ثم تقبله)

المربيــة: (غاضبة) آنسة يوان!(إلى تشو) هيا بسرعة .

(تسحب المربية تشو الذي يشبه شيطاناً هارباً ، يغادران عبر غرفة التربية)

تينـغ: (غاضباً) كيف فعلت ذلك؟ تقبلينه ...

يوان يوان: (بحيرة) ألا أستطيع تقبيل تشو؟

تينـغ: (لا يقوى على الاحتمال) يوان يوان ، ألن تصحبيه غداً؟

يوان يوان: ولماذا لا أصحبه؟

تينـغ: (لا يجد مبرراً ، يردد) لا تصحبيه .

يوان يوان: (بنظرة خاطفة) ولكن سوف نصحبه معاً(تشير إلى الظل) وسوف نصحب إنسان بكين .

تينـغ: (يومئ برأسه) لا ، لن نصحبه أيضاً .

يوان يوان: (تميل برأسها) ولماذا حتى هو لن نصحبه؟(تتذكر شيئاً) آ ، تينغ ، سوف أخبرك بسر ، سر كبير . (تمشي إلى أمام الظل وهي تمسك بالحمامة) تعال .

تينـغ: (يحمل شمعة ويتقدم) ماذا؟(تشده يوان ويجلسان على العتبة. يجلس الاثنان تحت ظل إنسان بكين ويتبادلان أطراف الحديث)

يوان يوان: (بصوت منخفض) سألني أبي منذ قليل فيما إذا كان أهل بكين لطفاء ، هل أنت لطيف؟

تينـغ: (بفرح) و كيف يسأل مثل هذا السؤال؟ إنه يعرفني ...

يوان يوان: لا تهتم ، هكذا هو أبي(تهز رأسها بلطف ، تبتسم) أنا قلت له أنك لطيف

تينـغ: (لا يخفي فرحته) حقاً؟

يوان يوان: (مؤكدة) طبعاً .

تينـغ: (بسرعة) هل قرأت(يشير إلى الرسالة) الرسالة التي كتبتها لك؟

يوان يوان: (متأثرة) لا تقاطعني ، سألني أبي بعدها: «هل تحبينه؟»

تينـغ: (بقلق) وأنت ، ماذا قلت؟

يوان يوان: (ترفع رأسها مستفسرة) خمن ماذا قلت له؟

تينـغ: (خجلاً) لا أستطيع أن أخمن .

يوان يوان: (بفطنة) قلت لا أعرف .

تينـغ: (يتأفف قليلاً ، ثم بسرور) جواب رائع .

يوان يوان: ثم سألني بعد ذلك: «هل ترغبين بالزواج منه عندما تكبرين؟»(ترفع رأسها مشيرة إلى الظل) هل تفضلين الزواج من إنسان بكين هذا ، أم من حفيد أسرة زنغ؟

تينـغ: (قلقاً، يرفع رأسه أيضاً، يتحرك ظل «إنسان بكين»، يبدو كما لو أنه ينظر إليهما. يقفز تينغ خائفاً) الزواج من إنسان بكين، أم ...

يوان يوان: (تومئ برأسها) هو، أم أنت(تدلك معدتها)؟

تينـغ: وماذا ... قلت... ؟

يوان يوان: قلت(تقبل الحمامة) ... لا تغضب، (بصراحة) أريد الزواج منه، الزواج من الشمبانزي الضخم هذا!

تينـغ: لماذا، لماذا؟

يوان يوان: (بتبجيل) هو كبير، إنه كالنمر، يستطيع بضربة واحدة القضـاء على مائة إنسان.

تينـغ: (لم يتوقع ذلك) ولكن، ولكن أنا ...

يوان يوان: أنت(باستخفاف) أنت ...(تقفز فجأة وتقف فوق العتبة وهي تصرخ) فأر.

تينـغ: (يقفز إلى جانبها مرتجفاً) ماذا؟ ماذا؟

يوان يوان: (تشير إلى الحائط) هناك، هناك.

تينـغ: أين؟ أين؟

يوان يوان: آ، هيا(متوترة) منذ لحظة مر فأر صغير من فوق قدمي(تشير بيديها)

تينـغ: (يهدأ ، يضحك) آ ، فأر! أنت خائفة من فأر! في بيتنا الكثير منها.

يوان يوان: (تغير الموضوع) آ ، لقد خُيل إلي أنك (تصفق بفرح) يا لك من فأر صغير (تنقر على كتفه) فأر صغير!

تينـغ: (بعدم رضا) أنا ، خطر لي ...

يوان يوان: ماذا خطر لك؟

تينـغ: (بطيش) أنت ، لا تحبيني؟

يوان يوان: أنا أحبك ، طبعاً أنا أحبك (تقبل الحمامة مرة ثانية) أنت مثلها (تشير إلى الحمامة) أنت تسمع الكلام ، أنت مثل هذه الحمامة ، أنت مسكين (تجلس على العتبة وتقبل الحمامة)

تينـغ: (متأثر جداً ، يجلس إلى جانبها) ولكن هل قرأت رسالتي هذه أم ...

يوان يوان: (تخطر في بالها فكرة ، تقف فجأة) تخيل يا تينغ أن تلك الفأرة الصغيرة ولدت فئراناً صغيرة فكم ستكون تلك الفئران ضئيلة الحجم!

تينـغ: (بألم) أنت لا تتحدثين إلا على الفئران؟ هل قرأت رسالتي ، (يطأطئ رأسه ثم يرفعه) أنت ، قلبك ...(يطأطئ رأسه)

يوان يوان: (تتحسس قلبها بغباء) قلبي؟ ...

تينـغ: (فجأة) هل قرأت الشعر الذي كتبته لك ، الشعر الذي في الرسالة؟

يوان يوان: (تومئ بالإيجاب ، وبسذاجة) قرأته!

تينـغ: (فرحاً) قرأته؟

يوان يوان: (تومئ أيضاً) إي ، وقال أبي أن خطك أجمل بكثير من خطي .

تينـغ: (مرعوباً) وهل أعطيته لأبيك وقرأه؟

يوان يوان: (بفطنة) لا يحمر وجهك يا صغيري المسكين ، قال أبي أن لديك خطأان إملائيان ، وأنك أفضل مني .

تينـغ: ولكن الشعر الذي كتبته لك ، أنت أيضاً ...

يوان يوان: (تومئ برأسها) إي ، أنا لم أستطع قراءته ، لذا أعطيته لأبي كي يقرأه لي

تينـغ: (مندهشاً) وقرأه لك!

يوان يوان: (لم تفهم) ماذا؟

تينـغ: لا شيء . أبوك ، هل قرأ لك أم لا؟

يوان يوان: (تهز رأسها) لا ، قال فقط أنه لا حياة فيه ، قديم ، قديم جداً . (بأسف) قال ، إنه لم يفهمه أيضاً .

تينـغ: وماذا قال أيضاً؟

(تدخل روي تشن وصو فانغ عبر غرفة التربية، تلمح روي تينغ ويوان، تبقى واقفة داخل غرفة التربية وهي حزينة. صو فانغ التي تحمل بيدها ثياب طفل مطرزة هي الأخرى تقف بصمت)

يوان يوان: (مترددة) قال(بسرعة) طلب مني ألا ألعب معك بعد الآن.

تينـغ: (بذهول) ألا تلعبي معي ...

يوان يوان: (مواسية له) لا تهتم له، غداً سوف نذهب معاً لنلعب بالطائرات الورقية

تينـغ: (بصوت خافت) ولكن، ولكن لماذا؟

يوان يوان: (مثرثرة) لقد جاءت خالتي صو فانغ وقابلت أبي منذ قليل.

تينـغ: (مندهشاً) ماذا فعلت؟

يوان يوان: قالت إن زوجتك سوف ترزق بمولود.

تينـغ:(يكفهر وجهه) ماذا؟

يوان يوان: وقالت إنك سوف تصبح أباً، (بفضول) هل هذا حقيقي؟

تينغ: (في شبه انهيار) أنا؟

يوان يوان: ثم تكلم أبي وصو فانغ معي وطلبا مني ألا ألعب معك بعد الآن .

تينغ: (يكاد يغمى عليه) أصبح أباً؟

يوان يوان: (فجأة) عمري خمس عشرة سنة ، وأنت؟

تينغ: (ببله) سبع عشرة سنة .

يوان يوان: (تحاول إضحاكه) آ، سبع عشرة سنة وتصبح أباً . (تصفق) أب عمره سبع عشرة ، تخيل ، (تشد يده) شيء ممتع أن تنجب الكثير من الفئران أيها الفأر الصغير ، ...

تينغ: (يجهش بالبكاء)

يوان يوان: لا تبكِ ، تينغ ، غداً سوف نلعب معاً ، لا تكترث بكلام قردي العجوز (بصوت منخفض) لا تبكِ ، سأشتري لك سكاكر غداً ، وسوف نطلق طائرات ورقية ، ولن نأخذ معنا تشو الصغير ، ولن نأخذ إنسان بكين أيضاً .

تينغ: (يبكي) لا ، لا ، لن أذهب .

يوان يوان: لا تبكِ ، إن بكيت فسوف أغضب منك .

تينغ: (مازال متألماً)

يوان يوان: لا تبكي يا تينغ ، سوف أعطيك حمامتي هذه(ترفع الحمامة أمام وجهه)

تينـغ: (يبعدها) لا أريدها . (ينشج مرة ثانية)

يوان يوان: سوف أقول لك ، أنا لن أتزوج «إنسان بكين» ، ما رأيك؟

تينـغ: (يهز رأسه) لا ، لا ، أنا أريد أن أبكي .

يوان يوان: (تواسيه) حقاً ، أنا لا أخدعك ، انتظر حتى أكبر قليلاً ، قليلاً ، وسوف أتزوجك ، أؤكد لك .

تينـغ: (يهز رأسه نافيناً) لا ، أنت لم تفهمي(ينشج بصوت منخفض ، يمزق الرسالة ببطء)

يوان يوان: (بسذاجة) ألم تقل في رسالتك أنك تريدني؟ تريدني أن أتزوج ...

(صوت يوان رن قان من وراء الظل: يوان ، يوان)

يوان يوان: (بصوت منخفض) أبي يناديني ، إلى اللقاء غداً ، سوف أنتظرك لنطلق الطائرات الورقية ، ونصطاد السمك ، اتفقنا؟

(صوت يوان رن قان من وراء الظل: يوان ، يوان)

يوان يوان: أنا قادمة يا أبي(تلتفت إلى تينغ وترسم قبلة على خده) تينغ ، يا لفأري الصغير المسكين! (يتأملها تينغ وهي خارجة)

[تفتح يوان الباب وتخرج راكضة، يغلق الباب. يهطل المطر خفيفاً وبشكل مائل وذلك بفعل الريح، يسمع صوت بائع الكعك في الزقاق]

تينـغ: (يجهش بالبكاء)

[تدخل روي بهدوء، تنحني قليلاً وتربت على كتف تينغ مواسية) لا تبكِ لقد ذهبت الآنسة يوان]

تينـغ: (يرفع رأسه) هل كلام خالتي صو صحيح؟

روي تشن: (تتأمله ثم تطلق زفرة عميقة)

تينـغ: (ينتحب، متذمراً) أي إنسان أصر على بقائنا معاً؟ (ينهض، يدق الأرض بقدمه) إنني أتمنى الموت حقاً. (يمشي باتجاه غرفة التربية)

صـو فـانـغ: تينغ!

(يندفع تينغ إلى الخارج دون أن يلتفت)

روي تشن: (تجلس متهالكة على الكرسي)

صـو فـانـغ: (تقترب) روي تشن!

روي تشن: خالتي صو!

صـو فـانـغ: (تمسح على رأس روي) لا عليك ...

روي تشن: (تحتضن صو) وأنا أتمنى الموت أيضاً.

صـو فـانغ: (بحنان) روي تشن.

روي تشن: (تنهمر الدموع على خديها، تشكو همها) لماذا أخبرت السيد يوان يا خالتي صو؟ لماذا تفرقين بين الآنسة يوان وبينه؟

صـو فـانغ: (بأسى) روي تشن، أنا أحبـك كثيراً، وأرى أنك مظلومـة، وأنا لا أحتمل ذلك. (بحيرة) لا أعرف كيف أخبرته بذلك، كنت حمقاء عندما قابلت السيد يوان، أنا لا أعرف ما قلت، كنت في حالة غيبوبة. روي تشن، إن تجرأ تينغ من اليوم وصاعداً على ...

روي تشن: (بأسى) أنت حمقـاء حقاً يا خالتي صـو، فهو لا يحبني. ألم تلاحظي ذلك؟ إنه لا يحبني أبداً.

صـو فـانغ:(مواسية) لا، إنه ولد، وسوف يكون طيباً معك ذات يوم. انتظري يا روي تشن، انتظري وسوف تفعل الأيام فعلها. ليست الحياة لنعذب أنفسنا، بل هي لكي نسعد من هم بقربنا، وأي هـدف أسمى من هذا الهدف؟ انتظري وسوف ...

روي تشن: ترفع رأسها، بحزن عميق) لا يا خالتي صو، لا أستطيع الانتظار. أريد الرحيل، لقد انتظرت سنتين.

[صوت زنغ هاو: صو فانغ ، صو فانغ]

صو فانغ: وإلى أين ستذهبين؟

روي تشن: (ببله) أخبرتني صديقتي أن هناك العديد من الأماكن ، هناك ...

صو فانغ: (بأسى) وابنك!(ترفع الثوب المطرز أمام ناظريها) ...

روي تشن: (تتناول الثوب) ابني(تطلق تنهيدة طويلة فيسقط الثوب على الأرض)

(يظهر زنغ هاو بنصف جسمه من باب غرفة التربية)

زنغ هاو: (يرفع شمعة) صو فانغ ، تعالي بسرعة ، السقف يدلف ، لقد تبلل فراشي!

(تغادر صو وزنغ هاو ، تخرج صه يي من غرفتها وبيدها دفتر حساب مصرفي ، روي تنشغل بإخفاء الثوب)

صه يي: (تلمح صو وهي خارجة) آنسة صو ، آنسة صو! (إلى روي) أليست خالتك صو؟

روي تشن: إي

صه يي: كيف خرجت ما أن رأتني؟

روي تشن: دعاها جدي.

صه يي: (بقسوة) اذهبي في طلبها، أخبريها أن أباك يريدها.

(تخرج روي مطأطئة الرأس من غرفة التربية. دقات صنج في مكان بعيد، يدخل ون تشينغ بينما تحسب صه يي النقود قرب الطاولة المربعة)

ون تشينغ: (بقلق) ما الذي تريدينه في نهاية الأمر؟

صه يي: (تدورعينيها) لا أريد أي شيء.

ون تشينغ: ماذا تريدين؟ تكلمي، تكلمي.

صه يي: (تتظاهر بنوع من الصبر) لقد رأيت كل شيء، لا معنى لحياة الإنسان، التابوت أمام ناظري صباح مساء، وكل شيء زائف. (تمشي باتجاه غرفتها)

ون تشينغ: ماذا ستفعلين؟

صه يي: (تلتفت) ماذا أفعل؟ سوف أطَّلع على دفتر حساباتي(تدخل إلى غرفتها)

ون تشينغ: (قبالة الباب) ولِمَ كل هذا العناء، لِمَ كل هذا العناء! ما الذي تطلبينه في النهاية؟ تكلمي.

(تعود صه يي وبيدها دفتر الحسابات)

صـه يي: (تدور عينيها) أنا لست كما يجب. كل ما أريدك أن تعرفه أنني كنت أمينة على مصلحتك. غداً صباحاً سوف أدخل الدير، لقد بلغت رسالتي.

ون تشينغ: آ، يا للسماء، قولي الحقيقة من فضلك. ما هذا الرأي الذي تقولين، أنا لست غريباً، لقد عشت معك لعشرين سنة، لِمَ كل هذا العنت؟

صـه يي: تخرج رسالة صو فانغ إلى ون تشينغ، باستهزاء) آه، إنها تعتبرني ظالمة. تكتب الرسائل لك أمام عيني. (بحقد) بكلمة واحدة، أريدك أن تعيد لها رسالتها أمامي.

ون تشينغ: (جانباً) أنا، سوف أرحل غداً.

صـه يي: (بصرامة) سوف تعيدها الآن. لقد أرسلت في طلبها.

ون تشينغ: (مذعوراً) ولِمَ أرسلت في طلبها؟

صـه يي: (باستهزاء) لكي تعيد لها رسالة الغرام التي كتبتها لك.

ون تشينغ: (بضيق) آه (يهم بالعودة إلى غرفته)

صـه يي: (بقوة) وتجرؤ على المغادرة! (يتوقف تشينغ، تكز

على أسنانها) الفأر الذي لا يستطيع سرقة الزيت من القط يكتفي باشتهائه فقط. أريد أن ألقنها درساً ...

(ينطفئ الضوء في الصالة الكبيرة فجأة فيختفي الظل، تدخل يوان بلباس النوم تحمل الحمامة بيد ورسالة باليد الأخرى)

يوان يوان: (بحيوية) إي، (تعطي الرسالة إلى ون تشينغ) هذه الرسالة لك من أبي يا عم(تلتفت إلى صه) أنتما لم تناما أيضاً، سوف ننام جميعاً.

(تخرج يوان، يغلق الباب)

ون تشينغ: (يطلق زفرة طويلة بعد الانتهاء من قراءة الرسالة) آه.

صه يي: ماذا؟

ون تشينغ: (يقدم الرسالة لها) السيد يوان يقول إن خطيبته سوف تصل قريباً.

صه يي: ولديه خطيبة؟

ون تشينغ: إي، ويطلب منك أن تجدي له غرفة مناسبة.

صه يي: (تنتهي من قراءة الرسالة، متهكمة) إيه، ماذا أقول، مرة أخرى آنستنا صو ...

صو فانغ: (بصوت منخفض) أخي الكبير يطلبني.

ون تشينغ: أنا ...

صه يي: نعم يا أختي صو. (تعطي الرسالة إلى تشينغ) ما رأيك؟

ون تشينغ: آه، (يهم بالمغادرة)

صه يي: (بقوة) قف! أنت تدفعني للقيام بعمل غير لائق؟

ون تشينغ: (بأسى) صو فانغ، اذهبي، لا تصغي إليها.

صو فانغ: (تنظر إلى صه ثم تهم بالمغادرة)

صه يي: (إلى صو) لا تتحركي(إلى تشينغ، متجهمة) أعدها لها!(يأخذ ون تشينغ الرسالة بخنوع)

صو فانغ: (تحدق بون تشينغ وهي واجمة. يمد ون تشينغ الرسالة لها بمعاناة)

صه يي: (تبتسم مكشرة) هذه رسالة أختي صو إلى ون تشينغ؟ ون تشينغ يقول لك آسف، استرديها من فضلك.

صو فانغ: (تستلم الرسالة بيد مرتجفة)

ون تشينغ: (يطأطئ رأسه)

(صمت)

(تغادر صو فانغ بهدوء من باب غرفة التربية)

ون تشينغ: (يلتفت متأملاً صو وهي خارجة، لا يحتمل ذلك فيجلس على الكنبة باكياً)

صه يي: (بصوت منخفض وبخبث) لِمَ تبكي؟ ماتِ أبوك!

ون تشينغ: (يومئ برأسه) لا تضغطي علي أكثر، فأنا لن أعيش طويلاً.

صه يي: (تزفر) محاسب أسرة دو المجاورة جاء مساءً لاسترداد الدين، والعجوز رهن البيت بمستندات، لا يمكن الحصول على يوان واحد. فمن منا سوف يموت أولاً يا ون تشينغ، سوف أصاب بالجنون أنا الأخرى.

(تدخل صه يي إلى غرفتها. يقف ون تشينغ مكتئباً، يمشي باتجاه غرفته ببطء صوت سقوط شيء في الغرفة المقابلة أشبه بوقع عصا على الباب. تخرج ون تساي من غرفتها مسرعة)

ون تساي: (بصوت منخفض وبخوف) أخي.

ون تشينغ: ماذا؟

ون تساي: لقد أفرط في الشراب وجن جنونه.

ون تشينغ: (بوهن) وإذاً ما العمل؟

ون تساي: (بعجلة) ما العمل، تقول ما العمل؟

(صوت أشياء تتكسر وشتائم)

ون تساي: (تشد ون تشينغ من يده) اسمع إنه يكسر الأغراض.

ون تشينغ: (يرفع رأسه) إيه، دعيه يكسر.

ون تساي: (متألمة) إنه، إنه جن، يريد أن يضربني، يريد أن يطلقني ...

ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) طلاق؟

[صوت جيانغ تاي من داخل غرفته: (يضرب الطاولة) ون تساي! ون تساي!]

ون تساي: أخي!

[**صوت جيانغ تاي:** (يضرب الطاولة ويصرخ) ون تساي! ون تساي! ون تساي!]

ون تساي: (تشد أخيها) أخي! اسمع!

ون تشينغ: لا تشديني.

ون تساي: (بقلق) يمكن أن يتسبب في فوضى يا أخي.

ون تشينغ: اتركيني، الفوضى في قلبي!

(يسحب تشينغ يده، ثم يمشي مترنحاً باتجاه غرفته. تمشي ون تساي خطوتين باتجاه غرفتها، يفتح الباب فجأة، يخرج جيانغ تاي مخموراً، يلبس فردة حذاء بإحدى قدميه)

جيـانغ تاي: (بعيد الشبه عما رأيناه منذ قليل، يتكئ على الباب جاحظ ومحمر العينين) أين ذهبت؟ أنت تعرفين جيانغ تاي أم لا، أنا هو جيانغ تاي، ناديتك، وناديتك، لِمَ لم تأتِ؟

ون تساي: (خائفة) أنا، أنا، أنت ...

جيـانغ تاي: أعيش في بيت أهلك، وأنفق نقودي. تحملت خارج البيت مزاج أسرتي طوال عمري، فهل ينبغي علي أن أتحمل مزاج أفراد أسرة زنغ داخل البيت أيضاً؟ أريد أن أشرب الخمر الذي أشتري، وآكل الطعام الذي أطبخ! وسوف أقاتل كل من يتطاول علي! هيا (يشد يد ون تساي) ناده لي.

ون تساي: (تمنعه) من تريد؟

جيـانغ تاي: زنغ هاو، أبوك، أريده أن يعتذر مني، أريد أن أصفي حسابي معه.

ون تساي: غداً، غداً. أبي نائم الآن.

جيـانغ تاي: إذاً أنا سأناديه الآن. (يمشي)

ون تساي: (تمنعه) لا تذهب.

جيـانغ تاي: اتركيني!

ون تساي: (بفطنة، تلتفت) آه، انظر، جاء أبي.

جيانغ تاي: أين؟

ون تساي: هنا.

[تدفع ون تساي جيانغ تاي إلى داخل الغرفة وتغلق الباب

صوت جيانغ تاي من الداخل: (يقرع الباب) افتحي، افتحي]

ون تساي: أخي! (تسرع إلى غرفة أخيها) أخي!

[**صوت جيانغ تاي:** (يدفع الباب) افتحي، افتحي]

(تقترب ون تساي من غرفة أخيها وترفع ستارة الباب)

ون تساي: (كما لو أنها رأت شيئاً مرعباً) آ، يا رب، أما زلت تدخن هذا!

[**صوت ون تشينغ من داخل غرفته:** (زفرة طويلة) لا علاقة لك بي، أنت مظلومة وأنا مظلوم أيضاً.]

[**صوت جيانغ تاي من داخل غرفته:** (يزأر) ون تساي (يضرب الطاولة) افتحي، سوف أحرق الغرفة! سوف أحرق الغرفة، سوف أشعل النار، أنا ...]

(يسمع صوت سقوط جسم ما، يبدو أن جيانغ تاي قد وقع على الأرض)

ون تساي: (تركض باتجاه غرفتها وهي تصرخ) يا الله، جيانغ تاي اصح، ألا يكفي ما فعلت، أمتني من شدة الخوف! (تفتح الباب)

(تدخل ون تساي إلى غرفتها، تغلق الباب، يسمع أنين جيانغ تاي. يدخل زنغ هاو مباشرة من غرفة التربية، يلتف بعباءة خفيفة ويحمل فانوساً وهو يرتجف، تساعده صو فانغ)

زنـغ هـاو: (مضطرباً) ما الذي حدث؟ ماذا حدث؟(إلى صو بصوت منخفض) طلبتني لرؤية من، من الذي أثار كل هذا الصخب. أحضري عباءتي القطنية.

(تخرج صو فانغ من باب غرفة التربية. مازال جيانغ تاي يئن داخل غرفته. يسمع صوت ون تشينغ داخل غرفته، يلمح زنغ هاو ضوءاً في غرفة ون تشينغ، يقترب من الباب، يرفع الستارة ويلقي نظرة إلى الداخل)

[**صوت ون تشينغ:** (بصوت مخنوق) من؟]

زنـغ هـاو: من!(لم يكن يتصور ما رأى) أنت! لم ترحل؟

(يرتبك ون تشينغ خائفاً، يحمل بيده سيجارة)

زنـغ هـاو:(يتراجع) كيف عدت مرة أخرى، مرة أخرى ...

ون تشينغ: (يطأطئ رأسه) أبي، أنا ...

زنـغ هـاو: (لا يتكلم من شدة الذهول، يرتجف، يمشي باتجاه تشينغ الذي يتراجع خائفاً بالقرب من طاولة الأولياء الثمانية،

يركع زنغ هاو فجأة إلى ون تشينغ ، بحزن) إنني أركع لك ، أنت أبي ، وأنا ابنك . أرجوك ألا تدخن هاأنذا أسجد لك ، أتوسل إليك لا ...(يسجد)

ون تشينغ: (درك فجأة ذنبه ، يرمي السيجارة) يا أمي!

(يدفع ون تشينغ باب الصالة الكبيرة ويخرج راكضاً ، وفي الوقت نفسه يغمى على زنغ هاو وينهار على الكنبة القريبة . تعود صو فانغ من باب غرفة التربية وهي تحمل العباءة القطنية)

صو فانغ: (مذعورة) زوج خالتي ، زوج خالتي(تساعده على الجلوس) زوج خالتي ما بك؟ زوج خالتي! استيقظ يا زوج خالتي!

زنغ هاو: (يفتح عينيه قليلاً ، بضعف) هو ، هل ذهب؟

صو فانغ: (مرتجفة) ذهب .

زنغ هاو: (يكز على أسنانه) ولد كهذا الولد لمَ لا(وقفة) يموت! لمَ لا(وقفة) يموت! (يرغب في النهوض ، يتصلب لسانه فجأة) لسَاني ... مخدر ... أنت...

صو فانغ: (بصوت مرتجف) زوج خالتي ، اجلس ، سوف أحضر لك شراب الجنسنغ يا زوج خالتي!

(تجحظ عيناه ويرتخي فمه ، يفقد القدرة على الكلام ، تخرج

صو راكضة)[صوت ون تساي من داخل غرفتها:(تبكي) جيانغ تاي! جيانغ تاي

صوت جيانغ تاي: (يصرخ) انقلعي، أنت!

صوت ون تساي: جيانغ تاي!]

(يفتح جيانغ تاي الباب، يخرج ويغلق الباب وراءه)

[**صوت ون تساي: افتح الباب، افتح الباب**]

جيانغ تاي: (يرى، على ضوء الشمعة المتراقص، زنغ هاو جالساً في حالة سبات، غاضباً) آ، أنت تجلس هنا!

زنغ هاو: (عينان جاحظتان وفم مرتخ)

جيانغ تاي: لا ترمقني بهذه النظرة، سوف أرحل غداً من كل بد، وإلا كنت سيئ الحظ في إعالة زوجتي العجوز!(متذمراً) ولكن قبل أن أرحل، صفي لي حسابي، حاسبني.

[صوت ون تساي:(تصرخ بإلحاح) افتح الباب، افتح الباب، مع من تتكلم؟ جيانغ تاي(تضرب الباب) افتح الباب، جيانغ تاي افتح الباب(يتخلل صراخها حديث جيانغ تاي التالي)]

جيانغ تاي: أنت مدين لي، وهذا يكفي! لم أتكلم معك

سابقاً بشكل مباشر، لا يمكن لك أن تستمر بالتظاهر بالحمق والصمم، من أجلك فقدت وظيفتي ومن أجلك خسرت أموالي. حبستني زوجتي الآن. تحملت الصيت السيئ، لم أرفع رأسي طوال عمري، هذا ما أنت مدين به لي. يكفي، ليس أمامك مفر! يكفي، وأنت تعدني مرة بعد مرة بيوم الخلاص. لا يمكن لك أن تبقى ساكتاً هكذا، وإلا ... نعم(يصرخ) هل ترى أم لا، أنا أدعى جيانغ تاي، أنا جيانغ تاي! تعرفني حق المعرفة! صهر كم! أنت سلبتني كل أموالي، زنغ هاو، زنغ هاو، هل تسمع أم لا؟

[**صوت ون تساي**: (مهددة) افتح الباب، افتح الباب(تنادي) أبي، أبي لا تهتم له، إنه يهذي، لقد فقد عقله. أبي، أبي، أبي! افتح الباب يا جيانغ تاي(تستمر بالمناداة أثناء كلام جيانغ) افتح الباب، أبي، أبي!]

جيانغ تاي: زنغ هاو، هل سترد لي الدين أم لا، سترده أم لا؟ أنا أعرف أن لديك مدخرات، ذهب، فضة، أسهم، سندات عقارية. (بصراحة) نعم، أقرضني ثلاثة آلاف يوان، وسوف أعمل في التجارة، وسأعيدها لك، رأس المال مع الفائدة، هل تسمعني أم لا؟ سوف أعيدها لك أضعافاً مضاعفة،

جيانغ تاي يتكلم معك، يا سيد زنغ، أنت تحتفظ بالكثير من المال؟ ولقد كبرت، عمرك ليس بالشيء القليل. لقد هيأت تابوتك ودهنته لأكثر من مائة مرة، وأنت ...

[**صوت ون تساي**: (تدق الباب) افتح الباب، افتح الباب]

(تدخل صه يي من غرفة التربية وبيدها دفتر حساب زنغ هاو وهي غاضبة، تلقي نظرة على زنغ هاو ثم تذهب إلى غرفة ون تساي وتفتح الباب)

جيانغ تاي: (لم يشعر بدخول صه يي، يتأمل زنغ هاو بهدوء، مشمئزاً وبصوت خافت) ما الذي يضحكك؟ لماذا تضحك مني؟(بعنف مفاجئ) كيف لم تمت حتى الآن؟ لِمَ لم تمت؟(يقف قبالة زنغ هاو كالمجنون، يهز كتفيه بينما هو في غيبوبة)

(تخرج ون تساي مسرعة وقد قرحت وجنتيها الدموع)

ون تساي: (تشد جيانغ تاي وبصوت مبحوح) أنت شيطان! أنت شيطان!

جيانغ تاي: (مرة يدفع ون تساي، ومرة يصرخ بانفعال) اتركيني، اتركيني، أريد أن أقتل أحدكم، أريد أن أقتله، ثم أقتل نفسي.

(تتمكن ون تساي من إدخال جيانغ إلى الغرفة وإغلاق الباب. تعود صو فانغ مسرعة وهي تحمل زبدية الشراب. تقف صه يي جانباً مكفهرة الوجه)

صـو فـانغ: (تقرب الزبدية من فمه) زوج خالتي، زوج خالتي، اشرب قليلاً يا زوج خالتي!

(يدخل تينغ من غرفة التربية)

تينـغ: ما به؟

صـو فـانغ: (تتخلى عن سقايته) جدك ليس بصحة جيدة، اتصل بالطبيب لو تاي

تينـغ: كيف؟

صـو فـانغ: جُن، زوج خالتي، زوج خالتي!

(يخرج تينغ من باب صالة الضيوف، تدخل في الوقت نفسه المربية من غرفة التربية مذعورة، مازالت ترتدي ملابسها)

المربيـة: (مذعورة) ما به سيدي؟ ماذا حدث لسيدي؟

صـو فـانغ: (بقلق) اسندي رأسه، وسوف أسقيه.

(قشع في بلعوم العجوز)

المربيـة: (تسنده) لا بأس عليك، ابصق. ... أسنانه مطبقة بشكل قوي، لا يمكن سقايته.

صـو فـانغ: زوج خالتي ، زوج خالتي!

(يدخل ون تشينغ من باب الصالة الكبيرة)

ون تشينغ: (يمشي إلى قبالة أبيه ، يتوسل إليه بتأنيب ضمير) أبي ، أبي ، أنا غلطان ، أنا غلطان .

(تخرج ون تساي من غرفتها مسرعة)

ون تساي: (تحتضن ساقي أبيها) بابا ، بابا ، أبي!

صـو فـانغ: يا زوج خالتي ، يا زوج خالتي!

المربيـة: سيدي ، سيدي!

صـه يي: (فجأة) لا تصرخوا ، ولا تنتظروا وصول الطبيب ، خذوه إلى المشفى .

صـو فـانغ: (برأس مرفوع) زوج خالتي لا يريد الذهاب إلى المشفى .

صـه يي: (إلى المربية) استدعي أحداً .

(تخرج المربية من باب الصالة الكبيرة)

ون تساي:(بعجلة) سوف أذهب إلى أسرة دو لاستعارة سيارتهم .

(تخرج ون تساي من باب الصالة)

صـو فـانغ: يا زوج خالتي ، يا زوج خالتي!

ون تشينغ: (ينشج) ما العمل؟ ما العمل؟

صه يي: إيه، ما العمل؟(بغضب) انظر(تمزق دفتر حساب زنغ أمامه) ما العمل؟

(تعود المربية بصحبة تشانغ شون. تنار صالة الضيوف بشكل كبير، يظهر ظل الإنسان القرد متحركاً على الستارة الورقية، يقترب ويبتعد بخطوات ثقيلة، يقترب باتجاه الجمهور)

صه يي: (تشير إلى تشانغ شون) ليس إلا هو؟

المربية: هناك آخر.

(يفتح الباب بسرعة، يظهر رجل بكين مغطى بشعر أسود أشبه بجبل يربض أمامهم، يدخل حافي القدمين وبخطى ثقيلة، يتبعه تينغ)

صه يي: (إلى تشانغ) احمله مباشرة إلى السيارة.

(يشير تشانغ إلى إنسان بكين بيده، ينظر إنسان بكين إلى تشانغ ثم يهم بحمل زنغ هاو)

صو فانغ: (تتمسك بزنغ هاو) لا يريد الذهاب إلى المشفى، عيناه تقولان ذلك.

(ينظر زنغ هاو بعينين حزينتين ولا يتكلم)

(يقف إنسان بكين يتأمل صو فانغ)

صه يي: (تشد يد صو وتشير إلى تشانغ) احمله(يهم تشانغ بحمله ...)

(يدفع رجل بكين تشانغ بخفة، يرفع زنغ هاو كالحَمَل ويمشي باتجاه باب الصالة)

تينغ: (يبكي) جدي، جدي.

صه يي: لا تبكِ.

ون تشينغ: (يتبعه) أبي، أبي، أنا غلطان.

(عند العتبة يتشبث زنغ هاو بيده الشاحبة بالباب)

تينغ: (يلتفت) ل ا يريد أن يغادر البيت، يتمسك بالباب بكل قوته ولا يتركه.

صه يي: اسحبه بقوة(يتقدم تشانغ إلى الأمام)

صو فانغ:(بحزن) إنه لا يريد مغادرة البيت. (يتردد الجميع)

صه يي: يجب الإسراع بإنقاذه، احمله بسرعة، تسمع كلامي أم كلامها، احمله.

(يدفع تشانغ رجل بكين إلى الأمام)

صـو فـانغ: يده! يده!

صـه يي: (إلى تينغ) افتح يده.

تينـغ: أنا خائف.

صـه يي: أحمق، أنا سأفعل ذلك.

ون تشينغ: أبي.

تينـغ: (بخوف) ما، يد جدي، يده!

(صه يي تفك يد العجوز بقوة)

ون تشينغ: (إلى صه بغضب) أنت شيطان! لقد جرحتِ يد أبي وسال الدم منها.

صـه يي: احمله! (بخبث وبصوت منخفض) يجب أن يباع البيت، هل تريده أن يموت في البيت؟

[يتبع الجميع رجل بكين، يتخلف عنهم ون تشينغ.

يسمع صوت البانغ زه.

أنين مخنوق لرجل سكران في الجوار.

يسمع صوت بائع الكعك الموحش.

يدخل ون تشينغ إلى غرفته. يأخذ معطفاً وقبعة بالية، ويضع

لوحة تحت إبطه ، يطلق زفرة طويلة ثم يغادر ببطء ، يتلمس الباب وهو خارج .

تهب الريح بأمطار الخريف إلى الداخل ، يفتح الباب تلقائياً ، يترك ضوء الشموع ظلالاً ثقيلة على الجدران ، تحرك الريح اللوحات الجدارية فتصدر صوتاً .

دقات صنج كئيبة وموحشة في مكان بعيد]

تنزل الستارة

الفصل الثالث

المشهد الأول

يوم من أيام أواخر الشهر التاسع ، وقد ارتدى الناس ألبستهم الشتوية . السماء في أواخر الخريف صافية ومهيبة . الوقت عند الغسق ، الحديقة ذاوية ، أسراب الغربان تحلق وتحط على ذرى أشجار الدردار التي أنهكتها السنون والأيام ، وقد بدت كلوحة مبرقعة بالحبر الصيني ، وهي تزقزق دون انقطاع . عندما تشتد الظلمة تعود الغربان إلى أعشاشها . يسمع صوت بوق عودة الجنود إلى الثكنة داخل سور المدينة . صوت بوق وحيد يأتي من مكان بعيد يُولِّد الوحشة في أعماق قلب المرء ، إنه أشبه بروح رقيقة تسترجع أيامها الخوالي ، يثير الحزن ، والأسى ، ومشبع بالحنين والأمل ، ويجعل القلب لا يتوقف عن الخفقان في مثل هذا الطقس البارد .

بدأ النهار يقصر شيئاً فشيئاً ، ما إن تدق السادسة مساء

حتى تكتحل سفوح الهضاب الغربية بلون الشمس الليلكي خلف البوابة الحجرية. وعند منتصف الليل تهب الرياح الغربية، فتسبب الفوضى في أشجار الحديقة اليابسة. في صباح اليوم التالي تنعكس باكراً أشعة الشمس على قمم البيوت القرميدية بشكل مدهش، والسماء صافية مشرقة، وطبقة جليد بيضاء تغطي الأرض، أما باحات البيوت وممرات المشاة في الشوارع فقد غطتها رياح الليلة الماضية بطبقة من أوراق الشجر الصفراء. الطقس بارد، وقد شكل نَفَسُ الناس سحابة ضباب بيضاء تطفو في فضاء الغرف الباردة، وحبيبات ماء متجمدة لا زالت تغطي الخضار التي اشتراها المرء تواً، وسوف يشعر الجالس دونما حركة في البيت بتجمد قدميه، وقد تراخى الذباب على النوافذ، أما تلك التي لم يقوَ جناحاها على حملها فقد سقطت على حواف النوافذ، جرت العادة في مثل هذا الطقس، على مر السنين، أن توقد النار في بيوت الأسر ذات الثروة والمال مثل أسرة زنغ في وقت باكر من الصباح، بحيث يتسلل الدفء إلى صالة الضيوف، كما توزع مزهريات الأقحوان على حواف النوافذ العريضة، تضم فيما تضم زهوراً خضراء وبيضاء وصفراء، وهي ذات أوراق عريضة وأخرى حادة، وجميعها من الأنواع المعروفة،

يرفع بعضها على قواعد ويترك بعضها على الأرض ، وقد نصبت على باب الصالة عريشة من خشب الصندل ، تدلى منها شلة من أزهار الأقحوان الاصطناعية الزرقاء ، توزعت جميعها بشكل يبهر الأبصار . يشرب سيد البيت الخمرة ويستمتع بمنظر الزهور عندما يكون سعيداً ، ويدعو بعضاً من معارفه وأصدقائه ، لتناول لحم من قدر يتصاعد البخار منه ، أو للعب رهان الكفين ، أو التباري بالشعر ، بينما هم يدفئون بطونهم بالخمرة في حالة من النشوة والزهو بهمة عالية ومتعة غير محدودة .

نكاد لا نجد أثراً لفرح ومتعة الأيام الخوالي في بيت زنغ هاو في هذه الأيام ، بعد أن ازدادت ظروف الأسرة صعوبة . أصيل أواخر الخريف هذا ... يأتي بعد مرور شهر على أحداث الفصل الثاني ... يبدو المكان مخرباً ، فأزهار الأقحوان الاصطناعية بهت لونها ، كما نُزعت إحدى درفات الباب واستخدمت في إصلاح النوافذ بشكل اعتباطي . أزهار الأقحوان البيضاء الموضوعة أمام باب الصالة اصفرت أوراقها وانحنت رؤوسها . كذلك ذبلت أزهار الأقحوان الصفراء الموضوعة في مزهرية على الطاولة النصف دائرية التي تستند إلى الجدار ، وسقطت بعض أوراقها . يمكن اعتبار أزهار الأقحوان الذابلة تلك دليلاً

على أسرة زنغ الآفلة. الكثير من الزينة تم إزالتها، لوحات الجبال والأنهار المعلقة على الجدران تحولت بطانتها إلى رمادية باهتة، ونزعت لفائفها السفلية باستثناء واحدة. ورق الجدران بدأ يتقشر.

العود سباعي الأوتار المعلق في الزاوية أزيح، ولا يعرف لمَ جرد من غلافه، والتول البرتقالي مازال متهدلاً في مكانه كمَا لو أنه مثقل بالهموم، وألوانه ليست ناصعة كفاية، وقد حاك العنكبوت شبكته ما بين التول والسقف. ورق نوافذ غرفة التربية مُزِّق بعضه ثم تم لصقه لأكثر من مرة حتى أتلف. كرسيان مربعان وضعا كيفما اتفق بجانب الحائط، واحد منها فارغ، وعلى الآخر سلة أدوات خياطة. زجاج النافذة المثمن لم يمسح منذ زمن، وقد تراكم الغبار عليه. على طاولة الأولياء الثمانية بقرب النافذة إبريق شاي وكأسان، وإلى جانب الطاولة كرسي بمسند.

حزمة من أشعة الشمس الغاربة تخللت زجاج النافذة وأضاءت بتلات الأقحوان على الطاولة، وفي الوقت نفسه انعكست على خيوط العنكبوت المحاكة على غطاء العود سباعي الأوتار، فيعتم تارة، ويبرق تارة كضوء القمر، ثم يعتم مرة أخرى.

نعيق غراب عجوز في الخارج. يسمع صوت عجلات عربة السقا بشكل رتيب «تشي نيو نيو تشي نيو نيو». غابت الشمس وراء الهضاب، وبدأت العتمة تلف المكان شيئاً فشيئاً.

عندما تفتح الستارة، نرى ون تساي جالسة على كرسي بمسند وهي تحيك صدرية من الصوف. ترتدي ثوباً واسعاً قديماً أسود اللون من وبر الجمل، وحذاءً مخملياً أسود. ملامحها قلقة، تتوقف بين الحين والآخر عن الحياكة، كما لو أنها تنتظر أحداً بهدوء. يتكئ جيانغ تاي على الكنبة القديمة، يقرأ في كتاب «فراسة ما إي»[1]. ويمسك بيده اليسار مرآة مكسورة بشرابة حمراء، يقلب الكتاب وينظر إلى وجهه في المرآة، ثم يعود للبحث في كتاب الفراسة المجلد بالخرز.

يرتدي جيانغ تاي ثوباً واسعاً قديماً من وبر الجمل، رمادياً ببقع صفراء، على أحد كميه أثر حرق سيجارة، كماه قصيران وعريضان بشكل لا يتناسب مع جسمه، وسروالاً غربي الطراز اسمر اللون، وحذاء قديماً متعدد الطبقات.

وقت طويل يمر.

---

(١) فراسة ما إي: كتاب في فن الفراسة، ويحكى أنه من تأليف الراهب ما إي في عهد أسرة سونغ، وقد عرف قديماً بهذا الاسم.

تدخل المربية من غرفة التربية تحمل حذاءً مُخاطاً حتى نصفه. شعرها أشيب، تبدو وقد زادت التجاعيد في وجهها. ولأنها تخاف الشيخوخة فهي تلبس سترة مبطنة رمادية، سروالاً واسعاً من الساتان الأزرق. عندما تراها قادمة تضع ون تساي أدوات الحياكة من يدها وتقف.

ون تساي: (تسأل بصوت واطئ وباهتمام) هل رحل؟

المربية: (تقف، تلتفت إلى النافذة وتصغي. تُغالب ون تساي حزنها وتنتظر الرد. تهز المربية رأسها إذ لا مناص أمامها من الإجابة) لم يرحل، ليس من المؤكد أن يرحل.

ون تساي: (تزفر وقد خاب أملها، تجلس وتستأنف عملها)

(يلتفت جيانغ تاي وينظر إلى المرأتين، تبدو عليه ملامح الاشمئزاز، يعود لمتابعة القراءة في «فراسة ما إي»)

المربية: (تطلق تنهيدة طويلة، تطوف بنظرها في أرجاء البيت، تمسح دموعها بطرف كمها، تمشي حتى الكرسي المربع وتجلس هناك حيث تستقبل ضوء الغسق، تكمل خياطتها للحذاء)

جيانغ تاي: (ترتجف ساقاه، يرتجف جسمه)

ون تساي: (ترفع رأسها وتنظر إلى جيانغ) بردت قدماك؟

جيانغ تاي: (بضيق) آ؟(يعود لمتابعة القراءة وتعود ون تساي لمتابعة حياكتها)

(فترة صمت طويلة)

ون تساي: (تلقي نظرة باتجاه جيانغ ، تعود وتحيك غرزتين ، لا تحتمل) تاي!

جيانغ تاي: (يصغي لها دون أن يرفع نظره عن الكتاب)

ون تساي: (بلطف) تاي ، ماذا تفعل؟

جيانغ تاي: (لا يهتم لها)

(تلقي المربية نظرة إلى جيانغ تاي ، ثم تلتفت ممتعضة)

ون تساي: (تضع نسيجها جانباً) تاي ، كم الساعة الآن؟

جيانغ تاي: (يتأمل وجهه في المرآة دون أن يلتفت) لا أعرف .

ون تساي: (تنظر إلى الخارج) تقارب الساعة السادسة؟

جيانغ تاي: (يضع المرآة ، يلتفت ، يشير بيده) انظري إلى الساعة!

ون تساي: الساعة معطلة .

جيانغ تاي: (يدور عينيه في محجريهما) أصلحوها!(يعود للنظر في المرآة)

ون تساي: (متخوفة) تاي ، ما رأيك أن تذهب إلى صالة الضيوف وترى ماذا يفعلون الآن؟

جيانغ تاي: (باضطراب) لا علاقة لي ، لا علاقة لي ، ليس لي علاقة ، أمور أسرتكم معقدة جداً ، وليس لدي الوسيلة لحلها .

ون تساي: (ترجوه) اذهب وألق نظرة ، ما رأيك؟ انظر ماذا ينوي أفراد أسرة دو فعله؟

جيانغ تاي: ماذا ينوون فعله؟ يريدون استرداد دينهم من أسرة زنغ ، إما المال ، وإما البيت ، وإما تابوت السيد زنغ ، التابوت الذي اهتم به لسنوات .

ون تساي: (بضعف) ولكن التابوت هو حياة أبي ، حياة أبي!

جيانغ تاي: مع أنك تعرفين أن تسوية هذا الأمر شيء مستحيل ، تطلبين مني تسويته؟

المربية: (كانت قد توقفت عن الخياطة وهي تصغي ، مقاطعة) لا عليكما ، لا يوجد مال ، والبيت للسكن ...

جيانغ تاي: والتابوت ...

ون تساي: يعز على أبي فقدانه!

جيانغ تاي: (يحدق بون تساي) فهمت؟(يعود إلى المرآة)

ون تساي: (تطأطئ رأسها وتتنهد، تمسح دموعها بمنديلها)

[فترة صمت طويلة. نعيق غربان في الخارج، صوت عجلات عربة السقا «تشي نيو نيو تشي نيو نيو»]

المربيـة: (تخيط النعل، وبين الحين والآخر تمرر الإبرة في شعرها الأبيض، ثم تبذل جهداً في غرز الإبرة في النعل. تتوقف لحظة، ترفع رأسها وتزفر) حان وقت عودتي، العودة! غداً أعود إلى بيتي، يا لعيد ميلاد سيدي العجوز، يمر هذا اليوم كئيباً حزيناً! آه، أين هذا من مساء ذلك اليوم ...(فجأة) عندما كان السيد يحتفل بعيد ميلاده، كانت تستضيف الأسرة فرقة مسرح غنائي، ويمتلئ البهو وصالة الضيوف بورد الأقحوان، وتقام مأدبة للجميع حيث يملأ المهنئون البيت، ففي كل زاوية وركن كعكة دراق العمر الطويل ومعكرونة العمر الطويل، وناموسية العمر الطويل الحمراء، أين هذا اليوم من تلك الأيام ...

ون تساي: (تنظر إلى جيانغ، تفكر بما آل إليه حالهم لدرجة أنها لم تعد تسمع كلام المربية ثم تقطع كلام المربية وبمعنويات عالية إلى جيانغ) تاي، ما الذي تفعله هنا؟

جيـانغ تاي: (يدور عينيه في محجريهما) وماذا تريدينني أن أفعل؟

ون تساي: (تبتسم على مضض) أقصد ما الذي تراه برؤية وجهك في المرآة؟

جيانغ تاي: (يقف وقد طفح الكيل) أرى أنفي! هل سمعت، أرى أنفي، أنفي، أنفي (يأخذ المرآة والكتاب ويذهب إلى أبعد كرسي ويجلس هناك)

ون تساي: لا داعي للشجار مرة أخرى، فحياة أبي في خطر هذه المرة.

جيانغ تاي: (يعتقد أن ون تساي تتعمد إزعاجه، تنتابه سورة من الغضب، وهو لا حيلة له، يشير إليها) انظري إلى نفسك! انظري إلى نفسك! انظري إلى نفسك! تلمحين في كل مرة تتكلمين فيها كما لو كنت أنا المسؤول عن مرض والدك في ذلك اليوم. من لا يعرف الآن أن السبب هو أخوك الأكبر وزوجته...

ون تساي: (مبررة تصرفها) ومن يشك في ذلك؟(تطأطئ رأسها، بلطف) ما أعنيه أن والدي عاد لتوه من المشفى وعليك أن تهنئه بعودته سالماً، اذهب إليه، ماذا قلت؟

جيانغ تاي: (مازال غاضباً) أنا لا أفهم، هو لا يرغب برؤيتي، فلماذا تطلبين مني رؤيته؟ لينسَ ذلك اليوم الذي كنت

سكراناً فيه ، لقد أخطأت فيما قلت وقد أسأت له ، لقد ذهبت إلى المشفى لزيارته الشهر الماضي ، لم ينظر إلي ، لا يريد رؤيتي ...

ون تساي: (مفسرة) آه ، إنه عجوز وحالته النفسية سيئة .

جيانغ تاي: وهل حالتي النفسية جيدة؟

ون تساي: (بصعوبة) ولكن أبي عاد إلى البيت الآن ، ويجب أن نطمئن على صحته ، ناهيك عن ...

جيانغ تاي: (تنقصه الحجة ، يمشي إلى أمام زوجته ويشير في وجهها) أنت ، أنت ، كيف تعلَّم فمُك الخداع الآن؟ كم أنت مخادعة؟ سوف أغرب عن وجهك ، ما رأيك؟

(يأخذ جيانغ تاي المرآة والكتاب ويخرج من باب غرفة التربية)

ون تساي: (بألم) جيانغ تاي!

المربية: إيه ، الحقي به ...

(يعود جيانغ تاي وهو يبحث في كل مكان بشكل اعتباطي)

جيانغ تاي: أين كتاب «فراسة ما إي»؟(يبحث عنه) آ ، هنا . (يخرج)

ون تساي: جيانغ تاي .

المربيـة: (متعاطفة معهما) آ، الحقي به، لا بأس ألا يراه أبوك. ربما رؤية أبوك لزوجك تذكره بون تشينغ الأمر الذي سوف يزعجه.

ون تساي: (معدومة الحيلة، تطلق زفرة طويلة) هل انتهيت من خياطة الحذاء؟

المربيـة: (تبتسم) بقي غرزتان(تضع الحذاء جانباً، تأخذ المرآة البرونزية القديمة القريبة منها، تفرك عينيها) الحذاء انتهى وصاحبه لم يأتِ.

ون تساي: (بصعوبة وبأمل) على كل إنسان أن يعود إلى بيته في نهاية المطاف.

المربيـة: (وقفة، تمسح دموعها بكميها، بحزن) إي، لكن ... الأمل!

ون تساي: (بوحشة) مربيتي، لا ترحلي غداً، تريثي لعدة أيام أخرى ريثما يعود أخي

المربيـة: (أفقدتها متاعب الشهر الماضي حمرة وجهها. تهز برأسها، تبلع ريقها الجاف من شدة التأثر. بمكابرة) لا، لا، أريد العودة، أريد العودة. (تجمع أدوات الخياطة في السلة، تفرك رأس أنفها المحمر) تطلبين مني أن انتظر، انتظرتِ لأكثر

من شهر، ولا أمل، أشعلت البخور، ولا علم ولا خبر، يا ولدي المسكين، كانت ملابسه خفيفة عندما غادر البيت ...(إلى الخارج) تشو، تشو!

ون تساي: تشو يساعد السيد يوان في حزم الحقائب.

المربية: (تُخرج صرة من السلة، داخلها زوج من الأحذية القطنية التي كانت قد انتهت من خياطتها منذ قليل) إذا، إذا عاد في يوم من الأيام، أخبريني وسوف أعود على جناح السرعة من القرية لرؤيته. (تغرورق عيناها بالدمع) تشو! ...(إلى ون تساي) وأخبريه أن مربيته قد خاطتها له، واطلبي منه أن يرسل لي رسالة. (ظل ابتسامة) غداً، إن لم أمت، سأذهب إليه حيثما كان لرؤيته. (لا تقوى على إخفاء حزنها)

ون تساي: (تقترب من المربية مواسية) لا عليك، هوني عنك! لا يمكن أن يكون في وضع سيئ هناك، (ظل ابتسامة) رجل في السابعة والثلاثين وسوف يصبح جدًّا، من يستطيع ...

المربية: (تغرورق عيناها بالدمع) مهما بلغ من العمر يبقى في نظري ولدي الصغير لم يغادر البيت منذ ولادته، حتى لباسه وطعامه لا يستطيع القيام بهما بمفرده ...(تمشي باتجاه صالة الضيوف منادية) تشو، تشو!

[**صوت تشو**: نعم يا جدتي]

المربيــة: ماذا تفعل عندك؟ مازلت لم تنم بعد، سوف نرحل غداً.

[**صوت تشو**: طلبت مني الآنسة صو إطعام الحمامة]

المربيــة: (تمشي باتجاه صالة الضيوف مثرثرة) آ، الآنسة صو هي الأخرى وحيدة مسكينة! أخاف أن يفسد لها الطعام، أي متعة في إطعام حمامة في مثل هذا الوقت! (تخرج)

ون تساي: (تتوجه بكلامها إلى المربية وإلى نفسها، بحسرة) يطعم الحمامة من يحبها!

(نعيق غربان في الخارج، ترتعش ون تساي خائفة، تهم بجمع أدوات الحياكة ...)

(يدخل جيانغ تاي من غرفة التربية مهموماً)

جيــانغ تاي: (وقد نسي غطرسته منذ قليل، يشبه غيمة في فصل ماطر، لا يتكلم، مكتئب، غضبان، حزين، يهز رأسه باستمرار) لا يوجد وسيلة، لا يوجد وسيلة، حقاً لا يوجد وسيلة! أينما ذهبت في هذا البيت الكبير لا تجد مكاناً دافئاً. حتى هنا لم توقد النار، تجمدت قدماي من شدة البرد. زوجة أخيك مهتمة بالنقود، وأبوك مهتم بتابوته. أنا لا أفهم معنى لمثل هذه الحياة، أي معنى لها؟

ون تساي: لا تشغل بالك بالحياة.

جيانغ تاي: مهموم وأريد أن أقوم بثورة!(يبدأ مازحاً ثم يتصاعد غضباً) أريد أن أقاومه، أريد أن أهزمه، أريد أن أتعلم من صديق روي تشن الثوري الهزيمة والمقاومة! الجميع يلعنونه ويلعنون ثورته، قلبوا حياته رأساً على عقب! لكن، لكن، لكن ...(يلمس جيبه، يسخر من نفسه، بمرارة) بقي في جيبي يوان واحد ...(يفتش في جيبه مندهشاً) لا، لا يوجد حتى يوان، ... (يفكر، بصوت منخفض) لأنظر إلى وجهي في المرآة!

ون تساي: جيانغ تاي، أنت ...

جيانغ تاي: (بمأساوية كما لو أنه فقد والديه، يطلق زفرة طويلة) كم سأكون سعيداً لو أستطيع اكتشاف بلسم مثل «بلسم الآلام»، كم سأكون سعيداً!

ون تساي: (بأسى) تاي، لا تترك العنان لخيالك مرة أخرى، أرح ذهنك، وإلا تحول إلى مرض عقلي.

جيانغ تاي: (كما لو أنه لم يسمع كلامها، بهمة عالية) قلت لك يا ون تساي، لقد تجولت في السوق صباح هذا اليوم وقد التقيت بقارئ بخت، قال لي قارئ البخت ذاك إن تقاسيم وجهي مع الأنف تدل على الحظ الجيد، وإنني سوف أصبح غنياً، وقد

أثنى على أنفي الطويل ، الممتلئ ، ويدل على الثراء . (بجدية) لقد نظرت إلى أنفي منذ لحظة وقد رأيته لا بأس به!(يخشى أن تدحض ون تساي كلامه) قارئ البخت هذا منطقي بعض الشيء ، وإلا كيف عرف ذكائي في أعمالي السابقة؟

ون تساي: ابحث لك عن صديق .

جيانغ تاي: (شبه مقتنع) نعم ، يجب أن أبحث عن صديق ، صديق غني من أصدقاء الدراسة(يرفع من معنوياته بنفسه) سوف أبحث عنه ، سوف أذهب وأبحث عنه بعد قليل ، سوف أذهب إلى الحظ بنفسي .

ون تساي: (مشجعة) جيانغ تاي ، عليك أن تمشي وسوف تصل بكل تأكيد .

جيانغ تاي: (بسرور) حقاً؟(فجأة) ون تساي ، لقد ذهبت لرؤية أبيك منذ قليل .

ون تساي: (مسرورة) وماذا قال لك؟

جيانغ تاي: (بمكر) أليس غريباً ، لم يكن في غرفته .

ون تساي: غادر غرفته مرة ثانية؟

جيانغ تاي: إي ، لا أعرف أين ...

(تدخل المربية من باب غرفة التربية)

المربيـة: (قلقة) يا سيدة تساي ، اذهبي لرؤية أبيك .

ون تساي: ماذا؟

المربيـة: آ، لقد ذهب السيد بمفرده يتكئ على عصاه إلى الغرفة الجانبية لرؤية التابوت .

ون تساي: آ ...

المربيـة: (بحزن) إنه يقف لوحده هناك قبالة التابوت ويذرف الدمع ...

جيـانغ تاي: وأين الآنسة صو؟

المربيـة: إنها تعد منقوع الأعشاب للسيدة .... سيدة تساي ، لا يمكن إعطاء التابوت إلى أسرة دو ، اذهبي وأقنعيه بالعودة أولاً .

ون تساي: (تنهمر دموعها فجأة) يا لأبي المسكين ، أنا ، أنا ذاهبة ...(تمشي باتجاه غرفة التربية)

جيـانغ تاي:(بسخرية) لا ، اذهبي أولاً لإقناع زوجة أخيك .

ون تساي:(بكل جدية) إنها تناقش أفراد أسرة دو كي تتخلص منه .

جيـانغ تاي: آ، إنها تناقش أسرة دو لإهدائهم التابوت .

حر كي ضميرها قليلاً كي لا تفكر في إبقاء البيت مرهوناً لأسرة دو ، ولتنتظر ريثما يتم بيعه بسعر جيد طالما أنه لم يؤخذ التابوت بعد . تذكري ، مصاريف علاج أبيك في المشفى التي دفعتها الآنسة صو . لقد اختبأت زوجة أخيك في الغرفة والتهمت وجبات الدجاج ، تتظاهر بالفقر ، الغدارة ، هل نسيت اليوم الذي دخل فيه أبوك المشفى كيف نهشت لحمه ، آ ، زوجة أخيك هذه ...

(تدخل صه يي من غرفة التربية)

المربية: (تسمع وقع خطوات ، تلتفت ، بصوت منخفض) جاءت السيدة!

جيانغ تاي: (يتنحى جانباً)

(صه يي مكفهرة الملامح ، مقطبة الحاجبين ، تتعمد الظهور بمظهر الحزين والمتألم . تلبس فستان تشيباو بنياً فاتحاً بأكمام مخمل سوداء موردة ، لمعة خفيفة عند المرفقين ، زر القبة لم يُزرر ، بزة رسمية سوداء زرقاء وحذاء من الجوخ)

ون تساي: (متخوفة) كيف هي الأوضاع يا زوجة أخي؟

صه يي: (تمشي بهدوء إلى جانب الكنبة)

(فترة صمت طويلة)

المربية: (باهتمام وتخوف) هل وافق أفراد أسرة دو أم لا؟

صه يي: (تجلس على الكنبة)

ون تساي: يا زوجة أخي، هل وافق أفراد أسرة ...

صه يي:(تنكب على مسند الكنبة، تبكي) أين ذهبت يا ون تشينغ؟ ذهبت وتركت لي هذه الأسرة الكبيرة، ومطلوب مني الحفاظ عليها، فماذا علي أن أفعل؟ لو كنتَ في البيت، كنتُ ناقشتك في الأمر، لكنك لست في البيت وتركت لي مواجهة هذه المشاكل العويصة، فكيف يمكن لامرأة أن تهتم بكل شيء.

(يقف جيانغ تاي جانباً ينظر بفتور)

المربية: (منفعلة) تكلمي يا سيدتي، هل وافقوا على تأجيل الموعد أم لا؟

صه يي: (تمسح دموعها وأنفها، تبلع ريقها، بتأنيب) فكروا قليلاً، أنشأت أسرة دو مصنعاً للغزل، العفاريت! انتظروا حتى انطبق على أسرتنا المثل القائل «عندما يتصدع الجدار يتداعى الناس لهدمه» وتريدونهم أن يوافقوا؟ هم لا يرون رجلاً في

أسرتنا(يشخر جيانغ ساخراً) ليس إلا العجائز والأطفال وهم يصطادون في الماء العكر، لا يتركون خياراً لك، فكيف يتخلون عنه؟

ون تساي: (بيأس) ما معنى ذلك؟ ألن يتخلوا عن تابوت أبي؟

صه يي: (تخرج منديلاً وتمسح عينيها الحمراوين، ثم تقطب حاجبيها فجأة) وهل بيدي حيلة أخرى؟ المال، لا نستطيع سحبه، البيت، هو للسكن، وأفواه تحتاج إلى من يطعمها. ثم إن رب أسرة دو يفكر بالتابوت منذ عدة سنوات، وهو إن لم يحصل عليه اليوم فلن ...

جيانغ تاي: (يستند إلى باب غرفته، بسخرية) إذاً اهدوه له.

المربية: (مذهولة) آ، نهديه له؟

صه يي: (لا تهتم إلى جيانغ تاي) وفوق ذلك فالأسرة تريده اليوم ...

ون تساي: (تشهق) اليوم؟

صه يي: إي، قالوا إن رب أسرتهم على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومن وصيته أن طلب ...

جيانغ تاي: (يكمل كلامها) طلب تابوت رب أسرة زنغ!

ون تساي: (مباشرة) وكيف سيوافق أبي على ذلك؟

المربيـة: (مقاطعة) حتى لو وافق، من يجرؤ على الحديث معه بهذا الشأن؟

ون تساي: (قلقة) ثم إنه خرج اليوم من المشفى.

المربيـة: (مقاطعة) واليوم هو عيد ميلاده أيضاً ...

صـه يي: (تنتحب فجأة) قلت ذلك! أين أنت يا ون تشينغ؟ ماذا علي أن أفعل الآن؟ علي أن أهتم بحماي وأن أعتني بالأسرة، وأنا في وضع لا أستطيع فيه أن أرضي الطرفين. قل يا ون تشينغ ماذا علي أن أفعل!

(يفتح باب غرفة التربية أثناء بكاء صه يي. ويدخل زنغ هاو يتكئ على عصاه مرفوع الرأس. يرتدي ثوباً حريرياً ربيعياً أزرق داكناً، وسترة جوخ سوداء، وحذاء لباد أسود. وجهه أصفر، حزين الملامح، ولكن من خلال مشيته يبدو وكأنه استعاد صحته. يحاول جاهداً أن يحافظ على كرامته، ولكن عينيه تعبران عما يبذله من جهد لمداراة يأسه وقنوطه، ومع ذلك فهو يرفض أن يقدم أحدهم يد المساعدة له.

(يقف الجميع. عندما يراه جيانغ تاي يتسلل بمحاذاة الحائط ويدخل إلى غرفته)

ون تساي: أبي! (تتقدم لمساعدته)

زنـغ هـاو: (يشير لها أن تتوقف ، يحاول التغلب على ضعف صوته) لا أريد المساعدة دعيني أمشي بمفردي . (يتجه إلى الكنبة)

صـه يي: (باهتمام شديد) أبي ، اسمح لي أن أساعدك في العودة إلى غرفتك . **زنـغ هـاو:** (يجلس على الكنبة ، إلى الجميع) اجلسوا ، بلا تكلف . (ينظر حوله) أين جيانغ تاي؟

ون تساي: إنه ...(تلمع في ذهنها فكرة) إنه في الغرفة(مكسوفة) ينتظر مجيئك حتى يعتذر منك .

زنـغ هـاو: هل هناك أخبار عن ولدنا الكبير؟

صـه يي: (بحزن) قال أحدهم إنه التقى به في شارع جينان ، وآخر قال إنه رآه في فندق صغير في تيان جينغ ...

ون تساي: لا أثر له في كل تلك الأماكن .

زنـغ هـاو: لا داعي للبحث عنه إذاً .

ون تساي: (تواسي العجوز بمعنويات عالية) لقد تاب أخي هذه المرة ، وربما وجد عملاً يقوم به ...

زنـغ هـاو: (يهز رأسه) «لا يكترث الولد بأبيه» ، هذا الولد ليس عنده طموح ، في يوم ما سوف ...(لا يرغب في الحديث عنه ، إلى ون تساي) استدعي جيانغ تاي .

ون تساي: (تمشي خطوة، تشعر بتأنيب ضمير، تلتفت إلى أبيها) أبي، أنا، نحن خجلون منك، حقاً لم ...

زنغ هاو: إي، ناده، ولا داعي لهذا الكلام. (إلى صه) ناد روي تشن وتينغ.

(تقف ون تساي أمام باب غرفتها وتنادي. تخرج صه من باب غرفة التربية)

ون تساي: جيانغ تاي! جيانغ ...

(يخرج جيانغ بهدوء)

جيانغ تاي: (بمجرد أن يرى زنغ هاو يتوجه إليه بكسوف) أبي، أنت، أنت ...

زنغ هاو: (يشير إليه) اجلس، اجلس(يجلس جيانغ، ثم إلى المربية باهتمام) أخبري الآنسة صو وقد عادت لتوها من المشفى ألا ترهق نفسها في إعداد الطعام ولتسترح أولاً.

(تخرج المربية من باب صالة الضيوف)

ون تساي: (تومئ إلى جيانغ تاي، تنتظر حتى تغادر المربية ثم بصوت منخفض) ألم تعتذر من أبي بعد!

جيانغ تاي: (يتردد في الوقوف) أنا، أنا ...

زنـغ هـاو: (يشير بيده) الذي فات مات ولا داعي لذكره.

(يجلس جيانغ. تدخل صه يي يتبعها تينغ وروي تشن من باب غرفة التربية ترتدي روي تشن ثوباً مبطناً بورود حمراء صغيرة على خلفية رمادية، ويرتدي تينغ سترة زرقاء واسعة)

زنـغ هـاو: (يشير إلى الكراسي ويطلب من الجميع الجلوس، ماعدا روي التي تقف وراء ون تساي. يتأمل الجميع بأسى) ما عدا ولدنا الكبير، فجميع أفراد الأسرة هنا. (يتأمل البيت، يسعل سعالاً خفيفاً) ورثت هذا البيت عن جدكم جينغ ده غونغ، وهو بيت ذي حسب ونسب وعلم على مر العصور، الأباء رحماء بأبنائهم والأبناء بارون بآبائهم، ليس فيهم من يتكلم كلاماً لا فائدة منه. أما الآن وقد خلف الأسرة خلف غير بار...

صـه يي: (متألمة قليلاً) أبي!...

(ملامح الإجلال بادية على الجميع، يخفض الجميع رؤوسهم)

زنـغ هـاو: خلف أساء لأسرة زنغ، ينقصهم حسن الفهم والإدراك، متخاذلون، غير بارين بوالديهم، لم يحافظوا على إرث أسلافهم...

جيـانغ تـاي: (يبدأ بالتذمر)

ون تساي: (ترفع رأسها وبخجل) أبي، أبي، أنت ...

زنغ هاو: هذا ما أُعتذرُ لأجدادي عنه، إنني خجل من ملاقاة جدنا السيد جينغ ده غونغ! (يسعل، تربت روي تشن على ظهره)

جيانغ تاي: (يتململ ضجراً، يتأوه، يتمتم) آه، آه، أي مسرحية تعرض في مثل هذا الوقت! يا لها من مسرحية!

ون تساي: (بصوت منخفض) جننت مرة أخرى!

زنغ هاو: (يبعد روي تشن بلطف) دعيني. (يلتفت إلى الجميع) أنا لا ألومكم، ثم ما فائدة اللوم. (تبدو عليه ملامح المسكنة، ولكن بصوت حاقد) أنتم مجموعة لا خير فيها، مجموعة ثرثارين. (بشجاعة) وأنت أيضاً يا جيانغ تاي ...

(يهم جيانغ تاي بالرد)

ون تساي: (تداري غضبه) تاي!

(يهدأ جيانغ ويصمت)

زنغ هاو: (بعتب وتذمر) طوال اليوم تفكر بالثروة، تحلم طوال اليوم، لا تفهم الحياة ولا الناس، مثل ولدنا الكبير، يقرأ دون فائدة، لا يعرف ما الضار بكم، أنتما الاثنان ...(يسعل، يضرب على ركبتيه)

ون تساي: آه ، آه!

جيانغ تاي: (لا خيار أمامه إلا أن يردد) لا داعي لهذا الكلام ، لا داعي لهذا الكلام!

زنغ هاو: صه يي ، أنت أم ، وحماة منذ سنتين ، وفوق هذا وذاك سوف تصبحين جدة(ناقماً على نفسه) الحق ليس عليك ، الحق علي ، والخطأ لم يبدأ اليوم . (مدارياً حزنه) بعد بيع البيت ، لن تترددوا في معاملتي كالميت ، كما لو لم أكن موجوداً ، أنا ، أنا ...(تنهمر دموعه فجأة)

ون تساي: (لا تحتمل فتصرخ) أبي ، أبي ...

صه يي:(وقد تغيرت ملامحها) أبي ، أنا لم أفهم كلامك .

زنغ هاو: (لم يتوقع ذلك) أنت ، أنت ...

ون تساي: (غاضبة) يا زوجة أخي ، أنت تظلمين أبي .

صه يي: (تسأل) من يظلم أبيك؟

ون تساي: (بشجاعة) لا يمكن للمرء أن يكون ناكراً للمعروف إلى هذه الدرجة .

صه يي: من ناكر للمعروف؟ من ناكر للمعروف؟ الرعد في السماء ، والأب على الأرض! أنا أسألك يا أختي الصغيرة ، من؟ من؟

تينـغ: (متألماً) ما!

ون تساي: (بشجاعة، ترتجف من شدة الغضب) أنت، لم تتركي لأبي طريقاً يسلكه.

صـه يي: (لا خيار أمامها) لا تصرخي في وجه زوجة أخيك أيتها الأخت الصغيرة

ون تساي: لم تتركي له خياراً، حتى تابوته تسارعين في بيعه، لقد قلتِ لأبي ...

زنـغ هـاو: (يطلب من ون تساي أن تصمت) ون تساي!

صـه يي: (ساخرة) صحيح، أنا من ظلمته، وأكلت (تتصاعد) وشربت، وعشت طوال اليوم عالة عليه. لأربع سنوات وأنا أتحمل صهرنا ...

تينـغ: (يقترب ناصحاً لها، بقلق) ما، دعك من هذا، ... ما ... ما ...

جيـانغ تاي: (ينفجر غاضباً) كلام فارغ، لقد دفعت أموالي!

زنـغ هـاو: (يلهث غاضباً، يستوقف الجميع) لا تتشاجروا!

صـه يي: (في الوقت ذاته) دفعت أموالك؟ آه، أنت ...

زنـغ هـاو: (يدق بقدمه الأرض صارخاً) صه يي، كفي عن الشجار! (يولول فجأة) أنا، سوف أموت!

(يصمت الجميع، يسمع نشيج صه يي فقط)

(يحل الظلام، تدخل صو فانغ من باب صالة الضيوف بهدوء. ترتدي تشيباو أصفر فاتح، وجهها أكثر نحفاً مما كان عليه قبل شهر، ولأن عينيها كبيرتان وبراقتان يبدو وجهها هادئاً مطمئناً، قوياً ولطيفاً. تحمل لمبة غاز بيدها اليسرى، ولوحة تحت إبطها الأيمن. تسرع روي تشن وتأخذ اللمبة منها، ثم تهمس في أذنها. تهز صو فانغ رأسها بهدوء، وبحزن تتأمل الوجوه المكفهرة تضع اللوحة في الخابية الخزفية وتغادر عبر باب غرفة التربية. روي تشن تتأمل صو وهي خارجة.

زنغ هاو: (يزفر) أنتم مجموعة لا نفع فيها! ما الذي بقي حتى تتشاجرون من أجله؟

روي تشن: سيدي، هلّا عدت إلى غرفتك واسترحت؟

زنغ هاو: (متأثراً) ما الذي يجعل روي تشن وتينغ يتشاجران؟(بشعور عميق) لا يخفى على أحد أنهما لم يقيما معاً منذ زمن. صه يي، اذهبي وسوي الموضوع مع أسرة دو، دعيهم ...(بصعوبة) يأخذون التابوت(بيأس) ويتخلون عن البيت.

ون تساي: أبي!

زنـغ هـاو: أخبرتني صو فانغ منذ قليل بوجهة نظر أسرة دو .

ون تساي: ومن طلب من صو أن تخبرك بذلك؟

صـه يي: (ترفع رأسها) أنا .

زنـغ هـاو: لا أريد النقاش في هذا الموضوع مرة أخرى!

جيـانغ تاي: (بتردد) أنت من يتخلى لهم عنه؟

زنـغ هـاو: (يومئ برأسه)

صـه يي: (تتردد ثم لا تلبث أن تتكلم) ولكن أسرة دو تريد التابوت اليوم .

زنـغ هـاو: لا بأس ، لا بأس ، ليأخذوه ، ولينم فيه سعيد الحظ ، (تهم صه يي لنقل الخبر مباشرة إلا أن زنغ هاو يلتفت إلى جيانغ تاي بشكل غير متوقع) جيانغ تاي ، ادعهم أن يحملوه بأسرع ما يمكن ، ليأخذوه الآن!(بألم) أنا ، لا أريد رؤية هذا الشيء المنحوس هنا غداً!

(يطأطئ زنغ هاو رأسه صامتاً ، تقف صه يي دون حراك)

جيـانغ تاي: (متعاطف مع العجوز بشكل عفوي) أبي!(يمشي خطوتين ثم يقف)

زنـغ هـاو: اذهب ، اذهب واطلب منهم ذلك!

جيـانغ تـاي: (يلتفت ، يمشي إلى أمام زنغ هاو ، وبنية طيبة) أبي ، ما الصعوبة في هذا الأمر؟ الميتة واحدة ، فهل يختلف الموضوع إن نام المرء في تابوت مدهون مئات المرات؟(يبدأ متعاطفاً معه ثم يتخلى عن ذلك شيئاً فشيئاً ، تتغير لهجته ، يسترسل في الحديث إلى زنغ هاو) لا ينبغي أن تهتم لمثل هذه الأمور على سبيل المثال ، لو مُتَّ هـذا اليوم ونمت في تابوت مدهون ، فهل يغير هذا من الموضوع شيئاً؟

ون تساي: (تناديه كي لا يسترسل في الحديث) جيانغ تاي!

جيـانغ تاي: (يلتفت إلى ون تساي متذمراً) لا تصرخي! (يعود إلى زنغ هاو ، بلطف وجدية) وإذا لم تنم في تابوت فهل سيغير ذلك من الأمر شيئاً؟(يشير بيديه) كل ذلك نوع من العادة! وجهة نظر!(يزداد سعادة شيئاً فشيئاً ينسى مشاعر العطف والعزاء ، يهتز طرباً وهو يتحدث إلى زنغ هاو) على سبيل المثال(يجلس على الكنبة) جلستي هكذا جيدة(يضع قدميه على مسند كرسي بحيوية) وجلستي هذه غير جيدة؟(إلى صه) زوجة ابنكم على سبيل المثال(ينتشي بكلامه ، يبدو كأنه ثمل وقد نسي وفاقه منذ قليل ، يشير إليها) إن كنت ترتدين ملابسك فأنت جميلة ، وإن كنت بلا ملابس فلست جميلة؟

صه يي: صهري!

جيانغ تاي: (يواصل كلامه) هذا كله لا أهمية له، غير مهم! ليست إلا وجهات نظر نوع من العادة.

زنغ هاو: (مقاطعاً) جيانغ تاي!

جيانغ تاي: (لا يسمح لأحد بمقاطعته، يسترسل أكثر فأكثر) أنا على سبيل المثال (يجلس) أنا ميت(يلتفت إلى ون تساي، لا أحد يعرف هل هو جاد أو مازح) احرقي جثتي، احرقيها حتى النهاية، احرقي حتى العظام وارمها في البحر، ادفنيها في الماء! سعيد جداً من لا يجد قبراً يواريه!(كمن يلقي محاضرة) هذه أيضاً وجهة نظر ليس إلا، ويمكن أن تتحول إلى نوع من العادة إنما، أبي، أنت في هذا اليوم ...

زنغ هاو: (لا يحتمل، يوقفه بصوت عال) جيانغ تاي! إن رغبتك في طريقة موتك ودفنك شأن خاص. (بحزن) لقد تحسنت صحتي منذ لحظة، ومن المفروض اليوم هو عيد ميلادي، فلا داعي لمثل هذا الكلام الآن ...

جيانغ تاي: (بلطف، لا يعتبر فعله عقوقاً) حسناً، حسناً، حسناً، أنت لا تحبذ هذا لا عليك، لا عليك! لكل إنسان هدف ... في الواقع أنا أعرف أنني كثير الكلام وعندما تكلمت منذ قليل كان

قلبي يتمتم « لا تتكلم، لا تتكلم» (بأسف) ولكن فمي لم يتمالك نفسه ...

صه يي: (تظاهر بالكآبة) أما صهرنا، فليتوقف عن هذا(تقف) وأما أبي، فأنا، أنا ...(لا تقوى على الكلام، تمسح عينيها) هل أتحدث إلى أسرة دو حسب أوامرك؟

زنغ هاو: (بيأس) حسناً، ليس هناك مخرج آخر.

صه يي: حاضرة(تمشي خطوتان)

ون تساي: (بحزن) أبي!

جيانغ تاي: (يقف فجأة) لا، انتظروا، انتظروا.

(يدخل إلى غرفته مسرعاً. تتوقف صه يي أيضاً)

زنغ هاو: (حائراً) ماذا هناك أيضاً؟

(يدخل تشانغ شون من صالة الضيوف)

تشانغ شون: رسول من أسرة دو يقول إن العراف رأى أن يأخذوا التابوت بعد منتصف ليل هذا اليوم، وقبل الهزيع الأخير منه، وهم يسألون السيدة ...

ون تساي: أنت ...

(يعود جيانغ تاي وهو يضع قبعة جوخ قديمة ويمسك بعصا)

جيانغ تاي: (إلى تشانغ ، مفعماً بالفرح) قل لرسول أسرة دو ابن الزنا ذاك أن ينتظر في صالة الضيوف وقل له سوف نحضر النقود حالاً ، وسوف يبقى تابوت السيد في البيت حطباً للوقود!

ون تساي: ماذا ...

جيانغ تاي: (إلى زنغ هاو بحرارة) أبي ، انتظر لحظة ، سوف أذهب للقاء صديق(إلى ون تساي) تشانغ دينغ تشاي يعمل رئيساً للأمن العام ، ولا بد أن يكون لديه الحل . (إلى زنغ هاو بكثير من الثقة) تربطني بصديقي القديم هذا علاقة جيدة ، وهذه القضية البسيطة لا تشكل له شيئاً . (يعدد) أولاً ، يمكن له أن يتفاوض مع أسرة دو مباشرة ويطلب منهم عدم إثارة القلاقل ، ثانياً ، إن لم تسمع أسرة دو الكلام فسيعتبر ذلك تجاوزاً له . (باحتقار) ثم إن مبلغاً كهذا هو مبلغ تافه بالنسبة له .

ون تساي:(لا تصدق ما تسمع) تاي ، هل هذا ممكن حقاً؟

جيانغ تاي: (يدق بالعصا) طبعاً ، طبعاً ، أبي ، أنا ذاهب . (إلى صه يي بزهو) أنا أضمن ما يدور برأسك وسوف يتحقق!(يمشي)

صه يي: (إثارة مثل هذا الموضوع يسبب لها الدوار) ولكن يا أبي ، هذا الموضوع ...

ون تساي: (فرحة) أبي ...

(بعد أن وصل جيانغ تاي إلى عتبة صالة الضيوف يعود مرة ثانية)

جيانغ تاي: (يمد يده إلى ون تساي بعجلة) أنا لا أحمل نقوداً.

ون تساي: (تخرج من جيبها لفافة) خذ!

جيانغ تاي: (ينظر إليها) ثلاثون!

(يغادر جيانغ تاي عبر صالة الضيوف)

زنغ هاو: (يدور رأسه وتزوغ عيناه من شدة الاستثارة، يتنفس الصعداء) كيف سيحل جيانغ تاي هذه المشكلة؟

ون تساي: (تمدح زوجها، تبذل قصارى جهدها خشية ألا يصدق الآخرون) أبي، اطمئن، ولا تهتم لما يقوله في الأيام العادية. قال لديه الوسيلة، إذاً لديه الوسيلة.

زنغ هاو: (بين الشك واليقين) آ!

صه يي: (غير مصدقة) آ، أرى أنه ...(لا تقدر على كبح نفسها، تلتفت إلى زنغ هاو ثم تضحك بشكل غير طبيعي) حسناً يا أبي، قضية التابوت هذه ...

زنغ هاو: (كمن يواسي نفسه بالأمل، يزفر) حسناً «حصان ميت يعالج حصاناً حياً» لنهتم بفكرته.

تشانغ شون: (بفرح) إنما ماذا أقول للرسول يا سيدتي ...

صـه يي: (تقاوم غضبها، تكفهر ملامحها ثم بغضب) ذاهبة، ماذا علي أن أفعل!

(تغادر باتجاه صالة الضيوف وهي ترتعد من الغضب)

زنـغ هـاو: (يستوقفها) صه يي، تكلمي مع رسول أسرة دو بلطف، اطلبي منه وأياً كانت الظروف أن ينتظروا قليلاً.

صـه يي: إي!

(تخرج يتبعها تشانغ شون)

ون تساي: (الفرحة تغمر وجهها) روي تشن، انظري كم هو مجنون زوج عمتك، انتظر حتى هذه اللحظة ...

روي تشن: (تضمر أمراً، تجيب) إي، عمتي.

زنـغ هـاو: (يعاوده الأمل مرة أخرى، يؤكد كلام ون تساي) آه، لو بقي التابوت فشيء رائع! (يقع نظره على تينغ) هل ترى أملاً في هذا يا تينغ؟

تينـغ: (يجيب) نعم يا أبي.

زنـغ هـاو: (يهز رأسه) أرغب في تغيير حظ هذه الأسرة منذ هذه اللحظة، ... إي، لا بد من ذلك! (يحاول الوقوف، تسارع روي تشن لمساعدته) هل أنت بخير الآن؟

روي تشن: أنا بخير يا سيدي .

زنـغ هـاو: (يقف ، يتأمل روي ، متأثراً) أنت أيضاً يجب أن تصبحي أماً بأسرع ما يمكن!

(تشير روي إلى تينغ تدعوه لمساعدة جده ، يقترب تينغ بهدوء)

زنـغ هـاو: (ينظر إلى حفيده وزوجته ، يحتضنهما فجأة يحدوه الأمـل) أرى أنكما تكملان أحدكما الآخر ، وسوف تتمسكان بحسب ونسب العائلة في المستقبل .

ون تساي: (تشير إلى تينغ تحثه على الإجابة) تينغ!

تينـغ: (يجيب وهو ينظر إلى روي) نعم جدي .

زنـغ هـاو: (يتكلم إلى الجيل الثالث من أسرة زنغ والأمل يحدوه) سأحتفظ بالتابوت هذه المرة ، ولن أبيع البيت أيضاً ، وفي ربيع السنة القادمة سوف أراكم وأنتم تركضون هنا وهناك ، وسوف أحمل أولادكم على ظهري!(يمسح عينيه) أه كل ما أرجوه من أجدادي أن أظل بصحة جيدة ، وتقدمون لي فروض الطاعة بنية صادقة . (يمشي باتجاه غرفة التربية)

ون تساي: (تسند زنغ هاو ، بفرح) صحيح ، في ربيع السنة القادمة ، تكون صحة أبي جيدة ، وتنجب روي تشن حفيداً لابنك ، ويكون أخي قد ...

(يفتح باب غرفة التربية وتدخل صو فانغ. تبدو مثل وردة زُرِعت لتوها، تمسك بيدها المبللة باقة من ورود الأقحوان المتبقية)

صو فانغ: (تمسح شعرها بخفة، بلطف) هيا لتستريح في غرفتك يا زوج خالتي، غرفتك مرتبة.

زنغ هاو: (بفرح) حسناً، حسناً(يمشي بينما يهز رأسه) حسناً، لننتظر ربيع السنة القادمة ...، ربيع السنة القادمة يا روي تشن، السنة القادمة ...

(تسنده روي تشن حتى باب غرفة التربية، تنظر إلى صو فانغ وتشير لها بخفة إلى تينغ. تفهم صو الإشارة فتهز رأسها، تمسك صو بيد زنغ هاو، تسنده وتخرج به، تتبعهما ون تساي)

(يبقى تينغ واقفاً في وسط المكان. تتأمله روي تشن ثم تعود أدراجها بهدوء)

روي تشن: (بصوت منخفض) تينغ!

تينغ: (لا يجرؤ على النظر في وجهها، بأسى) هل سترحلين غداً؟

روي تشن: (هي الأخرى لا تجرؤ على النظر في وجهه، بصوت منخفض ومخنوق، ببطء وتصميم) إي.

تينـغ: سترحلين مع أسرة يوان؟

روي تشن: إي ، طريقنا واحدة .

تينـغ: (يتلفت في جميع الاتجاهات ، يخرج شيئاً من جيبه) لقد كتبت لك الوثيقة

روي تشن: (تحدق به) آ .

تينـغ: (يخرج ورقة ، يتلفت حوله ثم يقرأ بصوت منخفض) «ورقة طلاق تينغ وروي تشن ، تزوجنا في سن مبكر ولم نتفق ، ويصعب علينا الحياة معاً ، يعتبر الاثنان مطلقان اعتباراً من اليوم ...»

روي تشن: (بحزن) توقف لا تكمل .

تينـغ: (يتردد قليلاً إلا أنه يشعر بضرورة إكمال الإجراءات ، يتلعثم) والخاتم والتوقيع ...

روي تشن: سوف نكمل ذلك في الداخل .

تينـغ: حسناً ، حسناً .

روي تشن: (بحزن وألم) تينغ ، أنا آسفة لأنني طلبت منك كتابة هذا التصريح .

تينـغ: (لا يقوى على الكلام ، لم يعز عليه الموضوع كما هو اليوم) لا ، لقد تحملت الكثير من المتاعب خلال السنتين اللتين أقمت فيهما في هذا البيت (فجأة) هل أخبرتِ خالتي صو أنك لا تريدين الجنين؟

روي تشن: (لا ترغب في ذكر ذلك) إي، لقد أعدت له ثياباً، أفكر بإعادتها لها. ما رأيك؟

تينـغ: أعتقد أنه من الأفضل أن يعرف ذلك أحد أفراد الأسرة.

روي تشن: (باهتمام) تينغ، ماذا ستفعل بعد رحيلي؟

تينـغ: (يهز رأسه) لا أعرف. (بوحشة) فأنا لن أستطيع الالتحاق بالمدرسة.

روي تشن: (متعاطفة معه) لا تفقد الأمل.

تينـغ: لا.

روي تشن: (مواسية) فيما بعد يمكن لنا أن نتبادل الرسائل.

تينـغ: حسناً. (تنهمر دموعه)

[**تنادي يوان من الخارج:** «روي تشن»]

روي تشن: (بألم) لا تحزن، المشاكل الكثيرة تكسب المرء تجربة وقدرة على الفهم.

تينـغ: الفهم شيء صعب!

(تدخل يوان من باب صالة الضيوف فرحة مصفِّرة. تلبس تنورة صوفية من ثلاثة ألوان هي الرمادي والأزرق والأبيض، يصل طولها حتى الركبة، وجلباباً هندياً قصيراً أحمر اللون

بقبعة، ساقاها عاريتان، تلبس حذاءً رياضياً أبيض اللون. تبدو أنها كانت مشغولة بترتيب بعض الأشياء، شعرها غير مرتب، خداها حمراوان، مفعمة بالنشاط والحيوية. تحمل قفصاً بداخله الحمامة «الوحيدة» بيد، وطائرة ورق السمكة الذهبية بيدها الثانية وقد مُزِقت في عدة أماكن، تضع تحت إبطها رسماً من الورق المقوى لـ«إنسان بكين» يبلغ طوله ٧٠ سم تقريباً)

يوان يوان: (تصرخ) روي تشن، لقد بحث أبي عنك طوال اليوم، وهو يسألك عن متاعك ...

روي تشن: (توقفها مبتسمة) تكلمي بصوت منخفض من فضلك، ممكن؟

يوان يوان: (باهتمام وفرح، تدرك الموقف فجأة، تتأمل كليهما، تمد لسانها، تحبس صوتها، لا تتمالك نفسها، تبدو مضحكة) أبي ... يسأل ... هل أعددت متاعكما ... أم لا؟

روي تشن: (تضحك من طريقة تعبيرها) أعددته.

يوان يوان: (تستمر بنفس الطريقة) يقول أبي ... ربما ... نرافقكم مسافة نصف الطريق ... وهو يسأل أيضاً ...(تطلق زفرة كبيرة ثم تعود لصوتها الطبيعي) أكاد أختنق. تعالي معي، يريد أبي أن يطرح عليك كومة من الأسئلة.

روي تشن: (بارتياح) حسناً، هيا بنا.

يوان يوان: (تقترب من تينغ بهيبة ووقار) تينغ، أبوك ليس هنا، (ترفع بيدها طائرة «السمكة الذهبية» الممزقة) أعط هذه الطائرة لأمك! (تضعها على طرف الطاولة، ترفع القفص) أعط هذه الحمامة إلى الآنسة صو! (تضعه فوق الطاولة، ترفع النموذج الورقي لإنسان بكين ضاحكة) وإنسان بكين هذا أقدمه لك للذكرى، هل تريده أم لا؟

تينـغ: (يبدو أنه نسي ما كان يكنه لها من مشاعر منذ شهر مضى، يهز رأسه) حسناً.

يوان يوان: (تغمز بعينها، تبدو أنها تغيرت هي الأخرى) سوف نرحل غداً عند الفجر، ضع كل ما كان بيننا وراء هذا الباب(تشير إلى باب صالة الضيوف، إلى روي تشن) هيا بنا يا روي تشن.

(تأخذ يوان النموذج الورقي بيد، وتضع يدها الأخرى على ظهر روي، تمشيان باتجاه باب صالة الضيوف. تدخل صه بي من الباب نفسه، تلتقي بهما وجهاً لوجه. تنظر روي تشن إلى حماتها بحيرة، بينما تستعجلها يوان بقولها «هيا»، تخرجان. يراقب تينغ خروجهما ثم يطلق زفرة خفيفة)

صـه يي: (تلتفت إلى ابنها ثم تقترب منه) لقد تكرر غياب روي تشن عن البيت في الآونة الأخيرة، صار لها أصدقاء، هل تعرف أين وماذا تفعل؟

تينـغ: (ينظر إلى أمه ثم يهز رأسه) لا أعرف.

صـه يي: (ترتاب في قدرة ابنها على الفهم ولكن ما باليد حيلة، تزفر متذمرة) آه، زوجتك لك، وابنك! أنا لا أحتمل الغضب. (فجأة) أين هم؟

تينـغ: ذهبوا إلى غرفة جدي.

صـه يي: (تشكو إليه) تينغ، لقد رأيت منذ لحظة كيف ظلموا أمك.

تينـغ: (يتأمل أمه ثم يطأطئ رأسه)

صـه يي: (تخرج محرمة) أمك مظلومة، أبوك تركنا ورحل، وأمك تحتمل غضبهم طوال اليوم، وهي تفعل ذلك من أجلكم(تمسح دموعها)

تينـغ: أمي، لا تبكي.

صـه يي: (تربت على تينغ) يجب أن تخبر أمك بكل شيء!(معاتبة) ألم تلاحظ أمك أن بطن روي تشن منتفخ منذ

الشهر الماضي ، وأنتما لم تخبراني حتى الآن (تربت عليه) ماذا تخفيان!(باهتمام) لقد طلبت من روي تشن أن تشرب دواء مثبتاً للحمل ، هل شربته أم لا؟

تينـغ: لا .

صـه يي: لا ، قلت أول أمس أنني أحضرت لها وصفة الطبيب لو تاي .

تينـغ: (بألم وضجر) لم تشربه .

صـه يي: (تتغير ملامحها) لماذا لم تشربه؟(بقوة) نادها كي تشربه ، أريدها أن تشربه ، قل لي أنها لا تسمع الكلام ، انظر كيف سأجعلها تشربه! إن كانت تشعر أنها ليست فرداً من أسرة زنغ فإن اللحم الذي في بطنها هو من أسرة زنغ . يتلقى الجنين الذي في بطنها كل حاجاته منها ، لذا كلما تكلمت كلما كان أفضل للجنين . (بصوت منخفض) تينغ ، لا تكن غبياً ، روي تشن ليست على ما يرام في الآونة الأخيرة ، إنها تدبر أمراً ، وهي تختار أصدقاءها بشكل اعتباطي ...(بصوت منخفض) أخاف أن تسرق شيئاً وتهرب ، لقد أقفلت البابين الخلفي والأمامي ، اطمئن ، أنا ...

(تدخل صو فانغ من غرفة التربية وهي تحمل جرة دواء)

صـو فـانغ:(بحرارة) لقد أعددت لك وصفة الطبيب لو تاي .

صـه يي: (تتأمل صو فانغ)

صـو فـانغ: (عندما لا تتلقى رداً) هل ستتناولين الدواء هنا؟

صـه يي: (ببرودة) ضعيه في غرفتي فوق الموقد كي يبقى ساخناً .

(تمر صو من أمام تينغ في طريقها إلى غرفة صه يي)

تينـغ: (ينظر إلى الدواء نظرة استغراب ودهشة) ما ، أنت أيضاً تتناولين وصفة لو تاي تلك؟

صـه يي: (يتغير لون وجهها ، محرجة قليلاً ، تحافظ على رباطة جأشها ثم بغموض) عافية أمك ليست على ما يرام . (تبحث عن الكلمات) خالتك صو فانغ تهتم بي منذ عدة أيام ، ...(يتغير مزاجها ، تسعل) ليس إلا طفلاً ، (يكفهر وجهها مرة أخرى ، بصرامة) خالتك صو إنسان(تهز رأسها) إنها ، إنها ...

(تعود صو فانغ)

صـو فـانغ: زوج خالتي يدعوك يا زوجة أخي .

صـه يي:(تومئ برأسها بخفة ، تلتفت إلى تينغ) تعال معي .

(يتبع تينغ أمه ويخرجان من غرفة التربية . تلف الظلمة المكان . صياح إوز بري في الخارج ، يزداد المكان وحشة شيئاً فشيئاً)

صو فانغ: (تزفر زفرة خفيفة، تبدو متعبة. ترى القفص فجأة، ترفعه بشكل لا شعوري، تتأمل الحمامة البيضاء التي داخله ... تسمى تلك الحمامة «الوحيدة» ... مسحة حزن في عينيها، تبتسم بحزن بينما تنظر بحب إلى تلك الحمامة ...)

(تدخل روي تشن وهي تحمل صندوق ملابس الطفل المصنوع من الخيزران تضع الصندوق فوق طاولة صغيرة، تقترب من صو فانغ بهدوء)

روي تشن: (بصوت منخفض) خالتي صو.

صو فانغ: (تلتفت مندهشة) أنت هنا(تضع القفص)

روي تشن: هل قرأت الرسالة التي تركتها لك في غرفتك؟

صو فانغ: (تومئ برأسها) إي.

روي تشن: ألم تستغربي؟

صو فانغ: (تبتسم بحزن وحنان) لا، ...(فجأة) هل سترحلين حقاً؟

روي تشن: (مؤكدة) إي.

صو فانغ:(تزفر، لا تنصحها ولكن يعز عليها) لا ترحلي.

روي تشن: (منفعلة) خالتي صو، مازلت تنصحيني وأنا لا أحتمل البقاء؟

صو فانغ: (تتذكر شيئاً فيشرق وجهها، ببطء وتصميم) أعرف، ربما يمر على المرء وقت يفقد فيه قدرته على الاحتمال.

روي تشن: (بريق من الترقب في عينيها، تمسك يدها بحرارة) وأنت؟

صو فانغ: (يتلاشى بريق وجهها، تتأمل روي تشن بحزن) دعك مني يا روي تشن، ارحلي أنت، أما أنا فأحتمل الوحدة. ربما لن أستغني عن الكلام لاحقاً، إنني أستطيع أن ...

روي تشن: (تشد على يدها، ثم تجلسها بهدوء) لا، لا يا خالتي صو، لا يمكن أن تكوني هكذا، لا يمكن أن تكوني طوال حياتك هكذا(ترجوها بإلحاح) إني راحلة، فلماذا لا تتكلمين معي بشكل واضح؟ لماذا لا تبوحين ...(مكتئبة، تلمح بريقاً لدموع في عينيها فتصمت)

صو فانغ: (ببطء) عن ماذا تريدينني أن أتكلم؟

روي تشن: (تتلعثم) عن نفسك، أنت، أنت، ...(فجأة) لماذا لا ترحلين؟

صو فانغ: (بلا مبالاة) إلى أين؟

روي تشن: (بانفعال) بلاد الله واسعة. أولاً يمكنك أن تأتي معنا.

صو فانغ: (تومئ برأسها) لا، لا.

روي تشن: (تجلس إلى جانبها ، بشكل حميمي) هل قرات الكتاب الذي أعطيته لك؟

صو فانغ: قرأته .

روي تشن: وهل ما يطرحه الكتاب غير صحيح؟

صو فانغ: صحيح .

روي تشن: (تبتسم) إذاً لِمَ لا ترحلين معنا؟

صو فانغ: (بصوت منخفض ولكن بشكل صريح) أنا لا .

روي تشن: لماذا؟

صو فانغ: (تتأمل روي بحزن) لا!

روي تشن: (بإلحاح) ولكن لماذا؟

صو فانغ: (تهم بالكلام إلا أنها ... تكتفي بهز رأسها بهدوء هذه المرة)

روي تشن: ينبغي أن تقولي ما هو السبب!

صو فانغ: (بصعوبة) أشعر أن ثمة أمور في هذا المكان لم أنهها بعد .

روي تشن: لم أفهم .

صو فانغ: (تبتسم ، تقف) لم تفهمي ، ذلك لأن ما أقول يصعب فهمه .

روي تشن: (تنهض ، وبشكل قطعي ...) إذاً لِمَ لا تذهبين للبحث عنه؟

صو فانغ: (قلقة) تقصدين ...

روي تشن: (بصراحة) ابحثي عنه! ابحثي عنه!

صو فانغ: (تهدأ قليلاً ، تفكر تارة ، وتبحث في أعماق نفسها تارة أخرى ، تحدق بنظرة بلهاء) لماذا أبحث عنه؟

روي تشن: ألا تحبينه؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

روي تشن: (تؤكد على كل جملة) ولماذا لا تفكرين في البحث عنه؟ لِمَ لا؟(بصراحة) خالتي صو ، انظري إلي فأنا لا أشبه ما كنت عليه سابقاً . قبل شهر لم أكن أجرؤ على طرح مثل هذه الأسئلة . أنت تعرفينني حق المعرفة . (بعبء) عندما أرحل لن يبقى في هذا البيت إلا ثلاثة أشخاص ، هذا البيت الذي عشنا فيه معاً . أخبريني ، لماذا لا تبحثين عنه؟ لِمَ لا؟

صو فانغ: (تزفر) هل سأكون سعيدةَ برؤيته؟

روي تشن: (ترد بسؤال) وهل أنت سعيدة هنا؟

صو فانغ: أنا ، ربما أنوب عنه ...(يصعب عليها الكلام فجأة فتصمت)

روي تشن: (بإلحاح) تكلمي ، لقد وعدتني ان تتكلمي معي ذات مرة .

صو فانغ: أنا ، قلت ...(يزداد وجهها بريقاً وجمالاً شيئاً فشيئاً ، تحمر وجنتاها الشاحبتين . تبدأ كلامها بصعوبة ثم تزداد انطلاقاً ، يرتعش صوتها بسبب انفعالها الشديد والعميق) ... لقد ذهب ، ولهذا يمكن أن أهتم بأبيه نيابة عنه وأرعى ولده نيابة عنه ، أن أعتني بمخطوطاته التي يحب ، وأطعم الحمامة التي يحب . حتى أولئك الذين لا يحبهم ينبغي علي أن أراعي شعورهم ، وأحبهم ، حتى ...

روي تشن: (مقاطعة) حتى؟

صو فانغ: (مرتعشة) حتى مَنْ لا يحب طالما يقربني منه!(فرحة ومندهشة من معنوياتها التي قالت فيها كلماتها تلك لدرجة لا يصعب عليها تصديقها)

روي تشن: (تزفر) وعليه فإنه ينبغي عليك العناية بأم تينغ ، حماتي .

صو فانغ: (تبتسم بمرارة) أليست جديرة بالشفقة وهو بعيد عنها؟

روي تشن: (تبتسم بينما تنهمر دموعها) حقاً يا خالتي صو ، لقد نسيتِ معاملتها لك في الماضي ، والآن ...

صـو فـانغ: (مشفقة) لماذا ينبغي تذكر الأشياء غير السعيدة، إن كان من أجله، من أجله هو، من أجله ...

روي تشن: (مقاطعة) آه يا خالتي صو، كم تجهدين نفسك، لماذا لا تتحررين من هذا العبء؟ لماذا لا تنسينه؟ إنك تعلقين عواطفك بشخص غير أهل لها، شخص عاجز لا خير فيه ...

صـو فـانغ: (غريبة الأطوار مثل قلبها، بحزن) لا تقولي ذلك عن حماك.

روي تشن: (تدافع عن نفسها) ألا يقول أبوه عنه ذلك؟

صـو فـانغ: (بألم) لا، لا تقولوا ذلك عنه، لا أحد منكم يفهمه.

روي تشن: (تتنهد بحزن) وتفنين عمرك هكذا دون اللقاء به؟

صـو فـانغ: (تطأطئ رأسها بهدوء)

روي تشن: (بإخلاص) تكلمي يا خالتي صو!

صـو فـانغ: (شاردة لدرجة أنها لم تسمع) إي.

روي تشن: وإذاً لِمَ تركته يرحل؟

صـو فـانغ: (تسترجع ذكرياتها، بصوت منخفض) أنا، رأيت أنه غير مرتاح هنا، لهذا قررت أن أتحمل المعاناة عنه.

روي تشن: (ترد بسؤال) وهل أنت سعيدة بفراقه؟

صو فانغ: (بضعف) إي .

روي تشن: (تتنهد) آه ، ما معنى حياة اثنين يعيشان على النحو؟

صو فانغ: (ظل ابتسامة على وجهها الحزين) عندما ترين أحداً سعيداً ، ألا تكونين أنت سعيدة أيضاً؟

روي تشن: (باهتمام وحب شديدين) ألست مشغولة البال عليه؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

روي تشن: هل يفكر بك الآن؟

صو فانغ: (تسيل دموعها على خديها الشاحبين بهدوء)

روي تشن: تبقين وحيدة هكذا طوال عمرك ... تمضيان حياتكما بشقاء على هذا النحو؟

صو فانغ:(بانتباه شديد) ربما أكون شقية ، لكنني لست وحيدة .

روي تشن: (بانفعال شديد) خالتي المسكينة ، أنا أفهم ، أفهم ، أفهم! لكنني خائفة أن يعود ذات يوم . يعود ، ويعود كل شيء كما كان عليه في الماضي ، تتعذبان تحت أنظار الجميع ، تتبادلان النظرات ، يتأمل أحدكما الآخر ، لا تستطيعان التنفس ، لا أحد ...

صـو فـانغ: (ترتجف ، تومئ برأسها فجأة) لا ، لا يمكن أن يعود .

روي تشن: (بإصرار) ولكن إن حدث أن ...

صـو فـانغ: (تمسح دموعها بخفة) لا يمكن ، يموت ولن يعود . (تطأطئ رأسها متأملة المنديل بيدها ، بصوت منخفض مليء بالحب) لقد عاد لرؤيتي .

روي تشن: (مندهشة) هل عاد بعد رحيله؟

صـو فـانغ: إي .

روي تشن: (متفاجئة) متى؟

صـو فـانغ: في اليوم الثاني بعد رحيله .

روي تشن: (لا تستطيع تخيل ذلك ، تزفر) آه!

صـو فـانغ: (مشفقة عليه) مسكين ، لم يكن لديه نقود .

روي تشن: (مخمنة) فأسرعتِ وأعطيته كل ما تملكين من نقود؟

صـو فـانغ: لا ، أعطيته ما كنت أحمل حينذاك .

روي تشن: (باستخفاف) وأخذها .

صـو فـانغ: (بلطف) أنا طلبت منه أن يفعل . (تتذكر) قال

إنه يريد أن يصبح رجلاً ، وهو يفضل الموت على العودة . (لا تستطيع التوقف عن الكلام من شدة التأثر) قال إنه يعتذر من أبيه ، ومن ابنه ، حتى أنت ذكرك أكثر من مرة . وطلب مني أن أعتني بكم ، أن أرعى أسرته ، مخطوطاته ، حمامته ، لقد تكلم وتكلم حتى أجهش في البكاء ، وقال إن ما يقلقه ...(كانت دموعها قد سالت على خديها ، وهي لا تقاوم ابتسامة بدت ترتسم على وجهها) روي تشن ، لقد بدا مثل طفل صغير ، مثل الجنين التي تحملين!

روي تشن: (بصرامة) وقررت من الآن وصاعداً العناية بأسرته؟(تطرح السؤال دون توقف)

صو فانغ: (بهدوء) إي .

روي تشن: (تلح بالسؤال) ترافقين السيد المحتضر؟

صو فانغ: (تومئ برأسها بهدوء) إي .

روي تشن: (تحاصرها بنظراتها) ترافقينه حتى الموت؟

صو فانغ: (تتوارى من نظرات روي) إي .

روي تشن: (عمداً) ثم تهتمين بأولاده؟

صو فانغ: (تنظر إلى روي مقطبة الحاجبين) إي .

روي تشن: تسهرين على راحة الكبير والصغير في الأسرة؟

صو فانغ: (بإصرار) إي.

روي تشن: (غاضبة) وجهك بوجه حماتي طوال اليوم؟

صو فانغ: (لا تقاوم رجفة خفيفة) أوه، ... نعم.

روي تشن: (تغالب انفعالها) لا تخرجين أبداً؟

صو فانغ: (تهدأ مرة أخرى) إي .

روي تشن: لا تتزوجين؟

صو فانغ: إي.

روي تشن: (بإلحاح) تتحملين المشاق؟

صو فانغ: (بصوت منخفض) إي.

روي تشن: (تقترب) تتحملين الظلم؟

صو فانغ: (محملقة) إي.

روي تشن: (بحزم واهتمام) حتى الموت؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها، تلمس جبينها، بحب) حتى ... الموت!

روي تشن: (غاضبة ومتألمة) ولكن لِمَ كل ذلك يا خالتي وحبيبتي صو؟

صو فانغ: (ترفع رأسها) من أجل ...

روي تشن: (مستفسرة) إي، من أجل ...

صو فانغ: (بصعوبة) من أجل، لا أعرف ماذا أقول، ...(ابتسامة خفيفة تظهر فجأة على وجهها) من أجل، إنها الحياة!

روي تشن: (تفرض الجملة نفسها) هل تعتقدين أنه حقاً لن يعود؟

صو فانغ: (ظل ابتسامة) هل للسماء أن تنهار؟

روي تشن: أنت حقاً قد هيأت نفسك كي لا تغادري أسرة زنغ طوال عمرك، هذا السجن! وكل ذلك من أجل حلم، وهم، إنسان ...

صو فانغ: (برفق) ربما أغادر ذات يوم ...

روي تشن: (بلهفة) متى؟

صو فانغ: (تبتسم) في اليوم الذي تنهار فيه السماء وينطق فيه البكم!

روي تشن: (مشفقة) خالتي صو، من الخطورة بمكان أن ترهني كل سعادتك بحياة شخص، إنه لا ينبغي فعل ذلك. (تتنهد) كنت حمقاء فيما مضى، ومازلت الآن ...

(تلف الظلمة المكان شيئاً فشيئاً، ينعق غراب على حافة النافذة ثم يطير. يسمع نفير بوق وراء السور أثناء حديث روي تشن، يتردد صدى النفير في الفضاء الموحش ويستمر هكذا حتى نهاية المشهد)

صـو فـانغ: اصمتي. (ترفع رأسها فجأة وتنظر باتجاه الخارج) اسمعي، ما هذا الصفير البعيد وما هو؟

روي تشن: (عندما ترى صو قد توقفت عن الكلام تواصل هي كلامها) إنه بوق البرج.

صـو فـانغ: (تصغي) كم هو موحش!

روي تشن: (تومئ برأسها) إي، الظلام دامس، عندما أكون وحيدة في غرفتي أخاف سماع مثل هذا الصوت، أرى فيه نذير شؤم.

صـو فـانغ: (تنبثق الدموع من عينيها) صحيح، إنه صوت موحش!(فجأة تمسك يد روي تشن بحرارة وبصوت منخفض) لكنني أشعر في هذه اللحظة أنني سعيدة جداً!(تتحسس صدرها) قلبي دافئ! كما لو أن الربيع عاد. (متأثرة) أليس هذا هو لحن الحياة؟ إننا نعيش حياة حلوة وموحشة!(تنهمر دموعها من شدة التأثر) لدرجة ترغبين فيها بالبكاء دون توقف أو الضحك دون توقف!

روي تشن: (تأخذ محرمة وتمسح لها دموعها، بصوت منخفض) خالتي، أنت تبكين بحق؟ خالتي، أنت ...

صـو فانغ: (تصغي إلى صوت البوق القادم من مكان بعيد) لا عليك، اتركيني أبكي وأبكي!(تبتسم بلطف من بين الدموع) ولكن، أنا أضحك! روي ...

(تطأطئ روي تشن رأسها حزينة، تضع المنديل على أنفها. تسند صو رأس روي وهي ضاحكة) ... لا تبكي يا روي تشن!(بلطف) مع أن فؤادي شديد الحزن، فإن دموعي تنهمر من شدة السعادة! ...(ترفع روي رأسها وتنظر إلى صو، تبلع ريقها. تلمس صو يد روي، تبدو صو كأنها سعيدة مطمئنة، تستأنف كلامها) ... لا تبك يا روي تشن، فمنذ سنوات لم أتحدث بهذا الشكل، كما لو أن قلبي انفتح فجأة اليوم، ويطلب من الشمس أن تشرق لتدفئه. أنت رائعة يا روي تشن! أنا التي لا أحتمل هذه السعادة لا أنت، أنا التي لا أستطيع أن أتحدث إليه لا أنت أتحدث وأتحدث، يا لروعة الحديث معه!(فجأة تزداد انفعالاً) روي تشن، إن كنت تعتقدين أن الحياة سعيدة هناك فاذهبي، اذهبي! أنا سعيدة هنا. لا تبكِ يا روي تشن، تقولين أن هذا البيت سجن؟ هذا غير صحيح، هذا غير صحيح ...

روي تشن: (تبلع ريقها) لا ، لا يا خالتي ، إنني أتألم بالنيابة عنك! أنا خائفة! لا تكوني سعيدة إلى هذه الدرجة ، وجهك ساخن ، أخاف ...

صو فانغ: (متوسلة) لا عليك يا روي تشن! فأنا لأول مرة أكون سعيدة إلى هذا الحد(تقترب من روي تشن وتضع صندوق الملابس على طاولة قريبة) روي تشن خذي صندوق ملابس طفلك هذا معك أيضاً. (بشفقة) حاولي ما بوسعك مساعدة الناس هناك ، قدمي الجيد لهم ، واحتفظي بالسيئ لك . كل المساكين بحاجة للمساعدة ، فنحن لا نحيا بالخبز وحده(تفتح الصندوق) إن لم تستخدمي هذه الملابس فقدميها لمن يحتاجها من الأطفال . (تستخرج من الصندوق ثوباً صوفياً أبيض كالثلج) انظري إلى هذا هل هو جميل؟

روي تشن: جميل ، جميل جداً .

صو فانغ:(تتناول قبعة بيضاء وهي مزهوة) هل هذه حلوة؟

روي تشن: إي ، إنها رائعة حقاً!

صو فانغ: (تستخرج ثوباً حريرياً أصفر اللون وهي فرحة) وهذا؟

روي تشن: (تصفق بفرح) هذا جميل جداً!

صو فانغ: (سعيدة جداً ، يبدو وجهها مشرقاً ولطيفاً

وأكثر جمالاً) لا ، لا يمكن اعتباره جميلاً ، مازال هناك أجمل منه(تضحك ، تنظر داخل الصندوق) ...

(صوت بوق موحش مازال يتردد ، يُفتح في هذه اللحظة باب صالة الضيوف بهدوء ، يظهر ون تشينغ في العتمة. يبدو ضعيفاً وشاحباً ، يلبس عباءة واسعة ويضع تحت إبطه مخطوطة ، متجهم الوجه ، مرهقاً ، يدخل وحيداً مطأطئ الرأس)

(صو فانغ لا تراه وذلك لأنها تدير ظهرها له وهي منهمكة باستخراج الثياب من الصندوق. تنظر روي تشن باتجاه الباب ...)

روي تشن: (عندما ترى ون تشينغ ، تبدو كما لو كانت في كابوس ، تصرخ بصوت مكبوت) آ ، هذا ...

صو فانغ: (تحاول كبت سعادتها ، تحمل بين يديها لعبة جميلة ، شعرها أصفر ذهبي ، تلبس ثوباً قطنياً وردي اللون ، بسمة عريضة على وجهها ، تنظر إلى روي مترقبة) انظري!(ترتجف عندما ترى وجه روي شاحباً) من؟

روي تشن: (تحدق وبصوت منخفض) أرى ، أن السماء ، تنهار!(تلتفت جانباً تغطي وجهها)

صو فانغ: (تلتفت إلى حيث يقف ون تشينغ ، تراه وجهاً لوجه ، يبدو أنه لا يراها بوضوح) آ!

(يطأطئ ون تشينغ رأسه، يدخل إلى غرفته بهدوء. تدخل صه يي قادمة من غرفة التربية)

صه يي:(مندهشة) هل عاد ون تشينغ؟

صو فانغ:(بصوت مخنوق) عاد!

(تدخل صه يي إلى غرفتها مسرعة)

(تبقى صو فانغ واقفة بذهول)

(صوت بوق بعيد يتردد في الفضاء بشكل موحش)

——— تنزل الستارة ببطء

(يتم رفع الستارة مباشرة للمشهد الثاني بشكل يتناسب وزمن المشهد)

المشهد الثاني

بعد المشهد الأول بعشر ساعات تقريباً، ما قبل الفجر بقليل، شعلة لمبة الغاز تضيء المكان بشكل جيد. طائرة السمكة الذهبية الورقية اختفت. القفص مازال فوق الطاولة وفي داخله الحمامة «الوحيدة» البيضاء تقف دون حراك، تضع رأسها تحت جناحها، وهي تغط في نوم عميق. الطقس بارد في الداخل، وعلى المرء أن يرتدي ملابس سميكة كي تقيه برد أواخر الخريف وأول الشتاء، تلك الليالي التي تجعل المرء لا يتحكم بمشاعر الحزن والوحشة. الريح تتسلل عبر ورق النافذة الممزق. دقات صنج في مكان بعيد، تتخلل صفير الرياح الغربية. صوت بائع الكعك العجوز يتردد في الزقاق، وهو يبدو واضحاً حين تهدأ الريح، ومبهماً حين تشتد.

لم ينم أفراد أسرة زنغ في هذه الليلة الأكثر حزناً في تاريخ

الأسرة. سيد البيت العجوز لم يغمض له جفن وهو يفكر في التابوت المدهون مئات المرات، التابوت الذي يمتد عمره لسنوات طويلة والذي سوف يتخلى عنه بعد ساعات قليلة بخنوع بينما يتفطر قلبه من شدة الألم، لم يفارق تفكيره طيلة النهار والليل.

قال رسول أسرة دو أنهم يفضلون «استلام التابوت» في «الهزيع الأخير» ... أي قبل الساعة الخامسة صباحاً، يجب أن يُحمل إلى بيت أسرة دو. أي أنه يمكن للمكلف بأخذ التابوت أن ينتظر إلى ما قبل الساعة الخامسة، وأن جيانغ تاي قد خرج منذ منتصف الليل لاقتراض المال ولم يعد. ون تساي قلقة على زوجها من ناحية وعلى أبيها من ناحية ثانية. الفجر يقترب، والأسئلة تُطرح، هل تذهب للاتصال بجيانغ تاي الذي اختفى أثره هاتفياً أو ترسل أحداً في طلبه. ينظر الآخرون إلى السيد بينما هو ينتظر على أحر من الجمر، ويشعرون أن ليس من اللائق تركه وحيداً، فكان بينهم من يتأمل عودة جيانغ تاي بنية صادقة وقد جاء بالنقود ليمنع أسرة دو، تلك النمور المتوحشة، من أخذ التابوت. ومنهم من كان برُّه بلسانه فقط وهو خائف من عودة جيانغ تاي بالنقود ليترك مجالاً للمساومة. ومنهم من كان في الليلة نفسها مشغولاً بحزم متاعه وعيناه تفيضان بالدمع

فرحاً أو حزناً أو أملاً بمستقبل مشرق، يحن لأيام مضت، ويتوق لمستقبل قادم، المستقبل الذي يخص «إنسان بكين» ولا علاقة له بمن يتمرغون في التوابيت.

يجلس في هذا البيت الموحش والبارد ون تشينغ على الكنبة مذهولاً بلا حراك. وقد استبدل سترته المحشوة الرمادية القديمة، يضع يديه في كميه بدون حركة. يمتزج في عينيه الكسل والتعب واليأس، مغضن الحاجبين والشفتين، يصغي بضيق وحذر إلى دقات صنج يأتي من مكان بعيد، وإلى هبوب الريح وحفيف وأوراق الشجر، تقف صه يي إلى جانبه وهي تتكلم دون توقف.

صه يي وقد استبدلت ثوبها الأزرق، تبدو أنها قد تعبت من كثرة ما تكلمت، تنتظر بترقب رد ون تشينغ. تحمل زبدية الدواء بيد وزبدية فارغة باليد الثانية، تسكب الدواء من زبدية إلى أخرى بغية تبريده قليلاً كي تتمكن من شربه، وبعد أن تشرب الدواء تتمضمض بماء عادي.

صه يي: (تضع الزبدية، ثم تبدأ ...) حسن أن عدت. أنا أيضاً لم أخيب أمل أفراد أسرة زنغ بي. (ضحكة صفراء) على كل حال لم نترك لتخمين أختك أن يتحقق، وأنني لم أضغط على أخيها لدرجة لا يعود فيها إلى البيت.

(يرفع ون تشينغ رأسه وينظر إليها بسأم)

صه يي: (تلقي نظرة على ون تشينغ ثم تبدو جدية للغاية) ما رأيك فيما قلت؟ ... لقد سبق وقلته. (تبدو أنها لم تفهم ردة فعله) آ، لِمَ لا تتكلم؟ أنا لم أظلم أبيك.

ون تشينغ: (يتنهد، لا خيار أمامه) ما الذي تخططين له في نهاية الأمر؟

صه يي: (تجحظ عيناها، تبدو كما لو أنها اتهمت ظلماً) غريب، لقد استجبتُ لكل رغبات والدك، ألا تعتبر هذا بالشيء الحسن. (لا تخلو من شراسة) قمتُ بكل ما تتطلبه الأسرة مني، لقد انفجرت أختك غضباً في وجهي اليوم وأمام الجميع، وقد تحملت ذلك من أجلك. لقد تكلمت معها بهدوء منذ قليل وطلبت منها مناقشة الأمر، على جميع أفراد الأسرة أن ...

ون تشينغ: (يرفع رأسه وقد نفذ صبره) مناقشة ماذا؟

صه يي: مناقشة مشاكلنا. (تقرر كشف نوايا ون تشينغ، بسخرية) ليس هذا بالولد الذي يرى الحلوى فيتمناها في قلبه ويرفضها بلسانه. أنا أفضل أن يكون المرء صريحاً، يفصح لسانه عما في قلبه. أنا لا أحب الإنسان الذي يحب أكل اللحم ويكره رائحته.

ون تشينغ: (ضجراً) طلع النهار، اذهبي ونامي.

صه يي: (تتظاهر أنها لم تسمع، تواصل حديثها) لقد تكلمت بصراحة مع أختك منذ قليل ...

ون تشينغ: (مندهشاً) آ، قلت لأختي كل شيء ...

صه يي: (مثرثرة) ماذا؟ ألا يمكن ذلك؟

(تدخل ون تساي من غرفة التربية، ما زالت تلبس ثوباً من وبر الجمل، مضافاً إليه كنزة صوفية بنية اللون. لم تنم الليل، شاحبة، شعثاء الشعر.

ون تساي: (ترتب شعرها) أخي، الساعة تقارب الخامسة ولم تذهب للنوم بعد؟

ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) لا.

ون تساي: (تلتفت إلى صه، بقلق) هل عاد جيانغ تاي أم لا؟

صه يي: لم يعد.

ون تساي: سمعت منذ قليل كما لو أن الباب الأمامي قد فُتح.

صه يي: (ببرودة) كان هؤلاء هم حملة التابوت المرسلين من قبل أسرة دو.

ون تساي: آه. (تفقد الأمل شيئاً فشيئاً، ترتجف، تجلس متكورة على الكنبة القديمة) آه، البرد شديد!

صـه يي: (تصغي ثم ينفذ صبرها) اسمعي، لقدَ أُقفل الآن. (تطرح سؤالاً) ما رأيك؟(مع أنها طرحت السؤال بقسوة إلا أن البسمة على وجهها) أختي الصغيرة، لقد تكلمت معك منذ قليل بشأن ...

ون تساي: (مشوشة، ... بارتباك) ماذا؟

صـه يي: (تنظر إلى ون تشينغ متملقة) بشأن مشاكل زواج الآنسة صو.

ون تساي: (تحاول أن تخمن ما تضمره صه يي من ملعوب جديد، تبتسم بمرارة) ليس من المناسب طرح مثل هذا الموضوع الآن.

صـه يي: (بصراحة وشجاعة) لم هو غير مناسب؟(بحرارة) أختي، لا تنظري إلي كامرأة أخ(تجري مقارنة) ما ليس صغيراً فهو كبير، أنا لست من النساء اللواتي يهتممن بالرجال طوال اليوم حتى يستطعن العيش. «الذكاء والفضيلة» كلمتان لا أستطيع تطبيقهما في هذه الحياة، لكنني ما زلت متسامحة قليلاً. (بتواضع) وفوق ذلك فإن التسامح أو عدم التسامح خارج الموضوع، ابنة الخالة تتزوج ابن خالتها، حباً فوق حب، ثم إنه سلوك صحيح وهو يحدث في أحسن العائلات.

ون تساي: (بصراحة) لا، أنا قلت إنه ينبغي سماع رأي صو فانغ أيضاً.

صـه يي:(تضحك ساخرة) آ، وهل ذلك بحاجة إلى سؤال؟ هل يمكن لها أن ترفض؟ لكنني جادة وصادقة، وأحب الكلام بصراحة، ثم إنني لست الوحيدة التي تعرف نوايا صو. ابنة الخالة طيبة، أنا لا أقول ما يعذب ضميري. إنما(إلى ون تشينغ، تتظاهر بالصدق) ألا ينبغي على «ابن الخالة» أن يقول كلمة؟ أختك هنا، قل لي على الأقل كلمة أفهمها أمام أختك الصغيرة.

ون تشينغ:(ينظر إلى ون تساي، يطأطئ رأسه دون أن يجيب)

صـه يي: (بإلحاح) تكلم بوضوح حتى أسوي الأمر بالنيابة عنك.

ون تساي: (تخمن ما يدور في ذهن أخيها، تتكلم بالنيابة عنه) ومع ذلك أنا أرى أنه من غير المناسب طرح هذا الموضوع الآن.

صـه يي: (تقلِّبُ عينيها) ما هو الغير مناسب في ذلك؟ اطمئني فأنا لن أظلم صو، إنها تزداد معزة عندي ولا يمكن لي فراقها. (تزداد حماساً) إنها الإنسان الذي أرتاح إليه، فتشت في منتصف الليل عن مجوهراتي التي أحضرتها معي عندما جئت إلى أسرة زنغ، وفجأة، وجدت تلك اللؤلؤة التي أفضل، وقررت تقديمها إلى الآنسة صو بالنيابة عن ون تشينغ. (تتناول مشبك شعر من فوق طاولة صغيرة، تنتزع منه لؤلؤتين وتقدمهما إلى ون تساي) كيف ترينهما؟

ون تساي:(تأخذهما وتنظر إليهما ثم تثني عليهما) لا بأس بهما!

صه يي: (تزداد ابتهاجاً شيئاً فشيئاً) لكنني امرأة عملية ، حتى غرفة الزواج تدبرت أمرها بالنيابة عن ون تشينغ ، سوف ترحل أسرة يوان بعد قليل وتخلو الغرفة التي كانوا يسكنون ، سوف أطلب تلبيسها بورق الجدران بسرعة. سوف يساعدني أفراد الأسرة كلهم في تجهيز الغرفة ، وخلال يومين أو ثلاثة سوف تتناول أختي طعام العرس. لقد فكرت في كل شيء ، ... (تنظر إلى ون تشينغ ساخرة ، بما يشبه المديح) ون تشينغ طيب القلب ، إنه يخشى أن تُعامل صو بشكل غير ودي ، لقد فكرت في ذلك أيضاً ، لا ليس من اللائق قول ذلك ، وبعدها(بارتياح) سوف يكونان في الأسرة «رأسان في طربوش» (تضحك بشكل سمج) لا أحد يجرؤ على الآخر .

ون تساي: (تستشيط غضباً ولكن لا تجد بُداً من الابتسامة) صحيح ، ومع هذا فأنا أخشى أن أسأل أبي إن عاجلاً أو آجلاً .

(يدخل تشانغ شون من باب غرفة التربية ، يبدو وقد استيقظ لتوه ، عيناه ناعستان ، وثيابه غير مرتبة .

تشانغ شون: (يفتح الباب وينادي) سيدتي .

صـه يي: (لا تهتم، تتظاهر أنها لم تسمع كلام ون تساي بوضوح) آ؟

ون تساي: قلت إنه ينبغي أن نسأل أبي .

صـه يي: (مؤكدة) آ، وهل ينبغي سؤال أبيك عن هذا الأمر؟ وهل لديه اعتراض على وجود كنة طيبة تسهر على خدمته؟(كلامها يتضمن أكثر من معنى) ثم إن الأمر سيان، سوف ندعوها كيفما تحب أن تُدعى. ولكن من الأفضل دعوتها بالآنسة صو أمام الآخرين، وإلا سوف يثير الضحك دعوتها بـ مدام أو جدة. ...(تلتفت وتلقي نظرة إلى ون تشينغ) حقاً أنا لا أكترث لذلك، وهذه فكرة ون تشينغ أيضاً(عندما يهم ون تشينغ بالرد عليها تلتفت إلى تشانغ شون) ماذا هناك يا تشانغ شون؟

تشانغ شون: السيد يريدك .

صـه يي: ألم ينم السيد بعد؟

تشانغ شون: نعم، ...

صـه يي: (إلى تشانغ) هيا، هيا!

(تخرج صه يي على عجلة من باب غرفة التربية يتبعها تشانغ)

ون تساي: (تنتظر حتى خروج صه بي ثم تقف ، تقترب من ون تشينغ ، بلطف وتعاطف) أخي ، لم تأكل شيئاً بعد؟

ون تشينغ: (ينظر إليها ثم يهز رأسه ، يبدو يائساً)

ون تساي: سوف أحضر لك قليلاً من المعمول .

ون تشينغ: (يشير بيده رافضاً ، باضطراب) لا ، لا ، لا (بإرهاق) لا أستطيع أن آكل شيئاً .

ون تساي: إذاً ، ما رأيك أن تدخل إلى غرفتك وتغسل وجهك ثم تنام لبعض الوقت؟

ون تشينغ: (بفتور) لا ، لا أريد أن أنام .

ون تساي: (تتردد ...) لماذا ، لماذا لم تسمح لك بالدخول إلى الغرفة هذه الليلة؟

ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) آه ، تريدني أن أعتذر منها .

ون تساي: وأنت؟

ون تشينغ: (ييأس ولكن بتصميم) طبعاً لن أفعل! (يغمض عينيه)

ون تساي: (متعاطفة جداً ، لا تجد بداً من الكلام) آ ، هل يحدث مثل هذا تحت السماء ، يعود الزوج لتوه ، وبهذه الوقاحة ...

(تصفر الرياح في الخارج . تدخل المربية من باب غرفة

التربية، تبدو شاحبة الوجه، غائرة العينين. تلبس سترة محشوة بالقطن، تتثاءب)

المربيـة: (ترى ون تشينغ وقد طأطأ رأسه وأغمض عينيه فتظن أنه نائم، إلى ون تساي بصوت منخفض) كيف نام سيدي تشينغ؟

ون تساي: (بصوت منخفض) ليس بنائم.

المربيـة: (تقترب منه، يغمض عينيه غير راغب في الحديث. تهز رأسها مشفقة عليه، تبدو مغرمة به، تلتفت إلى ون تساي وبصوت مخنوق) يبدو نائماً(تتنهد، ثم تغطيه بسترتها القطنية)

ون تساي: (قلقة وبصوت منخفض) لا، لا، سوف تتجمدين هكذا، سوف أحضر غطاء له، (تمشي باتجاه غرفتها)...

المربيـة: (تشير إلى ون تساي أن تتوقف، بعجلة وصوت مبحوح) لا عليك. اذهبي وألقي نظرة على أبيك.

ون تساي: (بقلق) ما به؟

المربيـة: (بحزن) طلبت منه النوم فرفض، إنه يمكث في غرفته، يجلس تارة ويقف تارة وهو يسأل هل عاد صهري أم لا؟ هل عاد صهري أم لا؟

ون تساي: (وقد تنبهت لذلك) ما العمل؟ ما العمل؟ لا أثر لجيانغ تاي حتى الآن، وأنا لا أعرف أين مكانه...

المربيـة: (تهز رأسها) آه، هذه جريمة. (تسحب ون تساي بعيداً عن ون تشينغ خشية أن توقظه) يا للمسكين! كان من السهل عليه أن يؤخذ التابوت منه في النهار؛ لقد انتصف الليل وهو يفكر كيف سيؤخذ منه هذا الذي اهتم به لسنوات بعد لحظات، ... كيف لا يقلق، كيف لا يقلق ...

(يدخل تشانغ شون من غرفة التربية)

تشانغ شون: سيدة ون تساي.

المربيـة: (تلفت انتباهه إلى أن ون تشينغ نائم)

تشانغ شون: (يخفض صوته مباشرة) السيد يطلبك.

ون تساي: حاضر، (تمشي خطوتين ثم تلتفت) أين الآنسة صو؟

المربيـة: كانت تدلك قدمي السيدة منذ قليل. ... ربما هي ترتب غرفة السيد.

ون تساي: إي.

(تتبع ون تساي تشانغ شون ويخرجان من باب غرفة التربية)

(يهدأ صوت الريح في الخارج، تتساقط أوراق الشجر في البهو، تتدحرج، تصدر حفيفاً. دقات صنج تأتي من مكان بعيد وتكاد لا تسمع. تقترب المربية من ون تشينغ متثائبة)

المربيـة: (تنحني فوق ون تشينغ ، ترى فيما إذا كان ما زال نائماً ، تناديه بصوت منخفض وحب شديد) يا سيدي ون تشينغ المسكين!

(يفتح ون تشينغ عينيه ، تبدو عيناه متعبتين كئيبتين ، يعدل من جلسته)

المربيـة: (مندهشة) هل استيقظت يا سيدي؟

ون تشينغ: (يبدو أنه استيقظ من إغفاءة قصيرة ، يرفع رأسه بهدوء) هذه أنت يا جدتي

المربيـة: (تنظر إليه ، تمسح له عينيه) هـذه أنا يا سيدي (تهز رأسها بحنو) لقد هزلت كثيراً أيها المسكين ، وقد نمت هنا؟

ون تساي: (مشوش قليلاً) نعم يا جدتي .

المربيـة: آه يا سيدي ، لا بد أنك تعذبت كثيراً خلال الأيام التي قضيتها في الخارج (تمسح دموعها) لم يمر يوم واحد لم نقلق عليك به أنا والآنسة صو . حبيبتي صو ...

ون تشينغ: (يمسك يد المربية فجأة) جدتي ، جدتي!

المربيـة: (لا تقاوم حزنها) سيدي وفلذة كبدي وحبي تشينغ ، لم ترَ الآنسة صو بعد؟

ون تشينغ: يمسك يد المربية الجافة وهو لا يقدر على الكلام) جدتي ، جدتي!

المربية: (تهتم به بحنان) سوف أدْعُها لك .

ون تشينغ: (مذعوراً ومنفعلاً لدرجة كبيرة) لا ، لا يا جدتي .

المربية: ما ذنبك يا سيدي ، أنت تبدو كمن يحتضن حفيده!

ون تشينغ: (بقلق) لا ، لا تنادها ، لماذا تريدين ...

المربية: (تلاحظ أن باب غرفة التربية قد فُتح) لا بأس ، لابأس ، إنها قادمة!

(تدخل صو فانغ . ترتدي ثوباً مكرنشاً أسود اللون ، شعرها أسود طويل ، وجهها شاحب ، ملامحها هادئة ، عيناها حزينتان ومرهقتان ، تدخل بهدوء مثل ملاك جميل . يقف ون تشينغ من شدة التأثر)

صو فانغ: جدتي!

المربية: (تتعمد أن تكون طبيعية) ألم تنامي بعد يا آنسة صو؟

صو فانغ: إي ، (لا تسعفها الكلمات) جئت كي أرى الحمامة . (تتجه إلى الطاولة التي عليها القفص)

المربية: (بنعومة) صحيح ، اهتمي بها إذاً!(يخطر ببالها خاطر) وأنا أريد أن أذهب لأرى هل استيقظ حفيدي وزوجته أم لا؟ لقد طلبت منهما السيدة مساعدة أسرة يوان في حزم أمتعتهم . (تهم بالمغادرة)

ون تشينغ: (يرفع سترتها وبصوت منخفض) سترتك يا جدتي .

المربية: آ، سترتي(تبتسم لهما) يا لذاكرتي السيئة!

(تأخذ المربية سترتها وتخرج من باب غرفة التربية وهي تثرثر .

لم يطلع ضوء النهار بعد ، تهب الرياح شيئاً فشيئاً ، وأوراق الصفصاف البيضاء تصدر حفيفاً أشبه بانهمار المطر ، تحمل الرياح صياح ديك من مكان بعيد . فترة صمت طويلة ، يطأطئ ون تشينغ رأسه خجلاً ، يمشي بهدوء باتجاه غرفته)

صو فانغ:(تلقي نظرة إليه من خلال القفص) ون تشينغ .

ون تشينغ: (يقف ولا يجرؤ على الالتفات)

صو فانغ: قالت المربية لي أنك طلبتني ...

ون تشينغ: (يلتفت ، يرفع رأسه ببطء وينظر إليها)

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

ون تشينغ: صو فانغ !

صو فانغ:(تتأمل بشكل غير إرادي الحمامة داخل القفص)

ون تشينغ: (صمت ، ثم بيأس) ما زالت الحمامة هنا .

صو فانغ: (تهز رأسها ، بحزن) إي ، ذلك لأنها لا تستطيع الطيران!

ون تشينغ: (بذهول) أنا ...(يدرك ما عنته، يبتلع ريقه)

صو فانغ: (بصوت مرتجف) لا، لا ...

ون تشينغ: (ينفجر باكياً من شدة الحزن)

صو فانغ: (تقترب منه خطوة، مواسية من ناحية وحزينة من ناحية أخرى) لا، ليس هكذا، لماذا تبكي؟

ون تشينغ: (ينتحب، يرتمي على الكنبة) لماذا رجعت، لماذا رجعت، ما كان ينبغي أن أعود، لماذا عدت!

صو فانغ: (بحزن) عدت لأنك لا تستطيع الطيران.

ون تشينغ: (يبلع ريقه) لا، أنت لا تعرفين، ... لا تعرفين مقدار الصعوبات التي في الخارج ...

صو فانغ: ون تشينغ(تستخرج مفتاحاً من جيبها وتقدمه إليه) ...

ون تشينغ: آ!

صو فانغ: مفتاح ذلك الصندوق.

ون تشينغ: (لم يفهم) ماذا؟

صوفانغ: (بهدوء) كل مخطوطاتك داخل ذلك الصندوق. (تضع المفتاح فوق الطاولة بهدوء)

ون تشينغ: (مندهشاً) ما الذي تنوين فعله يا صو فانغ! ...

(فترة صمت. يسمع صوت الرياح وحفيف أوراق الشجر في الخارج ...)

صـو فـانغ: اسمع.

ون تشينغ: آ؟

صـو فـانغ: تهب الرياح بقوة في الخارج!

[يسمع صوت يتخلل هبوب الرياح: «خالتي صو! خالتي صو!»]

صـو فـانغ: (تصغي) من الذي ينادني؟

ون تشينغ:(يصغي، لا يسمع بوضوح) لا أحد، لا أحد.

صـو فـانغ: (مؤكدة، بحزن) بلى، بلى!

(تدخل صه يي من باب غرفة التربية)

صـه يي: (إلى صو، ساخرة وغير جدية) آ، عرفت أنك هنا!(بحرارة) أختي صو، لقد عاودتني آلام الظهر مرة أخرى، هل لك أن تدلكي لي ظهري في أوقات فراغك؟ آه، لقد نسيت أن أخبرك أن أخيك الكبير عاد، وأنه أحضر لك هدية رائعة.

ون تشينغ: (محرجاً) أنت ...

صـه يي: (لا تترك فرصة له للكلام، تتناول اللؤلؤتين

من فوق الطاولة وتقدمهما إلى صو) انظري كم هما لؤلؤتان كبيرتان وكرويتان!

ون تشينغ: (محذراً) صه يي!

(يدخل تشانغ شون من باب غرفة التربية، يتمهل عندما يرى ون تشينغ يهم بالكلام)

صه يي: (في الوقت نفسه... لا تكترث لزوجها، تضحك) قال أخوك الكبير إنها هدية منه إليك لتكون ...

ون تشينغ: (يرتعش من شدة الانفعال، يثور فجأة، بغضب) أي نوع من البشر أنت وأي قلب لك!(يتوجه إلى غرفته)

صه يي: ون تشينغ!

(يغلق الباب)

صه يي: (متجهمة الوجه، ببرود) آ، حقاً لا أعرف ما ينبغي للزوجة فعله!

تشانغ شون: (يقترب، بصوت منخفض) سيدتي، رسول أسرة دو يقول إن الهزيع الأخير من الليل يكاد ينقضي، ولا بد من أخذ التابوت.

صه يي: حسناً، أنا قادمة.

(يخرج تشانغ من باب صالة الضيوف)

صه يي: (فجأة) حسناً، سوف نكمل حديثنا بعد قليل. (تخطو خطوتين باتجاه غرفة التربية، تلتفت، تضحك بحرارة) أختي صو، أخاف أن يعاودني تشنج المعدة، هلا ذهبتِ إلى المطبخ وأعددت لي منقوع الأعشاب؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

(تخرج صه يي من باب غرفة التربية)

صو فانغ: (تبقى في مكانها تتأمل قفص الحمامة)

(تصفر الرياح في الخارج. تدخل روي تشن من باب صالة الضيوف)

روي تشن: خالتي صو!

صو فانغ: (لا تتحرك) إي.

روي تشن: (بعجلة) خالتي صو!

صو فانغ:(تلتفت إلى روي بهدوء، تشاركها حزنها) السعادة الحقيقية لا تدوم، حتى الحلم السعيد هو حلم قصير!

روي تشن: (متعاطفة معها) لم يعد الوقت مبكراً، هيا بنا يا خالتي صو.

صو فانغ: (مكفهرة) الباب مازال مقفلاً، والمفتاح ...

وي تشن: (بثقة) لا تقلقي، سوف يساعدنا «إنسان بكين».

صو فانغ: (لم تفهم) إنسان بكين ...؟

(تنادي صه يي من الخارج)

[**صوت صه يي:** أختي صو! أختي صو!]

روي تشن: (تفتح باب صالة الضيوف على مصراعيه، تشير إلى الداخل) هو ذاك!

(يقف «رجل بكين» وراء الباب شامخاً كالجبل، يرتدي ملابس عمل متسخة بزيت وشحم آلي، وجهه أسود حديدي، ذراعاه فولاذيتان يمسك كماشة بيده، عينان براقتان تحت حاجبين كثيفين، يبدو منظره رهيباً، ولكن بنظرة متأنية نجد أن في ابتسامته ملامح الهدوء والهيبة والوقار، مما يجعله أكثر استئناساً)

[**صوت صه يي:** (من مكان قريب) يا أختي صو، يا أختي صو!]

روي تشن: إنها قادمة!

(تختبئ وراء باب صالة الضيوف. يقف «رجل بكين» أمام الباب. تدخل صه يي من باب غرفة التربية)

صـه يي: آ، مازلت وحدك هنا! السيد يريد أن يشرب الجنسنغ، اذهبي إليه.

صـو فـانغ: (تهز رأسها، تهم بالمغادرة)

صـه يي: (فجأة، بحرارة) آ، هل فكرت فيما قلته لك منذ قليل يا أختي صو؟ (تذهب وتأخذ اللؤلؤتين من فوق الطاولة. ترى «رجل بكين» فتُصعق لرؤيته) ها! أنت، ماذا تفعل هنا؟

رجـل بكين: (ينظر إليها نظرة مخيفة)

صـه يي: (مندهشة) إني أسألك، ماذا تفعل هنا؟

رجـل بكين: (ترتسم على محيَّاه ابتسامة سخرية وازدراء)

صـو فـانغ: (بهدوء) إنه أخرس.

صـه يي: (لا خيار أمامها، تنظر إليه باشمئزاز، إلى صو) هيا بنا نتكلم خارجاً.

(تشد صه يي صو وتخرجان من باب غرفة التربية. تخرج روي من وراء الباب بعد رحيلهما)

روي تشن: ذهبتا؟(تلتفت إلى «رجل بكين»، تشير له إلى الخارج، تتكلم وتشير بيدها في الوقت نفسه) الباب، الباب الكبير، ... مقفل، ... لا يوجد مفتاح!

رجـل بكين: (يرفع قبضته بلطف ، بشكل غير متوقع ، بخشونة وقوة يردد) نحن ... نفتح ... الباب!

روي تشن: (مندهشة) أنت ، أنت ...

رجـل بكين: (يبتسم بلطف) تعالي ... معي ...!(يمشي إلى الأمام)

روي تشن: (مندهشة) خالتي صو! خالتي صو!(تلتفت إلى إنسان بكين ، بلطف) امش أمامنا ونحن وراءك!

رجـل بكين: (يهز رأسه)

(يشبه «رجل بكين» شبحاً ضخماً ، يتقدم باتجاه باب الصـالة . تدخل صو فانغ في الوقت نفسه من باب غرفة التربية شاحبة الوجه)

روي تشن: (تقفز فرحة) خالتي صو! خالتي صو! لقد ...(تلاحظ شحوب وجهها) لِمَ أنت شاحبة الوجه؟ لِمَ؟ ماذا قال لك؟

صـو فانغ: (تهز رأسها بلطف)

روي تشن: (لا تستطيع مقاومة فرحتها) خالتي صـو ، سوف أخبرك أمراً غريباً ، نطق الأبكم!

صـو فانغ: (بألم) إي ، وأنا يجب أن أرحل .

(يُسمع فجأة ضجيج في الخارج ، قرع طبول وصنوج يطغى على صوت الرياح)

روي تشن: (تلتفت مندهشة) لمَ هذا العزف؟

صـو فـانغ: ربما هو من ضمن استعداد أسرة دو لاستقبال التابوت؟

روي تشن: (تسأل مبتسمة) أين أغراضك؟

صـو فـانغ: في الغرفة الجانبية .

روي تشن: هاتها لنرحل .

صـو فـانغ: (تومئ برأسها) إي .

روي تشن: خالتي صو ، هل ...

صـو فـانغ: (حزينة) لا ، اذهبي أنت أولاً!

روي تشن: (مندهشة) كيف ، مرة ثانية أنت ...

صـو فـانغ: (تومئ برأسها) لا ، سألحق بك فوراً ، أريد أن أودعه فقط .

روي تشن: (تخمن ... غاضبة) من؟

صـو فـانغ: (حزينة) زوج خالتي المسكين!

روي تشن: (وقد فهمت الآن) آ!(بحزن أيضاً) حسناً ، سأذهب أولاً ، نلتقي في محطة القطار .

[**صوت ون تساي من الخارج**: «جيانغ تاي! جيانغ تاي!»]
(تخرج روي من باب الصالة. تخطو صو خطوتين باتجاه غرفة التربية، تدخل ون تساي من باب غرفة التربية والدموع تبلل وجهها)

ون تساي: (مضطربة) ألم يرجع جيانغ تاي بعد؟

صو فانغ: لا.

ون تساي: كيف لم يرجع بعد؟(ترتمي على الكنبة باكية) يا لأبي، يا لأبي المسكين!

صو فانغ: (قلقة) ما به؟

ون تساي: (تمسح دموعها بمنديلها بينما هي تتكلم) يريد أفراد أسرة دو حمل التابوت وأبي يمنعهم، المسكين، إنه يحتضن التابوت مثل طفل صغير، يموت ولا يتخلى عنه. (تبلع ريقها) أنا لا أستطيع رؤية والدي بتلك الحالة(ترفع رأسها وتنظر إلى صو فانغ التي فاضت عيناها بالحزن) اذهبي وانصحيه بالمجيء يا أختي صو، لا تتركيه يبقى بجانب التابوت هناك!

صو فانغ: (تمشي باتجاه غرفة التربية. تخرج)

ون تساي: (تبقى بمفردها ...) أبي، أبي، ماذا تريدنا أن نفعل!(تقف، لا تتمالك نفسها) أخي! أخي!(تتجه إلى غرفة ون تشينغ) نحن بشر لا فائدة فينا، لا نفع فينا.

(يسمع فجأة صوت مفرقعات في الخارج)

ون تساي: (تقف دون أن تشعر، تلتفت)

(يدخل تشانغ شون من غرفة التربية عيناه محمرتان)

ون تساي: ما هذا؟

تشانغ شون: (بغضب وحزن) تطلق أسرة دو المفرقعات النارية ترحيباً بالتابوت! لقد فتحنا الباب الخلفي، وقد حُمل التابوت.

(يُسمع خلال صوت المفرقعات وقع خطوات منتظمة لحملة التابوت، وهتاف «هيلا هوب، هيلا هوب» يختلط في الوقت نفسه مع أصوات أفراد أسرة دو وهم يحثون العمال على العناية بالتابوت. يُرى من خلال نافذة غرفة التربية ضوء فوانيس تتحرك بسرعة وراء مجموعة من الناس. تدخل في هذه الأثناء صو فانغ والمربية من باب غرفة التربية تسندان زنغ هاو. وجه زنغ هاو يبدو شاحباً أبيض كالورق، وعيناه محمرتان. متوتراً ومرتجفاً، لا ينطق بكلمة. تمسح المربية دموعها ولا تتوقف عن مواساته بين شد ودفع. تنظر صو إلى زنغ بحزن. تتبعهم صه يي، وهي الأخرى تمسك بمحرمة وتمسح عينيها، ولا يُعرف إن كانت تمسح الدموع أم الرمل)

المربية: (تردد) ادخل يا سيدي ، لا تنظر إلى الوراء ، ادخل ...

زنغ هاو: (يلتفت هاتفاً بصوت مخنوق) انتظروا ، انتظروا ، اطلبوا منهم أن ينتظروا ، لينتظروا! اطلبي منهم الانتظار!

صو فانغ: يا زوج خالتي ، لا عليك ...

(تلاحظ صو أن العجوز يلهث من شدة الانفعال ، فجأة يخطر لها أن تحضر شيئاً له ، تخرج من باب غرفة التربية)

المربية: (لا تتوقف عن مواساته) دعك منهم يا سيدي (بكراهية) دعهم يذهبون بتلك الجثة!

زنغ هاو: (متوسلاً) اذهبي وراءهم يا صه يي!

صه يي: (لا مناص لها من أن تشعر ببعض الحزن في هذه اللحظة ، تحتال عليه كما لو أنه طفل) أبي! عندما تتوفر النقود سوف نشتري واحداً أحسن منه .

زنغ هاو: (ناقم) ون تساي ، اذهبي أنت ، اذهبي(يدق الأرض بقدميه) هل عاد جيانغ تاي أم لا؟ هل عاد أم لا؟

ون تساي: (بحزن ... وبصوت مخنوق) عاد ، عاد يا أبي!

(صوت المفرقعات في الخارج ، وقع خطوات حملة التابوت يقترب شيئاً فشيئاً كما لو أنهم يعبرون أمام عينيه) .

زنـغ هـاو: (يصرخ دون أن يشعر) جيانغ تاي! جيانغ تاي!(يوجه السؤال إلى ون تساي وإلى نفسه) إلى أين ذهب؟ إلى أين ذهب؟

(يُفتح في هذه اللحظة باب الصالة ويدخل جيانغ تاي مترنحاً أحمر الوجه، أشعث الشعر، أغبر الثياب. يتوقف صوت المفرقعات تدريجياً).

نـغ هـاو : (لا يصدق ما يرى) جيانغ تاي، عدت أخيراً!

جيـانغ تاي: (يبدو كالمهرج، ضاحكاً ولا يضحك، وباكياً ولا يبكي، لا يُعرف هل هو سعيد أم حزين، يومئ برأسه بشكل مبهم) أنا ... رجعت ...

زنـغ هـاو: (وقد نسي نفسه) حسناً، حسناً أن رجعت! تشانغ شون اطلب منهم أن ينتظروا، أعطهم النقود واطلب منهم الرحيل! اذهب يا تشانغ شون

(يخرج تشانغ من باب غرفة التربية)

ون تساي: (تتقدم في هذه اللحظة إلى أمام جيانغ تاي) هل اقترضت النقود!(تمد يدها)

جيـانغ تاي: (يصفق بيديه وهو في غاية الفرح) هنا!(يعطيها لفافة من ورق التنظيف) هنا!

ون تساي: عدت مرة أخرى ...

جيـانغ تاي: (يلتفت باتجاه الباب) ادخل! ادخل بسرعة!

(يدخل شرطي يتبعه تينـغ وهو في غاية الخجل، يحمل بيده زجاجة براندي)

جيـانغ تاي: (حركة رجليه ويديه غير متوازنة، إلا أن صاحب الحق شجاع) إنه هو! (يدله، بوضوح) هو ... ذاك(يلتفت إلى أفراد الأسرة مدافعاً) لقد استأجرت غرفة في فندق، أقمت ليلة واحدة، وهو اليوم يتهمني بسرقة أغراض من الفندق، يتهمني بالسرقة ...

زنـغ هـاو: هذا ...

الشرطي: (بلطف) أنا آسف، لقد تسبب هذا السيد بإثارة الشغب في المخفر الليلة الماضية ...

جيـانغ تاي: كلام فارغ، أنا كنت في فندق بكين .

الشرطي: (بكثير من اللباقة) كنت في المخفر.

جيـانغ تاي: (غاضباً) فندق بكين!(يشير إلى الشرطي) أنا أعرف رئيسكم! (يتكلم وهو يترنح، يستشيط غضباً) انظر هـذه زوجتي، حماي!(ينسى غضبه فجأة، بزهو) حماي السيد زنغ هاو!(يرفع رأسه ضاحكاً) انظر(يشير إلى غرفته) هذه

غرفتي!(يضحك مرة متناسياً الشرطي، ومرة بارتباك، يبدو أنه يريد لفت انتباه الجميع) طاولتي!(أمام باب غرفته) بابي!(يدخل إلى غرفته وهو يتكلم) هذه ... (يُسمع صوت سقوط ...)

ون تساي: جيانغ، ...(تدخل إلى غرفتها)

الشرطي: لقد رأيت كل شيء، وقد شرحت الأمر لهذا السيد. (يرفع يده محيياً، يخرج من باب الصالة)

[**صوت من الخارج:** (بفرح) «ليُحمل التابوت»(يلي ذلك صوت وقع خطوات شديد)]

زنغ هاو: (يلتفت فجأة)

المربية: ماذا تريد أن تفعل؟

زنغ هاو: أرى ... أرى ...

المربية: حسناً يا سيدي ...

(يتقدم زنغ هاو إلى الأمام، تسنده المربية، تسارع صه يي لمساعدته أيضاً. يخرج والمربية من باب غرفة التربية. ضجيج في الخارج. وقع أقدام تبتعد شيئاً فشيئاً)

صه يي: (ترافق زنغ هاو حتى الباب ثم تعود مستغربة) تينغ، ماذا قال الشرطي؟

تينـغ: قال إن زوج عمتي دخل أمس متجراً لشراء بعض الحاجيات وهو سكران، وسرق زجاجة مشروب.

صـه يي: مما استدعى القبض عليه؟

تينـغ: إي، لا أعرف كيف أمضى زوج عمتي ليلته في المخفر وهو يشرب، ولا أعرف ما أدلى من أقوال، (يرفع الزجاجة بيده) هذا ما بقي من زجاجة الـ «براندي»! (يضع الزجاجة على الطاولة ثم يجلس على الكنبة مهموماً)

صـه يي: (بشماتة) شيء جميل، زوج عمتك يتعلم مهنة أخرى. (تمشي باتجاه غرفتها) ون تشينغ، (قريباً من الباب) ون تشينغ، لقد تكلمت منذ قليل مع صو فانغ، وقد بدت سعيدة جداً. سوف يكون كل شيء على خير ما يرام بعد الآن، سوف ترتاح أنت، وأرتاح أنا. أنت ترتاح بصحبة صو، وأنا أرتاح وهي تعتني بي أثناء شهر النفاس!

تينـغ: (تخترق جملة أمه الأخيرة أذنيه كالرصاصة، يرفع رأسه مصعوقاً) أمي، ماذا قلت؟

صـه يي: (لم تفهم) ماذا ...

تينـغ: (يقف ببطء) قلت إنك أنت أيضاً ... ها ...

صـه يي: (بخجل) نعم ...

تينـغ: (بخوف) حامل؟

صـه يي: (يعبر وجهها عن الحقيقة) ما بك؟

تينـغ: (يرمق أمه بنظرة، فترة صمت طويلة، يكرر بصرامة) آ، حامل!

(يخرج من باب الصالة مسرعاً)

صـه يي: تينـغ! (تلحق به) تينـغ! (بحزن) ولدي تينغ!

(تخرج ون تساي من غرفتها)

ون تساي: ما حال أبي؟

صـه يي: (تقف) سلِّم التابوت.

(تمشي ون تساي باتجاه غرفة التربية، تدخل المربية وهي تسند السيد زنغ من الباب نفسه. يتوقف زنغ هاو عند الباب ويصرخ إلى الخارج، تقترب ون تساي منهما. يتلاشى ضوء الفوانيس في الخارج بينما يبتعد حملة التابوت)

زنـغ هـاو: (يولي وجهه إلى الخارج وهو يصرخ مرتجفاً) لا يمكن، لا يمكن! ما هكذا يُحمل التابوت!

المربيـة: (في الوقت نفسه) لا بأس عليك يا سيدي، لا بأس عليك!

ون تساي: (بدون توقف) بابا! بابا!

زنغ هاو: (يتوجه إلى حيث حُمل التابوت وهو ينادي ويلوح بيديه) ما هكذا، سوف يصدمونه بالحائط!(إلى المربية) نادهم كي لا يصدمونه بالحائط، إنه مدهون بدهانات سيتشو! لا ينبغي كشطه، لا ينبغي صدمه.

صه يي: دعك من ذلك يا أبي، الحفاظ على التابوت هو من شأنهم.

زنغ هاو: (يحذرها، يهدأ وتتلاشى عنه إمارات الذهول، صمت، ينتحب فجأة) يا زوجتي، يا زوجتي، حسن أن متِّ٠ي، الموت في سن مبكر ليس بموت، حتي، حتي تابوتك قد .... (يدق الأرض) ما فائدة الحياة مع هؤلاء الأبناء والأحفاد، ما فائدة أبناء وأحفاد كمجموعة من الجرذان!(يرتمي على الكنبة)

(صوت انهيار جزء من الجدار. هدوء)

ون تساي: (بصوت منخفض) انهار الجدار.

(يخرج جيانغ تاي مترنحاً من غرفته)

جيانغ تاي: (إلى صه يي بلطف، وبنية طيبة) لقد سبق وأخبرتك، في عيد الخريف الماضي من أن الجدار سينهار، قلت لك سوف ينهار! انظري الآن، ولكن لا ...

(تنظر صه يي إليه بتقزز، تلتفت فجأة وتغادر عبر باب غرفة التربية)

جيانغ تاي: (يهز رأسه) آه، لا أحد يسمع كلامي! لا أحد يكترث بي، لا أحد يهتم بي!(يتناول أثناء كلامه السابق زجاجة الـ«براندي» من فوق الطاولة ثم يدخل إلى غرفته)

ون تساي: (قلقة) جيانغ تاي!(تلحق به)

(صياح ديك في مكان بعيد)

المربية: آه!

(يُسمع في هذه اللحظة صوت بكاء امرأة في البيت المجاور. تدخل صو فانغ من باب غرفة التربية وهي ترتدي كنزة صوفية رمادية اللون، تحمل على يدها سجادة، وفي يدها الثانية زبدية دواء)

زنغ هاو: (يرفع رأسه) من يبكي هناك؟

المربية: يبدو أن عجوز أسرة دو قد فارق الحياة، سوف أذهب لأرى.

(يطأطئ زنغ هاو رأسه. تخرج المربية بهدوء من باب غرفة التربية. صياح ديك)

صو فانغ: (تقترب من زنغ هاو، بهدوء) زوج خالتي.

زنغ هاو: (يرفع رأسه) آ؟

صـو فـانغ: (بلطف) شراب الجنسنغ الذي طلبت . (تقدمه له)

زنـغ هـاو: هل أنا طلبته؟

صـو فـانغ: إي ، (تضع زبدية الدواء بين يديه)

(تدخل يوان من باب الصالة وهي مازالت ترتدي نفس ملابسها السابقة نفسها ، وقد زيد عليها معطف قصير من لون التنورة ، وتضع حول عنقها منديلاً أسود بنقط بيضاء ، وتحمل بيدها نموذجاً من الورق لـ«إنسان بكين»)

يوان يوان: (تقف في الباب ، بصوت منخفض ولكن بسرعة) طلع النهار ، هيا بسرعة!

(تضحك يوان ، تعيد نموذج «إنسان بكين» إلى الداخل ثم تغلق الباب)

زنـغ هـاو: (يشرب ثم يضع زبدية الدواء فوق طاولة قريبة من الكنبة ، يطلق تنهيدة طويلة وضعيفة) آه!(يطأطئ رأسه ويغمض عينيه)

صـو فـانغ: (باهتمام) هل تحسنت قليلاً؟

زنـغ هـاو: (بلا اهتمام) إي ، إي ...

صـو فـانغ: (بحزن) أنا ذاهبة يا زوج خالتي .

زنـغ هـاو: (يهز رأسه) اذهبي واستريحي لبعض الوقت.

صـو فـانغ: إي، (بلطف) أنا ذاهبة.

زنـغ هـاو: (متعب جداً، كما لو أنه يريد أن ينام، بضعف) حسناً.

(تخطو صو فانغ خطوتين ثم تلتفت لتلقي نظرة على العجوز المسكين، تعود وتغطيه بالسجادة التي تحملها)

زنـغ هـاو: (فجأة وبلا مبالاة) عدت بسرعة.

صـو فـانغ: (تغرورق عيناها بالدموع) عدت.

زنـغ هـاو: (يغمض عينيه) عدت لكي تدلكي لي ساقي.

صـو فـانغ: (بينما هي تتكلم تتجمد الدموع في عينيها) إي، عدت كي أدلك لك ساقيك، عدت كي أدلك لك ساقيك، عدت ...(تسمع أحدهم قادماً فتسرع بالمغادرة عبر باب الصالة. تخرج ون تساي من غرفتها في اللحظة التي خرجت فيها صو فانغ)

ون تساي: (ترى زنغ هاو وهو يغفو، بهدوء) أبي، اشرب الدواء، لقد برد.

زنـغ هـاو: لا، لا أريد أن أشربه.

ون تساي: (تواسيه بحزن) أبي، هون عنك! ستمر الأيام على أية حال. (تنهمر دموعها) انتظر يا أبي، لننتظر حتى ربيع السنة القادمة، وسوف تتحسن صحة أبي، وسوف يحتضن حفيد ابنه، كما ستتحسن أخلاق جيانغ تاي وسوف يعود أخي وقد وجد ما يعمله ...

(يسمع صوت أنين داخل غرفة ون تشينغ وسقوط جسم من فوق السرير)

ون تساي: (بصوت مخنوق) آ!(تلتفت إلى زنغ) أبي، سوف أذهب لأرى.

(تدخل ون تساي إلى غرفة ون تشينغ راكضة. تعود المربية من باب غرفة التربية)

زنغ هاو: (بوهن) هل مات ... عجوز أسرة دو؟

المربية: مات، انتهى.

زنغ هاو: عيناي تؤلمانني! خففي ضوء القنديل قليلاً.

(تخفف المربية الضوء، تزداد العتمة في الداخل، يظهر ظل «إنسان بكين» جاثماً هناك وراء باب الصالة كما كان في الفصل الثاني)

المربيــة: (ترفع رأسها وتكلم نفسها) هذا قرد الآنسة يوان ، قبيل رحيلها ...

(تخرج ون تساي مذعورة)

ون تساي: (بصوت منخفض مضطرب) مربيتي ، مربيتي!

المربيــة: آ!

ون تساي: (خائفة ، بصوت منخفض) أولاً ، لا تصرخي ، ثم اذهبي وأخبري زوجة أخي أن أخي ابتلع كمية من الأفيون وقد توقف نبضه!

المربيــة: (مذعورة) آ!(تريد أن تبكي ...)

ون تساي: (تدفعها) لا تبك ، اذهبي بسرعة.

(تخرج المربية من باب غرفة التربية مسرعة)

ون تساي: (تتمالك نفسها ، تقترب من زنغ) أبي ، لقد طلع النهار ، هيا معي إلى النوم.

زنغ هـاو: (يقف ، يمشي خطوتين) أي صوت كان في تلك الغرفة؟

ون تساي: (بحزن) جرذ ، صوت جرذ.

زنـغ هـاو: آه.

(تسند ون تساي أبيها، تمشي معه بهدوء باتجاه غرفة التربية، صياح ديك في الخارج، يسطع ضوء النهار. صوت عربة يجرها بغل في الزقاق. تُسمع صفارة قطار حادة من مكان بعيد)

... تنزل الستارة ببطء.

دمشق في ٢٥/١٠/٢٠٠٣

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

تساو يو Cao Yu

- ولد في مدينة تيان جينغ (١٩١٠) بالصين من أسرة ارستقراطية.
- كتب الشعر وهو في العاشرة من عمره.
- وقف مع الفقراء ضد الإمبريالية وأعوانها، وانعكس ذلك على أعماله المسرحية.
- قرأ روائع الأدب الصيني، واطلع على العديد من نتاجات الأدب العالمي.
- شارك بأعمال مسرحية في الفرقة التي أسسها عندما كان طالباً في الثانوية.
- كتب مسرحيته الأولى (**العاصفة الرعدية**) ١٩٣٣م التي صوّرت الصراع الطبقي في الصين آنذاك، ثم (**شروق الشمس**) التي تحكي عن معاناة الشعب الصيني من المستعمر، ثم مسرحية (**البرية**) عن موضوع الثأر في الريف الصيني وغيرها من الأعمال.
- شارك في مقاومة احتلال اليابان لبلاده (١٩٣٧-١٩٤٥م) عبر مسرحياته (**التحوّل**)، (**أنا أفكر الآن**) ثم (**أهل بكين**).
- آخر مسرحياته (**أمير الانتقام**) ١٩٦١م و**الجسر**.
- **تساوي يو**: فنان شامل، وكاتب واسع المعرفة، ترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم، كما عرضت مسرحياته على الكثير من مسارحه.

أهل بكين عنوان بارز من أعمال تساو يو المسرحية، تدور أحداث المسرحية في مدينة بكين، وهي عبارة عن دراما ترصد التفاصيل اليومية في حياة أسرة إقطاعية وصفها تساو يو بـ «أسرة فئران في مجتمع فئران، يقتاتون على كل شيء، ويتلفون كل شيء، ولا يعملون أي شيء»!

تمثل المسرحية المحطة الأكثر نضجاً وحكمة في حياة تساو يو. كتبها في أثناء حرب بلاده مع اليابان انطلاقاً من أن معرفة المجتمع داخلياً، وفضح مظاهر تخلفه والفساد فيه يجعلان الانتصار في المعركة الخارجية مع العدو ممكناً وحتمياً.



سعر النسخة داخل القطر ١٦٠ ل.س في الأقطار العربية مايعادل ٣٢٠ ل.س

٢٠٠٨